

فهرست كتاب اعجاز القرآن للقاضي أبي بكر الباقلاني

صحيفة	صحيفة
٦٥ عهد لأبي بكر الصديق الى عمر رضى الله عنهما	٢ خطبة الكتاب
٦٦ نسخة كتاب	٤ فصل في ان نبوة النبي صلى الله عليه وسلم مجزتها القرآن
٦٧ عهد من عهدود عمر رضى الله عنه	٨ فصل في الدلالة على ان القرآن مجز
٦٧ ومن كلام عثمان بن عفان رضى الله عنه	١٨ فصل في جملة وجوه اعجاز القرآن
٦٧ خطبة له رضى الله عنه	٢٧ فصل في شرح ما بيننا من وجوه اعجاز القرآن
٦٨ كتابه الى على حين حضر رضى الله عنهما	٢٨ فصل في نفي الشعر من القرآن
٦٩ خطبة أخرى لعلى رضى الله عنه	٣١ فصل في نفي السجع من القرآن
٦٩ وكتب على رضى الله عنه الى عبد الله ابن عباس رحمه الله وهو بالبصرة	٣٦ فصل في ذكر البديع من الكلام
٦٩ كلام لابن عباس رضى الله عنه	٥٤ فصل في كيفية الوقوف على اعجاز القرآن
٦٩ خطبة لعبد الله بن مسعود رضى الله عنه	٦٢ خطبة للنبي صلى الله عليه وسلم
٧٠ خطبة لمعاوية بن أبي سفيان	٦٣ خطبة له صلى الله عليه وسلم
٧٠ خطبة لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه	٦٣ خطبة له صلى الله عليه وسلم
٧١ خطبة للمجاج بن يوسف	٦٣ خطبة له صلى الله عليه وسلم في أيام التشريق
٧١ خطبة لقس بن ساعدة الايادى	٦٣ خطبته صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة
٧٢ خطبة لأبي طالب	٦٣ خطبته صلى الله عليه وسلم بالخيف
١١٦ فصل في التصدى	٦٤ خطبة له صلى الله عليه وسلم
١١٧ فصل في قدر المجز من القرآن	٦٤ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى ملك فارس
١١٩ فصل في انه هل يعلم اعجاز القرآن ضرورة	٦٤ كتاب له صلى الله عليه وسلم الى النجاشي
١٢٠ فصل في وصف وجوه من البلاغة	٦٤ نسخة عهد الصلح مع قريش عام الحديبية
١٢٩ فصل في حقيقة المجز	٦٥ خطبة لابى بكر الصديق رضى الله عنه
١٣١ فصل في كلام النبي صلى الله عليه وسلم وأمور تتعلق بالاعجاز	

(تمت الفهرست)

كِتَابٌ

I'jāz al-Qur'ān

إِعْجَازُ الْقُرْآنِ

تأليف الامام الكبير والقدوة الشهير شمس خاتمة
المحققين وعمدة الائمة المدققين القاضي أبي بكر
الباقلاني رحمه الله تعالى ونفعنا بعلمه
آمين

✽ طبع على نفقة الاديبين ✽

✽ محمد القليوبي عطا الله * ومحمد فرج الجزار ✽
(غفر الله لهما ولوالديهما ولجميع المسلمين آمين)

(حقوق الطبع محفوظة لهما)

✽ الطبعة الاولى ✽

(بطبعة الاسلام بجارة السقائين بمصر المحمية)

(سنة ١٣١٥ هجرية)

طبع برخصة نظارة الداخلية



2269
.1535
.349
.1898

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله المنعم على عباده بما هداهم اليه من الايمان * والمتمم احسانه بما أقام لهم
من جلي البرهان * الذي حمد نفسه بما أنزل من القرآن ليكون بشيرا ونذيرا *
وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا * وهاديا الى ما ارتضى لهم من دينه * وسلطانا
أوضح وجه تبيينه * ودليلا على وحدانيته * ومرشدا الى معرفة عزته وجبروته *
ومفصحا عن صفات جلاله * وعلو شأنه وعظيم سلطانه * وحجة لرسوله الذي أرسله به وعلما
على صدقه * وبينة على انه أمينه على وحيه وصادع بأمره * فأشرفه من كتاب يتضمن
صدق متمعله * ورسالة تشمل على تصحيح قول مؤيديها * بين فيه سبحانه ان حجة كافية هادية
لا يحتاج مع وضوحها الى بيضة تعدوها أو حجة تناولها وان الذهاب عنها كالذهاب
عن الضروريات والشك في المشاهدات * ولذلك قال عز ذكره ولو نزلنا عليك كتابا في
قرطاس فلسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الاصح مبین وقال عز وجل ولو فتحنا
عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن مسحورون
فله الشكر على جزيل احسانه وعظيم مننه والصلاة على سيدنا محمد المصطفى وآله وسلم
ومن أهم ما يجب على أهل دين الله كشفه * وأولى ما يلزم بحجته * ما كان لاصل دينهم قواما *
ولقاعدة توحيدهم عمادا ونظاما * وعلى صدق نبينهم صلى الله عليه وسلم برهانا
ولجزته ثبنا وحجة لاسيما والجهل بمدود الرواق * شديد النفاق * مستول على
الاتفاق * والعلم الى عفاء ودروس * وعلى خفاء وطموس * وأهله في جفوة
الزمن اليهم * يقاسون من عبوسه لقاء الاسد الشميم * حتى صار ما يكابدونه قاطعا

عن الواجب من سلوك مناهجه والاختذ في سبيله فاناس بين رجلين ذاهب عن الحق
 ذاهل عن الرشد وآخر مصدود عن نصرته مكدود في صنعته فقد أدى ذلك الى خوض
 الملهدين في أصول الدين وتشكيكهم أهل الضعف في كل يقين وقد قل أنصاره واشتغل
 عنه أعوانه وأسلمه أهله فصار عرضة لمن شاء ان يتعرض فيه حتى عاد مثل الامر الاول
 على ما خاضوا فيه عند ظهور أمره فن قائل قال انه سحر وقائل يقول انه شعر وآخر
 يقول انه أساطير الاولين وقالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا الى الوجوه التي حكى الله عز
 وجل عنهم انهم قالوا فيه وتكلموا به قصر فوه اليه • وذكر لي عن بعض جهالهم انه جعل
 يعذله ببعض الاشعار ويوازن بينه وبين غيره من الكلام ولا يرضى بذلك حتى يفضله
 عليه وليس هذا ببديع من ملهدة هذا العصر وقد سبقهم الى عظم ما يقولونه اخوانهم
 من ملهدة قريش وغيرهم الا ان أكثر من كان طعن فيه في أول أمره استبان رشده
 وأبصر قصده فتاب وأتاب وعرف من نفسه الحق بغيره طبعه وقوة اتقانه لالتصرف
 لسانه بل لهدايته ربه وحسن توفيقه والجهل في هذا الوقت أغلب والمهلدون فيه عن
 الرشد أبعد وعن الواجب أذهب وقد كان يجوز ان يقع من عمل الكتب النافعة في
 معاني القرآن وتكلم في فوائده من أهل صنعة العربية وغيرهم من أهل صناعة
 الكلام ان يبسطوا القول في الابانة عن وجه مجرته والدلالة على مكانه فهو أحق بكثير
 مما صنفوا فيه من القول في الخبر ودقيق الكلام في الاعراض وكثير من بديع الاعراب
 وغامض النحوق الحاجة الى هذا أمس والاشتغال به أوجب وقد قصر بعضهم في هذه
 المسئلة حتى أدى ذلك الى تحوّل قوم منهم الى مذاهب البراهمة فيها رأوا ان عجز
 أصحابهم عن نصره هذه المجزة يوجب أن لا يستنصر فيها ولا وجه لها حين رأواهم قد برعوا
 في لطيف ما أبدعوا وانتهوا الى الغاية فيما أحدثوا ووضعوا ثم رأوا ما صنفوه في هذا
 المعنى غير كامل في بابه ولا مستوفى في وجهه قد أدخل تهذيب طرقه وأهمل ترتيب
 بيانه وقد يعذر بعضهم في تفریط يقع منه فيه وذاهب عنه لان هذا الباب مما يمكن
 احكامه بعد التقدّم في أمور شريفة المحل عظيمة المقدار دقيقة المسالك لطيفة المآخذ
 واذا انتهينا الى تفصيل القول فيها استبان ما قلناه من الحاجة الى هذه المقدمات حتى
 يمكن بعدها احكام القول في هذا الشأن وقد صنف الجاحظ في نظم القرآن كتابا لم يزد
 فيه على ما قاله المتن كلامون قبله ولم يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى • وسألنا سائل
 ان نذكر جملة من القول جامعة تسقط الشبهات وتزيل الشكوك التي تعرض للجهال
 وتنتهي الى ما يخطر لهم ويعرض لأفهامهم من الطعن في وجه المجزة فأجبناه الى

ذلك متقربين الى الله عز وجل ومتوكلين عليه وعلى حسن توفيقه ومعونته ونحن نبين
 ما سبق فيه البيان من غيرنا ونشير اليه ولا نبسط القول لئلا يكون ما ألقناه مكررا
 ومقولا بل يكون مستفادا من جهة هذا الكتاب خاصة ونضيف اليه ما يجب وصفه من
 القول في تنزيل متصرفات الخطاب وترتيب وجوه الكلام وما تختلف فيه طرق البلاغة
 وتتفاوت من جهته سبل البراعة وما يشتمه له ظاهر الفصاحة ويختلف فيه المخلفون
 من أهل صناعة العربية والمعرفة بلسان العرب في أصل الوضع ثم ما اختلفت به مذاهب
 مستعملية في فنون ما ينقسم اليه الكلام من شعر ورسائل وخطب وغير ذلك من مجارى
 الخطاب وان كانت هذه الوجوه الثلاثة أصول ما يبين فيه التفاسيح وتقصد فيه البلاغة
 لان هذه أمور يتعمل لها في الاعراب ولا يتجاوز فيها ثم من بعد هذا الكلام الدائر في
 محاوراتهم والتفاوت فيه أكثر لان التعمل فيه أقل الا من غزارة طبع أو فطنة تصنع
 وتكلف ونشير الى ما يجب في كل واحد من هذه الطرق ليعرف عظم محل القرآن وليعلم
 ارتفاعه عن مواقع هذه الوجوه وتجاوزه الحد الذي يصح أو يجوز ان يوازن بينه
 وبينها أو يشتمه ذلك على متأمل ولست نازع ان يمكننا ان نبين ما مرنا بيانه وأردنا شرحه
 وتفصيله لمن كان عن معرفة الأدب ذاهبا وعن وجه اللسان غافلا لان ذلك مما لا سبيل
 اليه الا ان يكون الناظر فيما نعرض عليه مما قصدنا اليه من أهل صناعة العربية
 قد وقف على جل من محاسن الكلام ومتصرفاته ومذاهبه وعرف جملة من طرق المتكلمين
 ونظر في شئ من أصول الدين وانما ضمن الله عز وجل فيه البيان لمثل من وصفناه فقال
 كتاب فصلت آياته قرآنا عريبا ليعلمون وقال انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون



فصل في أن نبوة النبي صلى الله عليه وسلم معجزها القرآن

الذي يوجب الاهتمام التام بعرفة اعجاز القرآن ان نبوة نبينا عليه السلام بنيت
 على هذه المعجزة وان كان قد أيد بعد ذلك بمعجزات كثيرة الا ان تلك المعجزات قامت في
 أوقات خاصة وأحوال خاصة وعلى أشخاص خاصة ونقل بعضها نقلا متواترا يقع به العلم
 وجودا وبعضها مما نقل نقلا خاصا الا انه حكى بمشهد من الجمع العظيم انهم شاهدوه
 فلو كان الامر على خلاف ما حكى لانكروه أولا نكروه بعضهم فحل محل المعنى الاول
 وان لم يتواتر أصل النقل فيه وبعضها مما نقل من جهة الآحاد وكان وقوعه بين يدي
 الآحاد فأمدالة القرآن فهمى عن معجزة عامة عمث الثقيلين وبقيت بقاء العصرين
 ولزوم الحجية بها في أول وقت ورودها الى يوم القيامة على حد واحد وان كان قد

يعلم بعجز أهل العصر الأول عن الاتيان بمثله وجه دلالة فيعني ذلك عن نظر مجدد في عجز
 أول العصر عن مثله وكذلك قد يعنى عجز أهل هذا العصر عن الاتيان بمثله عن النظر في
 حال أهل العصر الأول وانما ذكرنا هذا الفصل لما حكى عن بعضهم انه زعم انه وان كان
 قد بعز عنه أهل العصر الأول فليس أهل هذا العصر بعاجز بن عنه ويكفي عجز أهل العصر
 الأول في الدلالة أنهم خصوا بالتحدى دون غيرهم ونحن نبين خطأ هذا القول في موضعه
 فأما الذى يبين ما ذكرناه من ان الله تعالى حين ابتعثه جعل معجزته القرآن وبني أمر
 نبوته عليه سور كثيرة وآيات نذكر بعضها وننبه بالمدكور على غيره فليس يخفى بسند
 التنبيه على طريقه فن ذلك قوله تعالى الر كآب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات
 الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد فأخبر انه أنزله ليقع الاهتداء به ولا يكون
 كذلك الا وهو حجة ولا تكون حجة ان لم تكن معجزة وقال عز وجل وان أحد من
 المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله فلو لا ان سماعه اياه حجة عليه لم يوقف
 أمره على سماعه ولا يكون حجة الا وهو معجزة وقال عز وجل وانه لتنزىل رب العالمين
 نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين وهذا بين جدا فيما قلناه من انه
 جعله سببا لكونه منذرا ثم أوضح ذلك بأن قال بلسان عربى مبين فلو لا ان كونه بهذا
 اللسان حجة لم يعقب كلامه الأول به وما من سورة افتتحت بذكر الحروف المقطعة الا
 وقد أشبع فيها بيان ما قلناه ونحن نذكر بعضها التستدل بذلك على ما بعده وكثير من هذه
 السور اذا تأملته فهو من أوله الى آخره مبنى على لزوم حجة القرآن والتنبيه على وجه
 معجزته فن ذلك سورة المؤمن قوله عز وجل حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم
 ثم وصف نفسه بما هو أهل من قوله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب الى ان قال
 ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا فدل على ان الجدل في تنزيه كفر والحاد ثم أخبر
 بما وقع من تكذيب الأمم برسلمهم بقوله عز وجل كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من
 بعدهم الى آخر الآية فتوعدهم بأنه آخذهم في الدنيا بذنبهم في تكذيب الانبياء ورد
 براهينهم فقال فأخذتهم فكيف كان عقاب ثم توعدهم بالنار فقال وكذلك حققت كلمة ربك
 على الذين كفروا أنهم أصحاب النار ثم عظم شأن المؤمنين بهذه الحجة بما أخبر من استغفار
 الملائكة لهم وما وعدهم عليه من المغفرة فقال الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون
 بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما فاغفر
 للذين تابوا واتبعوا سبيلك وفهم عذاب الجحيم فلو لا انه برهان قاهر لم يذم الكفار على
 العدول عنه ولم يحمى المؤمنين على المصير اليه ثم ذكر تمام الآيات في دعاء الملائكة

للؤمنين ثم عطف على وعيد الكافرين فذكر آيات ثم قال هو الذي يريكم آياته فأمره بالنظر في آياته وبراهينه الى ان قال رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق فجعل القرآن والوحى به كالروح لانه يؤدى الى حياة الابد ولانه لا فائدة للجسد بدون الروح فجعل هذا الروح سببا للانذار وعلمنا عليه وطريقا اليه ولولا ان ذلك برهان بنفسه لم يصح ان يقع به الانذار والاختبار عما يقع عند مخالفته ولم يكن الخبر عن الواقع في الآخرة عند ردهم دلالة من الوعيد حجة ولا معلوما صدقه فكان لا يلزمهم قبوله فلما خلاص من الآيات في ذكر الوعيد على تركه القبول ضرب لهم المثل بمن خالف الآيات وجهد الدلالات والمعجزات فقال أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم الى آخر الآية ثم بين ان عاقبتهم صارت الى السواى بأن رسلهم كانت تأتيهم بالبينات وكانوا لا يقبلونها منهم فعلم ان ما قدم ذكره في السورة بينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر قصة موسى ويوسف عليهما السلام ومجيئتهما بالبينات ومخالفتهم حكمهما الى ان قال الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أناهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار فأخبر ان جدالهم في هذه الآيات لا يقع بحجة وانما يقع عن جهل وان الله يطبع على قلوبهم ويصرفهم عن تفهم وجه البرهان لجودهم وعنادهم واستكبارهم ثم ذكر كثيرا من الاحتجاج على التوحيد ثم قال ألم ترالى الذين يجادلون في آيات الله أفى بصرفون ثم بين هذه الجملة وان من آياته الكتاب فقال الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون الى ان قال وما كان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله فدل على ان الآيات على ضربين أحدهما كالمعجزات التى هى أدلة في دار التكليف والثانى الآيات التى ينقطع عندها العذر ويقع عندها العلم الضرورى وانها اذا جاءت ارتفع التكليف ووجب الاهلاك الى ان قال فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا فاعلمنا انه قادر على هذه الآيات ولكنه اذا أقامها زال التكليف وحقت العقوبة على الجاحدين وكذلك ذكر فى حم السجدة على هذا المنهاج الذى شرحنا فقال عز وجل حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فلولوا انه جعله برهانا لم يكن بشيرا ولا نذيرا ولم يختلف بأن يكون عربيا مفضلا أو بخلاف ذلك ثم أخبر عن جهودهم وقلة قبولهم بقوله فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ولولا انه حجة لم يضرهم الاعراض عنه وليس لقائل ان يقول قد يكون حجة ويحتاج فى كونه حجة الى دلالة أخرى كما ان الرسول حجة ولمكنه يحتاج الى دلالة على صدقه

وصحة نبوته وذلك انه انما احتج عليهم بنفس هذا التنزيل ولم يذكر حجة غيره ويبين ذلك انه قال صعب هذا قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى فأخبر انه مثلهم لولا الوحي ثم عطف عليه بحمده المؤمنين به المصدقين له فقال ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون ومعناه الذين آمنوا بهذا الوحي والتنزيل وعرفوا هذه الحجة ثم تصرف في هذا الاحتجاج على الوحدة والقدرة الى ان قال فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فتوعدهم بما أصاب من قبلهم من المكذبين بآيات الله من قوم عاد وثمود في الدنيا ثم توعدهم بأمر الآخرة فقال ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون الى انتهاء ما ذكره فيه ثم رجع الى ذكر القرآن فقال وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ثم أتى بعد ذلك على من تلقاه بالقبول فقال ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا ثم قال واما ينزغناك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم وهذا ينبه على ان النبي صلى الله عليه وسلم يعرف اعجاز القرآن وانه دلالة على جهة الاستدلال لان الضروريات لا يقع فيها نزغ الشيطان ونحن نبين ما يتعلق بهذا الفصل في موضعه ثم قال ان الذين يلدون في آياتنا الى ان قال ان الذين كفروا بالذکر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهذا وان كان متأولا على انه لا يوجد فيه غير الحق مما يتضمنه من اقايص الاولين وأخبار المرسلين وكذلك لا يوجد خلف فيما يتضمنه من الاخبار عن الغيوب وعن الحوادث التي أبنا انها تقع في الثاني فلا يخرج عن ان يكون متأولا على ما يقتضيه نظام الخطاب من انه لا يأتيه ما يبطله من شبهة سابقة تقدر في مجزته أو تعارضه في طريقه وكذلك لا يأتيه من بعده قط أمر يشكك في وجه دلالته وهذا أشبه بسباق الكلام ونظامه ثم قال ولو جعلناه قرآنا أجمعيا لقالوا لولا فصلت آياته أأجمعى وعربى فأخبر انه لو كان أجمعيا لكانوا يحتجون في رده اما بأن ذلك خارج عن عرف خطابهم وكانوا يعتذرون بذهابهم عن معرفة معناه وبأنهم لا يبين لهم وجه الاعجاز فيه لانه ليس من شأنهم ولا من لسانهم أو بغير ذلك من الامور وانه اذا تحدثوا الى ما هو من لسانهم وشأنهم فجزوا عنه وجبت الحجة عليهم به على ما بينه في وجه هذا الفصل الى ان قال قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد والذي ذكرنا من نظم هاتين السورتين ينبه على غيرهما من السور فكرهنا سرد القول فيها فليست المتأمل ما دللناه عليه بجدته كذلك ثم مما يدل على هذا قوله عز وجل وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه قل انما الآيات عند الله وانما

أنا نذير مبين أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم فأخبران الكتاب آية من آياته وعلم من أعلامه وان ذلك يكفي في الدلالة ويقوم مقام معجزات غيره وآيات سواء من الانبياء صلوات الله عليهم ويدل عليه قوله عز وجل تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا وقوله أم يقولون افتري على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك وعموا الله الباطل ويحق الحق بكلماته فدل على انه جعل قلبه مستودعا لوحيه ومستنزلا لكتابه وانه لو شاء صرف ذلك الى غيره وكان له حكم دلالاته على تحقيق الحق وابطال الباطل مع صرفه عنه ولذلك أشباه كثيرة تدل على نحو الدلالة التي وصفناها فبان بهذا وبخطأه ما قلنا من ان بناء نبوته صلى الله عليه وسلم على دلالة القرآن ومعجزته وصار له من الحكم في دلالاته على نفسه وصدقه انه يمكن ان يعلم انه كلام الله تعالى وفارق حكمه حكم غيره من الكتب المنزلة على الانبياء لانها لا تدل على أنفسهم الا بأمر زائد ووصف مضاف اليها لان نظمها ليس معجزا وان كان ما يتضمنه من الاخبار عن الغيوب معجزا وليس كذلك القرآن لانه يشاركها في هذه الدلالة ويزيد عليها في ان نظمه معجز فيمكن ان يستدل به عليه وحل في هذا من وجه محل سماع الكلام من القديم سبحانه وتعالى لان موسى عليه السلام لما سمع كلامه علم انه في الحقيقة كلامه وكذلك من يسمع القرآن يعلم انه كلام الله وان اختلف الحال في ذلك من بعض الوجوه لان موسى عليه السلام سمعه من الله عز وجل وأسمعه نفسه متكلما وليس كذلك الواحد منا وكذلك قد يختلفان في غير هذا الوجه وليس ذلك قصدنا بالكلام في هذا الفصل والذي نرومه الآن ما بينا من اتفاقهما في المعنى الذي وصفنا وهو انه عليه السلام يعلم ان ما سمعه كلام الله من جهة الاستدلال وكذلك نحن نعلم ما نقرؤه من هذا على جهة الاستدلال

﴿ فصل في الدلالة على ان القرآن معجزة ﴾

قد ثبت بما بينا في الفصل الاول ان نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم مبنية على دلالة معجزة القرآن فيجب ان نبين وجه الدلالة من ذلك قد ذكر العلماء ان الاصل في هذا هو ان تعلم ان القرآن الذي هو متواتر محفوظ من رسوم في المصاحف هو الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وانه هو الذي تلاه على من في عصره ثلاثا وعشرين سنة والطريق الى معرفة ذلك هو النقل المتواتر الذي يقع عنده العلم الضروري به وذلك انه قام به في المواقف وكتب به الى البلاد وتحمله عنه اليها من تابعه وأورده على غيره من لم يتابعه

حتى ظهر فهم الظهور الذي لا يشبهه على أحد ولا يحتمل انه قد خرج من أتى بقرآن يتلوه
ويأخذ به على غيره ويأخذ غيره على الناس حتى انتشر ذلك في أرض العرب كلها وتعدى
الى الملوك المعاقبة لهم كملك الروم والعجم والقبط والحبس وغيرهم من ملوك الاطراف
ولما ورد ذلك مضادا لاديان أهل ذلك العصر كلهم ومخالفا لوجوه اعتقاداتهم المختلفة في
الكفر وقف جميع أهل الخلاف على جملته ووقف جميع أهل دينه الذين أكرمهم الله
بالإيمان على جملته وتفاسيله وتظاهر بينهم حتى حفظه الرجال وتنقلت به الرجال وتعلمه
الكبير والصغير اذ كان عمدة دينهم وعلماء عليه والمفروض تلاوته في صلواتهم والواجب
استعماله في أحكامهم ثم تناقله خلف عن سلف ثم مشلهم في كثيرهم وتوفروا وابعدهم على
نقله حتى انتهى اليها ما وصفناه من حاله فلن يتشكك أحد ولا يجوز ان يتشكك مع وجود
هذه الاسباب في انه أتى بهذا القرآن من عند الله فهذا أصل واذا ثبت هذا الاصل وجودا
فانا نقول انه تحدثهم الى ان يأتوا بمثله وقرعهم على ترك الاتيان به طول السنين التي
وصفناها فلم يأتوا بذلك والذي يدل على هذا الاصل اننا قد علمنا ان ذلك مذكور في القرآن
في المواضع الكثيرة كقوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله
وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي
وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين وكقوله أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور
مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم
فاعلموا انما أنزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل أنتم مسلمون فجعل عجزهم عن الاتيان بمثله
دليلا على انه منه ودليلا على وحدانيته وذلك يدل عندنا على بطلان قول من زعم انه لا يمكن
ان يعلم بالقرآن الوحدانية وزعم ان ذلك مما لا سبيل اليه الا من جهة العقل لان القرآن
كلام الله عز وجل ولا يصح ان يعلم الكلام حتى يعلم المتكلم أو لا فقلنا اذا ثبت بما بينه
اعجازه وان الخلق لا يقدرون عليه ثبت ان الذي أتى به غيرهم وانه انما يختص بالقدرة
عليه من يختص بالقدرة عليهم وانه صدق واذا كان كذلك كان ما يتضمنه صدقا وليس
اذا أمكن معرفته من جهة العقل امتنع ان يعرف من الوجهين وليس الغرض تحقيق
القول في هذا الفصل لانه خارج عن مقصود كلامنا ولكنا ذكرناه من جهة دلالة الآية
عليه ومن ذلك قوله عز وجل قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن
لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وقوله أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا
بحديث مثله ان كانوا صادقين فقد ثبت بما بيناه انه تحدثهم اليه ولم يأتوا بمثله وفي هذا
أمر ان أحدهما انتهى اليه والاخر انه لم يأتوا له بمثل والذي يدل على ذلك النقل المتواتر

الذي يقع به العلم الضروري فلا يمكن جود واحد من هذين الامرين وان قال قائل لعله لم يقرأ عليهم الآيات التي فيها ذكر التحدى وانما قرأ عليهم ما سوى ذلك من القرآن كان كذلك قولاً باطلا يعلم بطلانه مثل ما يعلم به بطلان قول من زعم ان القرآن أضعاف هذا وهو يبلغ حمل جل وانه كتم وسيظهره المهدي أو يدعى ان هذا القرآن ليس هو الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وانما هو شئ وضعه عمر أو عثمان رضى الله عنهما حيث وضع المحفف أو يدعى فيه زيادة أو نقصانا وقد ضمن الله حفظ كتابه ان يأتسه الباطل من بين يديه أو من خلفه ووعده الحق وحكاية قول من قال ذلك بغنى عن الرد عليه لان العدد الذين أخذوا القرآن في الامصار وفي البوادي وفي الاسفار والحضر وضبطوه حفظاً من بين صغير وكبير وعرفوه حتى صار لا يشبهه على أحد منهم حرف لا يجوز عليهم السهو والنسيان ولا التخليط فيه والكتمان ولو زادوا ونقصوا أو غيروا لظهر وقد علمت ان شعرا مرئ القيس وغيره لا يجوز أن يظهر ظهور القرآن ولا أن يحفظ كحفظه ولا ان يضبط كضبطه ولا ان تمس الحاجة اليه مساسها الى القرآن لو زيد فيه بيت أو نقص منه بيت لابل لو غير فيه لفظ لتبرأ منه أصحابه وأنكره أربابه فاذا كان ذلك مما لا يمكن في شعرا مرئ القيس ونظرائه مع ان الحاجة اليه تقع لحفظ العربية فكيف يجوز أو يمكن ما ذكره في القرآن مع شدة الحاجة اليه في أصل الدين ثم في الاحكام والشرائع واشتمال الهمم المختلفة على ضبطه فتم من ضبطه لاحكام قراءته ومعرفة وجوهها وصحة ادائها ومنهم من يحفظه للشرائع والفقهاء ومنهم من يضبطه ليعرف تفسيره ومعانيه ومنهم من يقصد بحفظه الفصاحة والبلاغة ومن المحدثين من يحصله لينظر في عجيب شأنه وكيف يجوز على أهل هذه الهمم المختلفة والآراء المتباينة على كثرة اعدادهم واختلاف بلادهم وتفاوت أغراضهم ان يجتمعوا على التغيير والتبديل والكتمان وبين ذلك انك اذا تأملت ما ذكر في أكثر السور مما بينا ومن فظأثره في رد قومه عليه وورد غيرهم وقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وقول بعضهم ان هذا الاختلاف الى الوجوه التي بصرف اليها قولهم في الطعن عليه فتم من يستهين بها ويجعل ذلك سبباً لتركه الاتيان بمثله ومنهم من يزعم انه مفترى فالذلك لا يأتي بمثله ومنهم من يزعم انه دارس وانه أساطير الاولين وكرهنا ان نذكر كل آية تدل على تحديه لئلا يقع التطويل ولو جاز ان يكون بعضه مكتوماً جاز على كله ولو جاز ان يكون بعضه موضوعاً جاز ذلك في كله فثبت بما بيناه انه تحدى اليه وانهم لم يأتوا به بمثله وهذا الفصل قد بينا ان الجميع قد ذكروه وبنوا عليه فاذا ثبت هذا وجب ان يعلم بعده ان تركهم للاتيان بمثله كان لجزهم

عنه والذي يدل على انهم كانوا عاجزين عن الاتيان بمثل القرآن انه تحداهم اليه حتى طال التحدى وجعله دلالة على صدقه ونبوته وتضمن احكامه استباحة دمانهم واموالهم وسبي ذريتهم فلو كانوا يقدرون على تكذيبه لفعالوا وتوصلوا الى تخليص انفسهم واهليهم واموالهم من حكمه بأمر قريب هو عاداتهم في لسانهم ومألوف من خطابهم وكان ذلك يغنيهم عن تكلف القتال واكثر المراء والجدال وعن الجلاء عن الاوطان وعن تسليم الاهل والذرية للسبي فلما لم يحصل هناك معارضة منهم علم انهم عاجزون عنها يبين ذلك ان العدو يقصد لدفع قول عدوه بكل ما قدر عليه من المكيد لاسيما مع استعظامه ما أبدعه بالجيء من خلع آلهته وتسفيه رأيه في ديانته وتضليل آبائه والتغريب عليه بما جاء به و اظهار أمر يوجب الانقياد لطاعته والتصرف على حكم ارادته والعدول عن الفه وعاداته والانخراط في سلك الانباع بعد ان كان متبوعا والتشيع بعد ان كان مشيعا وتحكيم الغير في ماله وتسليطه اياه على جملة أحواله والدخول تحت تكاليف شاقة وعبادات متعبة بقوله وقد علم ان بعض هذه الاحوال ما يدعوا الى سلب النفوس ودونه هذا والحية حينهم والهيم الكبيرة همهم وقد بذلوا له السيف وأخطروا بنفوسهم واموالهم فكيف يجوز ان لا يتوصلوا الى الرد عليه والى تكذيبه بأهون سعيهم ومألوف أمرهم وما يمكن تناوله من غير ان يعرف فيه جبين أو يشتغل به خاطر وهو لسانهم الذي يتخاطبون به مع بلوغهم في الفصاحة النهاية التي ليس وراءها مطلع والرتبة التي ليس وراءها مترع ومعلوم انهم لو عارضوه بما تحداهم اليه لكان فيه توهين أمره وتكذيب قوله وتفريق جمعه وتشتيت أسبابه وكان من صدقه يرجع على أعقابه وبعود في مذهب أصحابه فلما لم يفعلوا شيئا من ذلك مع طول المدة ووقوع النصحة وكان أمره يتزايد حالا فخالا وبعلو شيئا فشيئا وهم على العجز عن القدح في آيته والطعن في دلالته علم مما بينا انهم كانوا لا يقدرون على معارضته ولا على توهين حجته وقد أخبر الله تعالى عنهم انهم قوم خصمون وقال لتنفربه قوما لدا وقال خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين وعلم أيضا ان ما كانوا يقولونه من وجوه اعتراضهم على القرآن مما حكى الله عز وجل عنهم من قولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا أساطير الاولين وقولهم ما هذا الا محر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون وقالوا أفنتون السحر وأنتم تبصرون وقالوا أننا لنتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلما وزورا وقالوا أساطير الاولين انكمتها

فهى تملى عليه بكرة وأصيلا وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا
وقوله الذين جعلوا القرآن عضين الى آيات كثيرة في نحو هذا تدل على انهم كانوا متعبرين في
أمرهم متعجبين من عجزهم بفرعون الى نحو هذه الامور من تعليل وتعذير ومدافعة بما وقع
التحدى اليه وعرف الحث عليه وقد علم منهم أنهم ناصبوه الحرب وجأهروه وناذبوه
وقطعوا الارحام وأخطروا بأنفسهم وطالبوه بالآيات والالتيان بغير ذلك من المعجزات
يريدون تعجزه ليظهروا عليه بوجه من الوجوه فكيف يجوز ان يقدر واعلى معارضته
القريبة السهولة عليهم وذلك يدحض حجته ويفسد دلالاته ويبطل أمره فيعدلون عن ذلك
الى سائر ماصاروا اليه من الامور التى ليس عليها مزيد فى المنايذة والمعاداة و يتركون
الامر الخفيف هذا مما يتنوع وقوعه فى العادات ولا يجوز اتقانه من العقلاء والى هذا قد
استقصى أهل العلم الكلام وأكثر وفى هذا المعنى وأحكموه ويمكن ان يقال انهم لو كانوا
قادرين على معارضته والالتيان بمثل ما أتى به لم يجز ان يتفق منهم ترك المعارضة وهم على
ماهم عليه من الذرابة والسلافة والمعرفة بوجوه الفصاحة وهو يستطيع عليهم بانهم
عاجزون عن مباراته وانهم يضعفون عن مجاراته ويكرر فيما جاء به ذكر عجزهم عن مثل
ما أتى به ويقرعهم ويؤنبهم عليه ويدرك آماله فيهم وينجح ما يسعى له بتركهم المعارضة وهو
يذكر فيما يتلوه تعظيم شأنه وتفخيم أمره حتى يتلو قوله تعالى قل ان ائمت جمع الانس والجن
على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وقوله ينزل الملائكة
بالروح من أمره على من يشاء من عباده ان أنذروا انه لا اله الا أنا فاتقون وقوله ولقد
آتيناك سبعامن المثاني والقرآن العظيم وقوله انانحن نزلنا الذكر واناله لحافظون وقوله
وانه لذكر لك ولقومك وسوف نسئلون وقوله هدى للثقين وقوله الله نزل أحسن الحديث
كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر
الله الى غير ذلك من الآيات التى تتضمن تعظيم شأن القرآن فيها ما يتكرر فى البسورة فى
مواضع منها ومنها ما ينفرد فيها وذلك مما يدعوهم الى المباراة ويحضهم على المعارضة
وان لم يكن متحديا اليه ألا ترى انهم قد كانوا يتنافسون فى بعضها ولهم فى ذلك
مواقف معروفة وأخبار مشهورة وأيام منقولة وكانوا يتنافسون على الفصاحة
والخطابة والذلاقة ويتبجحون بذلك ويتفاخرون بينهم فلن يجوز والحالة هذه ان يتغافلوا
عن معارضته لو كانوا قادرين عليها تحداهم اليها أولم يتحدثهم ولو كان هذا القبيل مما يقدر
عليه البشر لوجب فى ذلك أمر آخر وهو انه لو كان مقدورا للعباد لكان قد اتفق الى
وقت مبعثه من هذا القبيل ما كان يمكنهم ان يعارضوه وكانوا لا يفتقرون الى تكاف

وضعه وتعمل نظمه في الحال فلما لم نرهم احتجوا عليه بكلام سابق وخطبة متقدمة ورسالة سالفة ونظم بديع ولا عارضوه به فقالوا هذا افصح مما جئت به وأعرب منه وأهو مثله علم انه لم يكن الى ذلك سبيل وانه لم يوجد له نظير ولو كان وجد له مثل لكان ينقل اليه ولعرفناه كما نقل اليه أشعار أهل الجاهلية وكلام الفصحاء والحكماء من العرب وأدى اليه كلام الكهان وأهل الرجز والسجع والقصيد وغير ذلك من أنواع بلاغاتهم وصنوف فصاحتهم فان قيل الذي بنى عليه الامر في تثبيت مجزة القرآن انه وقع التحدى الى الاتيان بمثله وانهم عجزوا عنه بعد التحدى اليه فاذا نظر الناظر وعرف وجه النقل المتواتر في هذا الباب وجب له العلم بأنهم كانوا عاجزين عنه وما ذكرتم بوجوب سقوط تأثير التحدى وان ما أتى به قد عرف العجز عنه بكل حال قيل انما احتج الى التحدى لاقامة الحجية واظهار وجه البرهان لان المجزة اذا ظهرت فإثباتها تكون حجة بان يدعيها من ظهرت عليه ولا تظهر على مدعيها الا وهي معلومة انما من عند الله فاذا كان يظهر وجه العجز فيها للكافة بالتحدى وجب فيها التحدى لانه نزول بذلك الشبهة عن الكل وينكشف للجميع ان العجز واقع عن المعارضة والا فان مقتضى ما قدمناه من الفصل ان من كان يعرف وجوه الخطاب ويتقن مصارف الكلام وكان كاملا في فصاحته جامعا للعرفة بوجوه الصناعة لو انه احتج عليه بالقرآن وقيل له ان الدلالة على النبوة والآية على الرسالة ما أتوه عليك منه لكان ذلك بلاغا في ايجاب الحجية وتما في الزامه فرض المصير اليه وبما يؤكد هذا ان النبي صلى الله عليه وسلم قد دعا الآحاد الى الاسلام محتجا عليهم بالقرآن لانا نعلم انه لم يلزمهم تصديقه تقليدا ونعلم ان السابقين الاولين الى الاسلام لم يقلدوه وانما دخلوا على بصيرة ولم نعلمه قال لهم ارجعوا الى جميع الفصحاء فان عجزوا عن الاتيان بمثله فقد ثبتت حجتي بل لما رأهم يعلمون اعجازه ألزمهم حكمته فقبولوه وتابعوا الحق وبادروا اليه مستسلمين ولم يشكوا في صدقه ولم يربوا في وجه دلالته فن كانت بصيرته أقوى ومعرفة أبلغ كان الى القبول منه أسبق ومن اشتبه عليه وجه الاعجاز واشتبه عليه بعض شروط المعجزات وأداة النبوات كان أبطأ الى القبول حتى تكاملت أسبابه واجتمعت له بصيرته وترادفت عليه مواده وهذا فصل يجب ان يتم القول فيه بعد فليس هذا موضع له وبين ما قلناه ان هذه الآية علم يلزم الكل قبوله والانقياد له وقد علمنا تفاوت الناس في ادراكه ومعرفة وجه دلالته لان الاجمعي لا يعلم انه معجز الا بان يعلم عجز العرب عنه وهو يحتاج في معرفة ذلك الى أمور لا يحتاج اليها من كان من أهل صنعة الفصاحة فاذا عرف عجز أهل الصنعة حل محامهم وجرى مجراهم في توجه الحجية عليه وكذلك لا يعرف

المتوسط من أهل اللسان من هذا الشأن ما يعرفه العالی في هذه الصنعة فرما حل في ذلك محل الاعجمی في أن لا يتوجه عليه الحجة حتى يعرف عجز المنتهى في الصنعة عنه وكذلك لا يعرف المنتهى في معرفة الشعر وحده أو الغاية في معرفة الخطيب أو الرسائل وحدهما غور هذا الشأن ما يعرف من استكمال معرفة جميع تصاريف الخطاب ووجوه الكلام وطرق البراعة فلا تكون الحجة قائمة على المختص ببعض هذه العلوم بانفرادها دون تحققه بعجز البارع في هذه العلوم كلها عنه فأما من كان متناهيًا في معرفة وجوه الخطاب وطرق البلاغة والفنون التي يمكن فيها اظهار الفصاحة فهو متى سمع القرآن عرف اعجازه وان لم نقل ذلك أدى هذا القول الى ان يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعرف اعجاز القرآن حين أوحى اليه حتى سبر الخال بعجز أهل اللسان عنه وهذا خطأ من القول فصح من هذا الوجه ان النبي صلى الله عليه وسلم حين أوحى اليه القرآن عرف كونه معجزًا و بأن قيل له انه دلالة وعلم على نبوتك انه كذلك من قبل ان يقرأه على غيره أو يتحدث اليه سواء ولذلك قلنا ان المنتهى في الفصاحة والعلم بالاساليب التي يقع فيها التفاسيح متى سمع القرآن عرف انه معجز لانه يعرف من حال نفسه انه لا يقدر عليه ويعرف من حال غيره مثل ما يعرف من حال نفسه فيعلم ان عجزه كعجزه هو وان كان يحتاج بعد هذا الى استدلال آخر على انه علم على نبوة ودلالة على رسالة بأن يقال له ان هذه آية تنبيه وانما ظهرت عليه وادعاها معجزته وبرهانها على صدقه فان قيل فان من الفصحاء من يعلم عجز نفسه عن قول الشعر ولا يعلم مع ذلك عجز غيره عنه فكذلك البليغ وان علم عجز نفسه عن مثل القرآن فهو قد يخفى عليه عجز غيره قيل هو مع مستقر العادة وان عجز عن قول الشعر وعلم انه معجز فانه يعلم ان الناس لا ينفكون من وجود الشعراء فيهم ومتى علم البليغ المنتهى في صنوف البلاغات عجزه عن القرآن علم عجزه لانه كهو لانه يعلم ان حاله وحال غيره في هذا الباب سواء اذ ليس في العادة مثل للقرآن يجوز أو بعلم قدرة أحد من البلغاء عليه فاذا لم يكن كذلك مثل في العادة وعرف هذا المناظر جميع أساليب الكلام وأنواع الخطاب ووجد القرآن مبينا لها علم خروجها عن العادة وجرى مجرى ما يعلم ان اخراج اليد البيضاء من الجيب خارج عن العادات فهو لا يجوز من نفسه وكذلك لا يجوز وقوعه من غيره الاعلى وجه نقض العادة بل يرى وقوعه موقع المعجزة وهذا وان كان يفارق فليق البحر واخراج اليد البيضاء ونحو ذلك من وجهه وهو انه يستوى الناس في معرفة عجزهم عنه فكونه ناقضا للعادة من غير تأمل شديد ولا نظر بعيد فان النظر في معرفة اعجاز القرآن يحتاج الى تأمل ويفتقر الى مراعاة مقدمات والكشف عن أمور نحن ذاكروها بعد هذا الموضوع فكل

واحد منها يؤل الى مثل حكم صاحبه في الجمع الذي قدمنا ومما يبين ما قلناه من ان البليغ المتناهي في وجوه الفصاحة يعرف اعجاز القرآن وتكون معرفته حجة عليه اذا تحدى ليه وعجز عن مثله وان لم ينتظر وقوع التحدى في غيره وما الذي يصنع ذلك الغير وهو ما روى في الحديث ان جبير بن مطعم ورد على النبي صلى الله عليه وسلم في معنى حليف له اراد ان يفاديه فدخل والنبي صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة والطور وكتاب مسطور في صلاة الفجر قال فلما انتهى الى قوله ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع قال خشيت ان يدركني العذاب فاسلم وفي حديث آخر ان عمر بن الخطاب رضی الله عنه سمع سورة طه فاسلم وقد روى ان قوله عز وجل في أول حم السجدة الى قوله فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون نزلت في شيبه وعتبة ابني ربيعة وأبي سفيان بن حرب وأبي جهل وذكريانهم فعشواهم وغيرهم من وجوه قریش بعتبة بن ربيعة الى النبي صلى الله عليه وسلم ليكلمه وكان حسن الحديث عجيب الشأن بليغ الكلام وأرادوا ان يأتيهم بما عنده فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم سورة حم السجدة من أولها حتى انتهى الى قوله فان أعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثور فوثب مخافة العذاب فاستصكوه ما سمع فذكر انه لم يسمع منه كلمة واحدة ولا اهتدى لجوابه ولو كان ذلك من جنس كلامهم لم يخف عليه رجه الاحتجاج والرد فقال له عثمان بن مظعون لتعلموا انه من عند الله اذ لم يهتد لجوابه رأين من ذلك قول الله عز وجل وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه فجعل سماعه حجة عليه بنفسه فدل على ان فهم من يكون سماعه اياه حجة عليه فان قيل لو كان على ما قلتم لوجب ان يكون حال الفصحاء الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم على طريقة واحدة في اسلامهم عند سماعه قيل لا يجب ذلك لان صوارفهم كانت كثيرة منها انهم كانوا يشكون منهم من يشك في اثبات الصانع وفهم من يشك في التوحيد وفهم من يشك في النبوة ألا ترى ان أباسفيان بن حرب لما جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلم عام الفتح قال له النبي عليه السلام أما أن لك ان تشهد ان لا اله الا الله قال بلى فشهد قال أما أن لك ان تشهد اني رسول الله قال أما هذه ففي انفس منها شئ فكانت وجوه شكوكهم مختلفة وطرق شبههم متباينة فهم من قلت شبهه تأمل الحجة حتى تأملها ولم يستكبر فاسلم ومنهم من كثرت شبهه وأعرض عن أهل الحجة حتى تأملها أولم يكن في البلاغة على حدود النهاية فتطاول عليه الزمان الى ان طر واستبصر وراعى واعتبر واحتاج الى ان يتأمل عجز غيره عن الاتيان بمثله فلذلك قف أمره ولو كانوا في الفصاحة على مرتبة واحدة وكانت صوارفهم وأسبابهم متفقة

لتوافقوا الى القبول جملة واحدة فان قيل فكيف يعرف البليغ الذي وصفتموه اعجاز القرآن وما الوجه الذي يتطرق به اليه والمنهاج الذي يسلكه حتى يقف به على جملة الامر فيه قيل هذا سبيله ان يفرد له فصل فان قيل فلم زعمتم ان البلاغ عاجزون عن الاتيان بمثله مع قدرتهم على صنوف البلاغات وتصرفهم في أجناس الفصاحات وهلا قلتم ان من قدر على جميع هذه الوجوه البديعة وتوجه من هذه الطرق الغربية كان على مثل نظم القرآن قادرا وانما يصرفه الله عنه ضربا من الصرف أو يمنع من الاتيان بمثله ضربا من المنع أو تقصر دواعيه ودونه مع قدرته عليه لئلا يتكامل ما أراد الله من الدلالة ويحصل ما قصده من ايجاب الجملة لان من قدر على نظم كلمتين بديعتين لم يعجز عن نظم مثلهما واذا قدر على ذلك قدر على ضم الثانية الى الاولى وكذلك الثالثة حتى يتكامل قدر الآية والسورة فالجواب انه لو صح ذلك صح لكل من أمكنه نظم ربع بيت أو مصراع من بيت ان ينظم القصائد ويقول الاشعار وصح لكل ناطق قد يتفق في كلامه الكلمة البديعة نظم الخطب البليغة والرسائل العجيبة ومعلوم ان ذلك غير سائغ ولا يمكن على ان ذلك لو لم يكن معجزا على ما وصفناه من جهة نظمه الممتنع لكان مهما حط من رتبة البلاغة فيه ووضع من مقدار الفصاحة في نظمه أبلغ في الاعجوبة اذا صرفوا عن الاتيان بمثله ومنعوا عن معارضته وعدلت دواعيهم عنه فكان يستغنى عن انزاله على النظم البديع واخراجها في المعرض الفصيح العجيب على انه لو كانوا صرفوا على ما ادعاه لم يكن من قبلهم من أهل الجاهلية مصروفين عما كان يعدل به في الفصاحة والبلاغة وحسن النظم وعجيب الرصف لانهم لم يتعدوا اليه ولم تازمهم حجة فلما لم يوجد في كلام من قبله مثله علم ان ما ادعاه القائل بالصفحة ظاهر البطلان وفيه معنى آخر وهو ان أهل الصنعة في هذا الشأن اذا سمعوا كلاما مطمعا لم يخف عليهم ولم يشبهه لديهم ومن كان متناهما في فصاحته لم يعجز ان يطمع في مثل هذا القرآن بحال فان قال صاحب السؤال انه قد يطمع في ذلك قيل له أنت تزيد على هذا فترغم ان كلام الآدمي قد يضارع القرآن وقد يزيد عليه في الفصاحة ولا يتحاشاه ويحسب أن ما ألفه في الجزء والظفرة هو أبداع وأغرب من القرآن لفظا ومعنى ولكن ليس الكلام على ما يقدره مقدر في نفسه ويحسبه طان من أمره والمرجوع في هذا الى جملة الفصحاء دون الآحاد ونحن نبين بعد هذا وجه امتناعه عن الفصح البليغ وتميزه في ذلك عن سائر أجناس الخطاب ليعلم ان ما يقدره من مساواة كلام الناس به تقدير ظاهر الخطأ بين الغلط وان هذا التقدير من جنس من حكى الله تعالى قوله في محكم كتابه انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر

واستكبر فقال ان هذا الاسحر يؤثر ان هذا الا قول البشر فهم يعبرون عن دعواهم انهم يمكنهم ان يقولوا مثله بأن ذلك من قول البشر لان ما كان من قولهم فليس يقع فيه التفاضل الى الحد الذي يجاوز امكان معارضته وما يبطل ما ذكره من القول بالصرفة انه لو كانت المعارضة ممكنة وانما منع منها الصرفة لم يكن الكلام معجزا وانما يكون المنع معجزا فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه وليس هذا بأعجب مما ذهب اليه فريق منهم ان الكل قادرون على الاتيان بمثله وانما يتأخرون عنه لعدم العلم بوجه ترتيب لو تعلموه لوصلوا اليه به ولا بأعجب من قول فريق منهم انه لا فرق بين كلام البشر وكلام الله تعالى في هذا الباب وانه يصح من كل واحد منهما الاعجاز على حد واحد فان قيل فهل تقولون بان غير القرآن من كلام الله عز وجل معجز كالنوراة والانجيل والصحف قيل ليس شئ من ذلك معجز في النظم والتأليف وان كان معجزا كالقرآن فيما يتضمن من الاخبار بالغيوب وانما لم يكن معجزا لان الله تعالى لم يصفه بما وصف به القرآن ولانا قد علمنا انه لم يقع التصدي اليه كما وقع التصدي الى القرآن ولعنى آخر وهو ان ذلك اللسان لا يتأتى فيه من وجوه الفصاحة ما يقع به التفاضل الذي ينتهى الى حد الاعجاز ولكنه يتقارب وقد رأيت أصحابنا يذكرون هذا في سائر اللسنة ويقولون ليس يقع فيها من التفاوت ما يتضمن التقديم العجيب ويمكن بيان ذلك بأننا لانجد في القدر الذي نعرفه من اللسنة للشئ الواحد من الاسماء ما نعرف من اللغة وكذلك لانعرف فيها الكلمة الواحدة تتناول المعاني الكثيرة على ما تتناوله العربية وكذلك التصرف في الاستعارات والاشارات ووجوه الاستعمالات البديعة التي يجيء تفصيلها بعد هذا ويشهد لذلك من القرآن ان الله تعالى وصفه بأنه بلسان عربي مبين وكرر ذلك في مواضع كثيرة وبين انه رفعه عن ان يجعله أعجميا فلو كان يمكن في لسان العجم ايراد مثل فصاحته لم يكن ليرفعه عن هذه المنزلة وانه وان كان يمكن ان يكون من فائدة قوله انه عربي مبين انه مما يفهمونه ولا يفتقرون فيه الى الرجوع الى غيرهم ولا يحتاجون في تفسيره الى من سواهم فلا يتمتع ان يفيد ما قلنا أيضا كما أفاد بظاهره ما قدمناه وبين ذلك ان كثيرا من المسلمين قد عرفوا تلك اللسنة وهم من أهل البراعة فيها وفي العربية فقد وفقوا على انه ليس يقع فيها من التفاضل والفصاحة ما يقع في العربية ومعنى آخر وهو اننا لم نجد أهل التوراة والانجيل ادعوا الاعجاز لكلامهم ولا ادعى لهم المسلمون فعلم ان الاعجاز مما يختص به القرآن وبين هذا ان الشعر لا يتأتى في تلك اللسنة على ما قد اتفق في العربية وان كان قد يتفق منها صنف أو أصناف ضيقة لم يتفق فيها من البديع ما يمكن ويتأتى في العربية وكذلك لا يتأتى في الفارسية جميع

الوجوه التي يتبين فيها الفصاحة على ما أتت في العربية فان قيل فان المجوس تزعم ان كتاب زرادشت وكتاب ماني معجزان قيل الذي يتضمنه كتاب ماني من طريق الزيرنجيات وضروب من الشعوذة ليس يقع فيها اعجاز ويزعمون ان في الكتاب الحكم وهي حكم منقولة متداولة على اللسان لا يختص بها أمة دون أمة وان كان بعضهم أكثر اهتماما بها وتحصيلا لها وجعلها ابوابها وقد ادعى قوم ان ابن المقفع عارض القرآن وانما فرغوا الى الدرّة اليتيمة وهما كتابان أحدهما يتضمن حكما منقولة توجد عند حكماء كل أمة مذكورة بالفضل فليس فيها شيء بديع من لفظ ولا معنى والاخر في شيء من الديانات وقد نهوس فيه بما لا يخفى على متأمل وكأبه الذي بيناه في الحكم منسوخ من كتاب بزرجهر في الحكمة فأى صنع له في ذلك وأي فضيلة حازها فيما جاء به وبعد فليس يوجد له كتاب يدعى مدع انه عارض فيه القرآن بل يزعمون انه اشتغل بذلك مدة ثم مرق ما جمع واستحيا لنفسه من اظهاره فان كان كذلك فقد أصاب وأبصر القصد ولا يمنع ان يشبهه عليه الحال في الابتداء ثم يلوح له رشده ويتبين له أمره وينكشف له عجزه ولو كان بقي على اشتباه الحال عليه لم يخف علينا موضع غفلته ولم يشبهه لذيها وجه شبهته ومتى أمكن ان تدعى الفرس في شيء من كتبهم انه معجز في حسن تأليفه وبجيب نظمه

فصل في جملة وجوه اعجاز القرآن

ذكر اصحابنا وغيرهم في ذلك ثلاثة اوجه من الاعجاز • أحدها يتضمن الاخبار عن الغيوب وذلك مما لا يقدر عليه البشر ولا سميل لهم اليه فن ذلك ما وعد الله تعالى نبيه عليه السلام انه سيظهر دينه على الاديان بقوله عز وجل هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ففعل ذلك وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه اذا أغزى جيوشه عرفهم ما وعدهم الله من اظهار دينه ليثقوا بالنصر ويستيقنوا بالنجح وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يفعل كذلك في أيامه حتى وقف أصحاب جيوشه عليه فكان سعد بن أبي وقاص رجه الله وغيزه من أمراء الجيوش من جهته بذلك لاصحابه وبحرضهم به ويوثق لهم وكانوا يلقون الظفر في موجهاتهم حتى فتح الى آخر أيام عمر رضى الله عنه الى بلخ وبلاد الهند وفتح في أيامه مرو والشاهجان ومرو الروذ ومنعهم من العبور بيجيون وكذلك فتح في أيامه فارس الى اصطخر وكرمان ومكران وسجستان وجميع ما كان من مملكة كسرى وكل ما كان يملكه ملوك الفرس بين البحرين من الفرات الى جيمون وأزال ملك

ملوك الفرس فلم يعد الى اليوم ولا يعود ابدا ان شاء الله تعالى ثم الى حدود ارمينية والى باب الابواب وفتح ايضا ناحية الشام والاردن وفلسطين وقسطاط مصر وأزال ملك قيصر عنها وذلك من الفرات الى بحر مصر وهو ملك قيصر وغزت الخيول في أيامه الى عمورية فأخذ الضواحي كلها ولم يبق دونها الا ما جزدونه بحر أو حال عنه جبل منيع أو أرض خشنة أو بادية غير مساوكة وقال الله عز وجل قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد فصدق فيه وقال في أهل بدر واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وفي لهم ما وعد وجميع الآيات التي يتضمنها القرآن من الاخبار عن الغيوب يكثر جدا وانما أردنا أن نبه البعض على السكل والوجه الثاني انه كان معلوما من حال النبي صلى الله عليه وسلم انه كان أميا لا يكتب ولا يحسن ان يقرأ وكذلك كان معروفا من حاله انه لم يكن يعرف شيئا من كتب المتقدمين وأطاصبهم وأبنائهم وسيرهم ثم أتى بجملة ما وقع وحدث من عظيمات الامور ومهمات السير من حين خلق الله آدم عليه السلام الى حين مبعثه فذكر في الكتاب الذي جاء به مجزة له قصة آدم عليه السلام وابتداء خلقه وما صار اليه أمره من الخروج من الجنة ثم جلا من أمر ولده وأحواله وتوابعه ثم ذكر قصة نوح عليه السلام وما كان بينه وبين قومه وما انتهى اليه أمره وكذلك أمر ابراهيم عليه السلام الى ذكر سائر الانبياء المذكورين في القرآن والملوك والفرعنة الذين كانوا في أيام الانبياء صلوات الله عليهم ونحن نعلم ضرورة أن هذا مما لا سبيل اليه الا عن تعلم واذا كان معروفا انه لم يكن ملاسبا لأهل الآثار وجملة الاخبار ولا مترددا الى التعلم منهم ولا كان ممن يقرأ فيجوز أن يقع اليه كتاب فباخذ منه علم أنه لا يصل الى علم ذلك الا بتأييد من جهة الوحي ولذلك قال عز وجل وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطون وقال وكذلك انفصل الآيات وليقولوا درست وقد بينا ان من كان يختلف الى تعلم علم ويستغل بملابسة أهل صنعة لم يخف على الناس أمره ولم يختلف عندهم مذهبه وقد كان يعرف فهم من يحسن هذا العلم وان كان نادرا وكذلك كان يعرف من يختلف اليه للتعليم وليس يخفى في العرف عالم كل صنعة ومتعلمها فلو كان منهم لم يخف أمره والوجه الثالث انه بديع النظم عجيب التأليف متناه في البلاغة الى الحد الذي يعلم بحجز الخلق عنه والذي أطلقه العلماء هو على هذه الجملة ونحن نفصل ذلك بعض التفصيل ونكشف الجملة التي أطلقوها فالذي يشتمل عليه بديع نظمه المتضمن للاعجاز وجوه منها ما يرجع الى الجملة وذلك ان نظم القرآن على تصرف وجوهه واختلاف مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم

ومباين للألوف من ترتيب خطابهم وله أسلوب يختص به ويميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد وذلك أن الطرق التي يتقيد بها الكلام البديع المنظوم تنقسم الى أعاريض الشعر على اختلاف أنواعه ثم الى أنواع الكلام الموزون غير المقفى ثم الى أصناف الكلام المعدل المسجع ثم الى معدل موزون غير مسجع ثم الى ما يرسل ارسالا فتطلب فيه الاصابة والافادة وافهام المعاني المعترضة على وجه بديع وترتيب الطيف وان لم يكن معتدلا في وزنه وذلك شبيهه بجملة الكلام الذي لا يتجمل ولا يتصنع له وقد علمنا ان القرآن خارج عن هذه الوجوه ومباين لهذه الطرق ويبقى علينا أن نبين أنه ليس من باب السجع ولا فيه شئ منه وكذلك ليس من قبيل الشعر لان من الناس من زعم أنه كلام مسجع ومنهم من يدعى ان فيه شعرا كثيرا والكلام عليهم يذكر بعده هذا الموضوع فهذا اذا تأمله المتأمل تبين بخروجه عن أصناف كلامهم وأساليب خطابهم أنه خارج عن العادة وأنه معجز وهذه خصوصية ترجع الى جملة القرآن وتميز حاصل في جميعه ومنها أنه ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة والتصرف البديع والمعاني اللطيفة والفوائد العزيرة والحكم الكثيرة والتناسب في البلاغة والتشابه في البراعة على هذا الطول وعلى هذا القدر وانما تنسب الى حكمهم كلمات معدودة وألفاظ قليلة والى شاعرهم قصائد محصورة يقع فيها ما يبينه بعد هذا من الاختلال ويعترضها ما تكشفه من الاختلاف ويقع فيها ما تبديه من التجمل والتكلف والتعسف وقد حصل القرآن على أكثره وطوله متناسبا في الفصاحة على ما وصفه الله تعالى به فقال عز من قائل الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فأخبر أن كلام الأدي ان امتد وقع فيه التفاوت وبان عليه الاختلال وهذا المعنى هو غير المعنى الاول الذي بدأنا به كره فتأمله تعرف الفضل وفي ذلك معنى ثالث وهو أن عجيب نظمه وبديع تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين على ما يتصرف اليه من الوجوه التي يتصرف فيها من ذكر قصص ومواعظ واحتجاج وحكم وأحكام واعذار وانذار ووعود وعيد وتبشير وتخويف وأوصاف وتعليم أخلاق كريمة وشيم رفيعة وسير مأثورة وغير ذلك من الوجوه التي يشتمل عليها وتجدد كلام البليغ الكامل والشاعر المطلق والخطيب المصقع يختلف على حسب اختلاف هذه الامور فن الشعراء من يجود في المدح دون الهجو ومنهم من يبرز في الهجو دون المدح ومنهم من يسبق في التقريظ دون التابين ومنهم من يجود في التابين دون التقريظ ومنهم من يغرب في وصف الابل أو الخيل أو سير الليل أو وصف الحرب أو وصف الروض أو وصف

الجرأ والغزل وغير ذلك مما يشتمل عليه الشعر ويتداوله الكلام ولذلك ضرب المثل
بأمرئ القيس اذاركك والنانبة اذارهب وبزهر اذارغب ومثل ذلك يختلف في
الخطب والرسائل وسائر أجناس الكلام ومتى تأملت شعر الشاعر البليغ رأيت
التفاوت في شعره على حسب الاحوال التي يتصرف فيها فيأتى بالغاية في البراعة في معنى
فاذا جاء الى غيره قصر عنه ووقف دونه وبان الاختلاف على شعره ولذلك ضرب المثل بالذين
سميتهم لانه لا خلاف في تقدمهم في صنعة الشعر ولاشك في تبريزهم في مذهب النظم فاذا
كان الاختلال بينا في شعرهم لا اختلاف ما يتصرفون فيه واستغنينا عن ذكر من هو دونهم
وكذلك يستغنى به عن تفصيل نحو هذا في الخطب والرسائل ونحوها ثم نجد في الشعراء من
يجود في الرجز ولا يمكنه نظم القصيدة أصلا ومنهم من ينظم القصيدة ولكن يقصر فيه مهما
تكلفه أو عمله ومن الناس من يجود في الكلام المرسل فاذا أتى بالموزون قصر ونقص
نقصانا عجيبا ومنهم من يوجد بضد ذلك وقد تأملنا نظم القرآن فوجدنا جميع ما يتصرف
فيه من الوجوه التي قلنا من اذكرها على حد واحد في حسن النظم وبديع التأليف والرصف
لا تفاوت فيه ولا انحطاط عن المتزلة العليا ولا اسفال فيه الى الرتبة الدنيا وكذلك قد
تأملنا ما يتصرف اليه وجوه الخطاب من الآيات الطويلة والقصيرة فرأينا الاجاز في
جميعها على حد واحد لا يختلف وكذلك قد تتفاوت كلام الناس عند اعادة ذكر القصة
الواحدة فرأيناها غير مختلف ولا متفاوت بل هو على نهاية البلاغة وغاية البراعة
فعلينا بذلك انه مما لا يقدر عليه البشر لان الذي يقدرون عليه قد بينا فيه التفاوت
الكثير عند التكرار وعند تبين الوجوه واختلاف الاسباب التي يتضمن ●
ومعنى رابع وهو ان كلام الفحهاء يتفاوت تفاوتنا بينا في الفصل والوصل والعلق
والنزول والتقريب والتباعد وغير ذلك مما ينقسم اليه الخطاب عند النظم ويتصرف فيه
القول عند الضم والجمع الأتري ان كثيرا من الشعراء قد وصف بالنقص عند التنقل
من معنى الى غيره والخروج من باب الى سواه حتى ان أهل الصنعة قد اتفقوا على تقصير
الجهترى مع جودة نظمه وحسن وصفه في الخروج من النسيب الى المديح وأطبقوا على أنه
لا يحسنه ولا يأتي فيه بشئ وانما اتفق له في مواضع معدودة خروج يرتضى وتثقل يستحسن
وكذلك يختلف سبيل غيره عند الخروج من شئ الى شئ والتحول من باب الى باب ونحن
نفضل بعد هذا ونفسر هذه الجملة ونبين على أن القرآن على اختلاف ما يتصرف فيه من
الوجوه الكثيرة والطرق المختلفة يجعل المختلف كالمؤتلف والمتباين كالمتناسب والمتناظر
في الافراد الى حد الآحاد وهذا أمر عجيب تبين فيه الفصاحة وتظهر به البلاغة ويخرج

به الكلام عن حد العادة ويتجاوز العرف * ومعنى خامس وهو أن نظم القرآن وقع موقعا في البلاغة يخرج عن عادة كلام الانس والجن فهم يجزون عن الاتيان بمثله كجبرنا ويقصرون دونه كقصورنا. وقد قال الله عز وجل "قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا" فان قيل هذه دعوى منك وذلك أنه لا سبيل لنا الى أن نعلم عجز الجن عن مثله وقد يجوز أن يكونوا قادرين على الاتيان بمثله وان كما عجزين كما أنهم قديقدرون على أمور لطيفة وأسباب غامضة دقيقة لا نقدر نحن عليها ولا سبيل لنا للطفها اليها واذا كان كذلك ليكن الى علم ما دعيت سبيل قيل قديمكن أن نعرف ذلك بخبر الله عز وجل "وقديمكن أن يقال ان هذا الكلام خرج على ما كانت العرب تعتقده من مخاطبة الجن وما يروون لهم من الشعر ويحكمون عنهم من الكلام وقد علمنا أن ذلك محفوظ عندهم منقول عنهم والقدر الذي نقلوه قد تأملناه فهو في الفصاحة لا يتجاوز حد فصاحة الانس ولعله يقصر عنها ولا يتمتع ان يسمع الناس كلامهم ويقع بينهم وبينهم محاورات في عهد الانبياء صلوات الله عليهم وذلك الزمان مما لا يتمتع فيه وجود ما ينقض العادات على أن القوم الى الآن يعتقدون مخاطبة الغيلان ولهم أشعار محفوظة مروية في دواوينهم قال تائب شرا

وأدهم قد حبت جلبابه * كما احتابت الكاعب الخيعلا
الى ان حد الصبح اتاهه * ومزق جلبابه الايـلا
على شيم نار تنورتها * فبت لها مدبرا مقبـلا
فأصبحت والغول لي جارة * فيا جارتنا أنت ما أهـولا
وطالبتها بضعها فالتوت * بوجه تهول واسـتغولا
فن سال أين ثوت جارتى * فان لها بالوى مـنزلا
وكنت اذا ماهمت اعترهـت * وأحراذا قت أن أفعلا
(وقال آخر) عشوانارى فقلت منون أنتم * فقالوا الجن قلت عموا ظلما
فقت الى الطعام فقال منهم * زعيم يحسد الانس الطعاما
ويذكرون لامرئ القيس قصيدة مع عمرو الجنى وأشعارا لهما كرهنا ذكرها الطولها
وقال عبيد بن أيوب

فلة در الغول أى رقيقة * لصاحب قفسر خائف متقفر

أرنت لجن بعد لجن وأوقدت * حوالى نيرانا تبوخ وتزهر

وقال ذو الرمة بعد قوله

قد أعسف النازح المجهول معسفه * في ظل أخضر يدعو هامة اليوم
للجن بالليل في حافاتها زجل * كما تناوح يوم الريح عيشوم
دوية ودجا ليل كانهما * يمّ تراطن في حافاته الروم
(وقال أيضا)

وكم عرست بعد النوى من معرس * إهامن كلام الجن أصوات سامر
(وقال) ورمل عزيف الجن في عقباته * هزير كتضراب المغنين بالطبيل
وإذا كان القوم يعتقدون كلام الجن ومخاطباتهم ويحكون عنهم وذلك القدر المحكي
لا يزيد أمره على فصاحة العرب صح ما وصف عندهم من عجزهم عنه كعجز الانس وبين
ذلك من القرآن أن الله تعالى حكى عن الجن ما تناوؤوا فيه من القرآن فقال واذصر فنا
اليك نفر من الجن يستمعون القرآن فلما حضروا قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم
منذرين الى آخر ما حكى عنهم فيما يتلوه فاذا ثبت انه وصف كلامهم ووافق ما يعتقده
من نقل خطابهم صح ان يوصف الشيء المألوف بأنه يخط عن درجة القرآن في الفصاحة
وهذان الجوابان أسد عندي من جواب بعض المتكلمين عنه بأن عجز الانس عن القرآن
يثبت له حكم العجاز فلا يعتبر غيره الا ترى انه لو عرفنا من طريق المشاهدة عجز الجن
عنه فقال لنا قائل فدلوا على ان الملائكة تجر عن الاتيان بمثله لم يكن لنا في الجواب غير هذه
الطريقة التي قد بيناها وانما ضعض هذا الجواب لان الذي حكى وذكر عجز الجن والانس
عن الاتيان بمثله فيجب ان نعلم عجز الجن عنه كما علمنا عجز الانس عنه ولو كان وصف عجز
الملائكة عنه لوجب ان نعرف ذلك أيضا بطريقه فان قيل أنتم قد انتهيت الى ذكر العجاز
في التفاصيل وهذا الفصل انما يدل على العجاز في الجملة قيل هذا كما انه يدل على الجملة فانه
يدل على التفصيل أيضا فصح ان يلحق هذا القبيل كما كان يصح ان يلحق بياب الجمل *
ومعنى سادس وهو ان الذي ينقسم عليه الخطاب من البسط والاقتصار والجمع والتفريق
والاستعارة والتصريح والتجوز والتحقيق ونحو ذلك من الوجوه التي توجد في كلامهم
موجود في القرآن وكل ذلك مما يتجاوز حدود كلامهم المعتاد بينهم في الفصاحة والابداع
والبلاغة وقد ضمننا بيان ذلك بعد لان الوجه هنا ذكر المقدمات دون البسط
والتفصيل * ومعنى سابع وهو ان المعاني التي تتضمن في أصل وضع الشريعة والاحكام
والاحتياجات في أصل الدين والرد على المخدنين على تلك الالفاظ البديعة وموافقة بعضها
بعضا في اللطف والبراعة مما يتعذر على البشر ويمنع ذلك انه قد علم ان تخير الالفاظ للمعاني
المتداولة المألوفة والاسباب الدائرة بين الناس أسهل وأقرب من تخير الالفاظ لمعاني

مبتكرة وأسباب مؤسدة مستعدنة فلو أبرع اللفظ في المعنى البارع كان أظف وأعجب من ان يوجد اللفظ البارع في المعنى المتداول المتكرر والامر المتكرر المنصور ثم ان انضاف الى ذلك التصرف البديع في الوجوه التي تتضمن تأنيده ما ابتدأ تأسيسه ويراد تحقيقه بان التفاضل في البراعة والفصاحة ثم اذا وجدت الالفاظ وفق المعنى والمعاني وفقها لا يفضل أحدهما على الآخر فالبراعة أظهر والفصاحة أتم ومعنى ثامن وهو ان الكلام يبين فضله ورجحان فصاحته بأن تذكر منه الكلمة في نضعيف كلام أو نقد ما بين شعر فتأخذ الاسماع وتشوق اليه النفوس ويرى وجهه ونقه باديا عامرا سائر ما يقرب به كالذرة التي ترى في سلك من خرز وكالباقوتة في واسطة العقد وأنت ترى الكلمة من القرآن يقبل بها في نضعيف كلام كثير وهي غرة جميعه وواسطة عقده والمنادى على نفسه بتميزه وتخصصه برنقه وجماله واعتراضه في جنسه ومائه وهذا الفصل أيضا مما يحتاج فيه الى تفصيل وشرح ونص ليحقق ما ادعينا منه ولو لا هذه الوجوه التي بيناهم لخبير فيه أهل الفصاحة ولكانوا يفرغون الى التعلل للقابلة والتصنع للمعارضة وكانوا ينظرون في أمرهم ويراجعون أنفسهم أو كان يراجع بعضهم بعضا في معارضته ويتوقفون لها فلما لم نرهم اشتغلوا بذلك علم ان أهل المعرفة منهم بالصنعة انما عدلوا عن هذه الامور لعلمهم بجزمهم عنه وقصور فصاحتهم دونه ولا يتسع ان يلتبس على من لم يكن بارعا فيهم ولا متقدما في الفصاحة منهم هذه الحال حتى لا يعلم الا بعد نظر وتأمل وحتى يعرف حال عجز غيره الا انا رأيت اصناديدهم وأعيانهم ووجوههم سلما ولم يشتغلوا بذلك تحقيقا بظهور العجز وتبينه وأما قوله تعالى حكاية عنهم قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا فقد يمكن ان يكونوا كاذبين فيما أخبروا به عن أنفسهم وقد يمكن ان يكون هذا الكلام انما خرج منهم وهو يدل على عجزهم ولذلك أو رده الله مورد تقرير بهم لانه لو كانوا على ما وصفوا به أنفسهم لكانوا يتجاوزون الوعد الى الانجاز والضمن الى الوفاء فلما لم يستعملوا ذلك مع استمرار التحدى وتناول زمان الضميمة في اقامة الحجج عليهم بجزمهم عنه علم عجزهم اذ لو كانوا قادرين على ذلك لم يقتصروا على الدعوى فقط ومعلوم من حالهم وجميهم ان الواحد منهم يقول في الحشرات والهوام والحيات وفي وصف الازمة والانساع والامور التي لا يؤبه لها ولا يحتاج اليها ويتنافسون في ذلك أشد التنافس ويتجبحون به أشد التجبح فكيف يجوز ان تمكنهم معارضته في هذه المعاني الفسيحة والعبارات النصيحة مع تضمن المعارضة تكذيبه والذب عن أديانهم القديمة واخراجهم أنفسهم من تسفيهه وأبهم وتضليله اياهم والخلص من منازعته ثم من محاربتة ومقارعتة ثم لا يفعلون شيئا من ذلك وانما

يحيون أنفسهم على التعاليل وبعالونها بالباطيل * ومعنى تأسع وهو ان الحروف التي بنى عليها كلام العرب تسعة وعشرون حرفا وعدد السور التي افتتح فيها بذكر الحروف ثمان وعشرون سورة وجملة ما ذكر من هذه الحروف في أوائل السور من حروف المعجم نصف الجملة وهو أربعة عشر حرفا ليبدل بالذكور على غيره وليعرفوا أن هذا الكلام منتظم من الحروف التي ينظمون بها كلامهم والذي ينقسم اليه هذه الحروف على ما قسمه أهل العربية وبنوا عليها وجوهها أقسام نحن ذاكرها • فمن ذلك أنهم قسموها الى حروف مهموسة وأخرى مجهورة فالمهموسة منها عشرة وهي الحاء والهاء والخاء والكاف والشين والتاء والفاء والتاء والصاد والسين وما سوى ذلك من الحروف فهي مجهورة وقد عرفنا أن نصف الحروف المهموسة مذكورة في جملة الحروف المذكورة في أوائل السور وكذلك نصف الحروف المجهورة على السواء لزيادة ولا نقصان والمجهور معناه أنه حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع أن يجرى معه حتى ينقضى الاعتماد ويجرى الصوت والمهموس كل حرف ضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى معه النفس وذلك مما يحتاج الى معرفته لتبنتي عليه أصول العربية وكذلك مما يقسمون اليه الحروف يقولون انها على ضربين أحدهما حروف الحلق وهي ستة أحرف العين والحاء والهمزة والهاء والخاء والغين والنصف من هذه الحروف مذكور في جملة الحروف التي تشتمل عليها الحروف المنبئية في أوائل السور وكذلك النصف من الحروف التي ليست بحروف الحلق وكذلك تنقسم هذه الحروف الى قسمين آخرين أحدهما حروف غير شديدة والى الحروف الشديدة وهي التي تمنع الصوت أن يجرى فيه وهي الهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء والذال والطاء والباء وقد علمنا أن نصف هذه الحروف أيضا هي مذكورة في جملة تلك الحروف التي بنى عليها تلك السور ومن ذلك الحروف المطبقة وهي أربعة أحرف وما سواها منفتحة فالمطبقة الطاء والطاء والصاد والصاد وقد علمنا أن نصف هذه في جملة الحروف المبدوء بها في أوائل السور واذا كان القوم الذين قسموا في الحروف هذه الاقسام لاغراض لهم في ترتيب العربية وتزويلها بعد الزمان الطويل من عهد النبي صلى الله عليه وسلم ورأوا مباني اللسان على هذه الجهة وقد نيه بما ذكر في أوائل السور على ما لم يذكر على حد التنصيف الذي وصفنا دل على أن وقوعها الموقع الذي يقع التواضع عليه بعد العهد الطويل لا يجوز أن يقع الا من الله عز وجل لان ذلك يجرى مجرى علم الغيوب وان كان انما نهبوا على ما بنى عليه اللسان في أصله ولم يكن لهم في التقسيم شيء وانما التأثير لمن وضع أصل اللسان فذلك أيضا من البديع

الذي يدل على ان أصل وضعه وقع موقع الحكمة التي يقصر عنها اللسان فان كان أصل اللغة توقيفا فالامر في ذلك أبين وان كان على سبيل التواضع فهو عجيب أيضا لانه لا يصح أن تجتمع همهم المختلفة على نحو هذا إلا بأمر من عند الله تعالى وكل ذلك يوجب اثبات الحكمة في ذكر هذه الحروف على حد يتعلق به العجاز من وجه وقد يمكن ان تعاد فاتحة كل سورة لفائدة تخصها في النظم اذا كانت حروفا كنعو الم لان الالف المبدوء بها هي أقصاها مطالعا واللام متوسطة والمم من طرفه لانها تأخذ في الشفة فنبه بذكرها على غيرها من الحروف وبين انه اعلم انهم بكلام منظوم بما يتعارفون من الحروف التي ترد بين هذين الطرفين ويشبه أن يكون التنصيف وقع في هذه الحروف دون الالف لان الالف قد تلتقى وقد تقع الهزة وهي موقعا واحدا * ومعنى عاشر وهو انه سهل سبيله فهو خارج عن الوحشي المستكره والغريب المستنكر وعن الصنعة المتكلفة وجعله قريبا الى الافهام يبادر معناه لفظه الى القلب ويسابق المعزى منه عبارته الى النفس وهو مع ذلك تمتنع المطلب عسير المتناول غير مطمع مع قر به في نفسه ولا موهوم مع دنوه في موقعه أن يقدر عليه أو يظفر به فأما الانحطاط عن هذه الرتبة الى رتبة الكلام المبذل والقول المسفسف فليس يصح ان تقع فيه فصاحة أو بلاغة فيطلب فيه التمتع أو يوضع فيه العجاز ولكن لو وضع في وحشي مستكره أو غير بوجوه الصنعة وأطبق بأبواب التعسف والتكلف لكان لقاتل ان يقول فيه ويعتذر ويعيب ويقرع ولكنه أوضح مناره وقرب منهاجه وسهل سبيله وجعله في ذلك متشابهام تماثلا وبين مع ذلك عجازهم فيه وقد علمت ان كلام فصحايتهم وشعر بلغائهم لا ينفك من تصرف في غريب مستنكر أو وحشي مستكره ومعان مستبعدة ثم عدولهم الى كلام مبذل وضيع لا يوجد ونه في الرتبة ثم تحوّلهم الى كلام معتدل بين الامر من متصرف بين المنزلتين فن شاء ان يتحقق هذا نظري في قصيدة امرئ القيس • قفانك من ذكرى حبيب ومنزل * ونحن نذكر بعد هذا على التفصيل ما يتصرف اليه هذه القصيدة ونظائر ها ومنزلتها من البلاغة ونذكر وجه فوت نظم القرآن محلها على وجه يؤخذ باليد ويتناول من كتب ويتصور في النفس كتصور الاشكال لبيّن ما ادعيناه من الفصاحة العجيبة للقرآن واعلم ان من قال من أصحابنا ان الاحكام معللة بعلة موافقة مقتضى العقل جعل هذا وجه العجاز وجعل هذه الطريقة دلالة فيه كنهوما يعالجون به الصلاة ومعظم الفروض وأصولها ولهم في كثير من تلك العلة طرق قريبة ووجوه تستحسن وأصحابنا من أهل خراسان يولعون بذلك ولكن الاصل الذي يبنون عليه عندنا غير مستقيم وفي ذلك كلام يأتي في كتابنا في الاصول وقد يمكن في

تفاصيل ما أوردنا من المعاني الزيادة والافراد فانا جمعنا بين امور وذكرنا المزية المتعلقة بها وكل واحد من تلك الامور مما قد يمكن اعتماده في اظهار الاعجاز فيه فان قيل فهل تزعمون انه معجز لانه حكاية للكلام القديم سبحانه اولانه عبارة عنه اولانه قديم في نفسه قيل لسنا نقول بأن الحروف قديمة فكيف يصح التركيب على الفاسد ولا نقول أيضا ان وجه الاعجاز في نظم القرآن انه حكاية عن الكلام القديم لانه لو كان كذلك لكانت التوراة والانجيل وغيرهما من كتب الله عز وجل معجزات في النظم والتأليف وقد بينا أن اعجازها في غير ذلك وكذلك كان يجب ان تكون كل كلمة مفردة معجزة بنفسها ومفردة وقد ثبت خلاف ذلك

فصل في شرح ما بينا من وجوه اعجاز القرآن

فأما الفصل الذي بدأنا بذكره من الاخبار عن الغيوب والصدق والاصابة في ذلك كله فهو كقوله تعالى قل للخلفين من الاعراب استدعون الى قوم اولى بأس شديد تقاتلوا منهم أو يسلمون فأغزاهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما الى قتال العرب والفرس والروم وكقوله الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد عليهم سيغلبون في بضع سنين وراهن أبو بكر الصديق رضي الله عنه في ذلك وصدق الله وعده وكقوله في قصة أهل بدر سهزم الجمع ويولون الدبر وكقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لتخافون وكقوله واذ بعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم في قصة أهل بدر وكقوله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا وصدق الله تعالى وعده في كل ذلك وقال في قصة المخلفين عنه في غزوته ان تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا فحق ذلك كله وصدق ولم يخرج من المخالفين الذين خوطبوا بذلك معه أحد وكقوله ليظهره على الدين كله وكقوله قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبنتل فنجعل لعنة الله على الكاذبين فامتنعوا من المباهلة ولو أجابوا إليها اضطرت عليهم الاودية تاراعلى ما ذكر في الخبر وكقوله قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولن يتموه أبدا بما قدمت أيديهم ولو تمنوه لو وقع بهم فهذا وما أشبهه فصل • وأما الوجه الثاني الذي ذكرناه من اخباره عن قصص الاولين وسير المتقدمين فن العجيب الممتنع على من لم يقف على الاخبار ولم يشغل بدرس الآثار وقد حكى في القرآن تلك الامور حكاية

من شهدها وحضرها ولذلك قال الله تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون وقال وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين وقال وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك فين وجه دلالته من اخباره بهذه الامور الغائبة السالفة وقال تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا الآية فأما الكلام في الوجه الثالث وهو الذي بيناه من الاعجاز الواقع في النظم والتأليف والرصف فقد ذكرنا من هذا الوجه وجوهها منها انقلنا انه نظم خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلامهم ومباين لاساليب خطابهم ومن ادعى ذلك لم يكن له بد من ان يجمع انه ليس من قبيل الشعر ولا السجع ولا الكلام الموزون غير المقفى لان قوما من كفار قريش ادعوا انه شعر ومن المخدعة من يزعم ان فيه شعرا ومن اهل الملة من يقول انه كلام مسجع الا انه أفصح مما قد اعتادوه من أمجاءهم ومنهم من يدعى انه كلام موزون فلا يخرج بذلك عن اصناف ما يتعارفونه من الخطاب

فصل في نبي الشعر من القرآن

قد علمنا ان الله تعالى نبي الشعر من القرآن ومن النبي صلى الله عليه وسلم فقال وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين وقال في ذم الشعراء والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر انهم في كل واد يهيمون الى آخر ما وصفهم به في هذه الآيات فقال وما هو بقول شاعر وهذا يدل على ان ما حكاها عن الكفار من قولهم انه شاعر وان هذا شعر لا بد من ان يكون محمولا على انهم نسبوه في القرآن الى ان الذي أتاهم به هو من قبيل الشعر الذي يتعارفونه على الاعاريض المحصورة المألوفة أو يكون محمولا على ما كان يطلق الفلاسفة على حكاياتهم وأهل الفطنة منهم في وصفهم اياهم بالشعر لدقة نظرهم في وجوه الكلام وطرق لهم في المنطق وان كان ذلك الباب خارجا عما هو عند العرب شعر على الحقيقة أو يكون محمولا على انه اطلق من بعض الضعفاء منهم في معرفة أوزان الشعر وهذا أبعد الاحتمالات فان جل على الوجهين الاولين كان ما اطلقوه صحيحا وذلك ان الشاعر يظن لما لا يظن له غيره واذا قدر على صنعة الشعر كان على مادونه في رأيهم وعندهم أقدر فنسبوه الى ذلك لهذا السبب فان زعم زاعم انه قد وجد في القرآن شعرا كثيرا فن ذلك ما يزعمون انه بيت تام أو آيات تامة ومنه ما يزعمون انه مصراع كقول القائل قد قلت لما حاولوا سلوتي * ههنا ههنا لما توعدون

ومما يزعمون انه بيت قوله

وجفان كالجواب * وقدور راسيات

قالوا هو من الرمل من البحر الذي قيل فيه

ساكن الريح نطو * في المزن منخل العزالي

وكقوله من تزكى فاعما * يتركى لنفسه

كقول الشاعر من بحر الخفيف

كل يوم بشمسه * وغد مثل أمسه

وكقوله عز وجل

ومن ينق الله يجعل له مخرجا * ويرزقه من حيث لا يحتسب

قالوا هو من المتقارب وكقوله

ودانية عليهم ظلالها * وذلت طوفوها تذبذبا

ويشبعون حركة الميم فيزعمون انه من الرجز وذكر عن أبي نواس انه ضمن ذلك شعرا وهو قوله

وقتية في مجلس وجوههم * ربحانهم قد عدموا التثقبلا

دانية عليهم ظلالها * وذلت طوفوها تذبذبا

وقوله عز وجل

ويجزهم وينصرم عليهم * ويشف صدور قوم مؤمنينا

زعموا انه من الوافر كقول الشاعر

لما غم نسوقها غزار * كأن قرون جلتها عصي

وكقوله عز وجل

أرأيت الذي يكذب بالذي — من فذلك الذي يدع اليتيم

ضمنه أبو نواس في شعره ففصل وقال فذاك الذي وشعره

وقرأ معلنا ليصدع قلبي * والهوى يصدع الفؤاد السقبيا

أرأيت الذي يكذب بالذي — من فذاك الذي يدع اليتيما

وهذا من الخفيف كقول الشاعر

وفؤادى كعهده بسليبي * بهوى لم يحل ولم يتغير

وكما ضمنه في شعره من قوله

سبحان من سخر هذا لنا * حقا وما كآله مقرنين

فزا فيه حتى انتظم له الشعر وكما يقولونه في قوله عز وجل والعاديات ضبحا فالموريات قدحا

ونحو ذلك في القرآن كثير كقوله والذاريات ذروا فالخاملات وقرا فالجاريات يسرا وهو عندهم شعر من بحر البسيط والجواب عن هذه الدعوى التي ادعوها من وجوه •
 أولها ان الفصحاء منهم حين أورد عليهم القرآن لو كانوا يعتقدونه شعرا ولم يروه خارجا عن أساليب كلامهم لبادروا الى معارضته لان الشعر مسخر لهم سهل عليهم لهم فيه ما قد علمت من التصرف المحيى والاقدار اللطيف فلما لم يزدوا به اشتغلوا بذلك ولا عولوا عليه علم انهم لم يعتقدوا فيه شيئا مما يقدره الضعفاء في الصنعة والمردون في هذا الشأن وان استدرأ من يحيىء الآن على فصحاء قريش وشعراء العرب قاطبة في ذلك الزمان وبلغناهم وخطبائهم وزعمه انه قد ظفر بشعر في القرآن ذهب أولئك النفر عنه وخفي عليهم معشدة حاجاتهم الى الطعن في القرآن والغض منه والتوصل الى تكذيبه بكل ما قدروا عليه فلن يجوز ان يخفى على أولئك وان يجهلوه ويعرفه من جاء الآن وهو بالجهل حقيق واذا كان كذلك علم ان الذي أجاب به العلماء عن هذا السؤال شديد وهو انهم قالوا ان البيت الواحد وما كان على وزنه لا يكون شعرا وأقل الشعر بيتان فصاعدا والى ذلك ذهب أكثر أهل صناعة العربية من أهل الاسلام وقالوا أيضا ان ما كان على وزن بيتين الا انه يختلف رويهما وقافيتهما فليس بشعر ثم منهم من قال ان الرجز ليس بشعرا أصلا لاسيما اذا كان مشطورا أو منوها وكذلك ما كان يقارنه في قلة الاجزاء وعلى هذا يسقط السؤال ثم يقولون ان الشعر انما يطلق متى قصد القاصد اليه على الطريق الذي يتعمد ويسلك ولا يصح ان يتفق مثله الا من الشعراء دون ما يستوى فيه العامى والجاهل والعالم بالشعر واللسان ونصرفه وما يتفق من كل واحد فليس يتكسب اسم الشعر ولا صاحبه اسم شاعر لانه لو صح ان يسمى كل من اعترض في كلامه ألفاظ تنزن بوزن الشعر أو تنتظم انتظام بعض الاعاريض كان الناس كلهم شعراء لان كل متكلم لا ينفك من ان يعرض في جملة كلام كثير يقوله ما قد يتزن بوزن الشعر وينتظم انتظامه ألا ترى ان العامى قد يقول لصاحبه أغلق الباب واتننى بالطعام ويقول الرجل لصاحبه اكرموا من لقيتم من تميم ومتى تتبع الانسان هذا عرف انه يكثر في تضاعيف الكلام مثله وأكث منه وهذا القدر الذي يصح فيه التوارد ليس بعده أهل الصناعة سرقة اذ لم نعلم فيه حقيقة الاخذ كقول امرئ القيس

وقوفها محبى على مطهم * يقولون لا تهلك أسى وتحمل

وكقول طرفه وقوفها محبى على مطهم * يقولون لا تهلك أسى وتجلد

ومثل هذا كثير فاذا صح مثل ذلك في بعض البيت ولم يمنع التوارد فيه فكذلك لا يمنع وقوعه في الكلام المنشور اتفاقا غير مقصود اليه فاذا اتفق لم يكن ذلك شعرا وكذلك يمنع

التوارد على بيتين وكذلك يتنوع في الكلام المنشور وقوع البيتين ونحوهما فثبت بهذا ان ما وقع هذا الموضع لم يعد شعرا وانما يعد شعرا ما اذا قصده صاحبه تأتي له ولم يتنوع عليه فاذا كان هو مقصده لا يتأتى له وانما يعرض في كلامه عن غير قصد اليه لم يصح ان يقال انه شعر ولا ان صاحبه شاعر ولا يصح ان يقال ان هذا يوجب ان مثل هذا لو اتفق من شاعر فيجب ان يكون شعرا لانه لو قصده لمكان يتأتى منه وانما لم يصح ذلك لان ما ليس بشعر فلا يجوز ان يكون شعرا من أحد وما كان شعرا من أحد من الناس كان شعرا من كل أحد ألا ترى ان السوق قد يقول اسقني الماء يا غلام سريرا وقد يتفق ذلك من الساهي ومن لا يقصد النظم فأما الشعر اذا بلغ الحد الذي ينفذ فلا يصح ان يقع الا من فاصد اليه فأما الرجز فانه يعرض في كلام العوام كثيرا فاذا كان بيتا واحدا فليس ذلك بشعر وقد قيل ان أقل ما يكون منه شعرا أربعة أبيات بعد ان يتفق قوافيها ولم يتفق ذلك في القرآن بحال فأما دون أربعة أبيات منه أو ما يجرى مجراه في قلة الكلمات فليس بشعر وما اتفق في ذلك من القرآن مختلف الروى ويقولون انه متى اختلف الروى خرج من ان يكون شعرا وهذه الطرق التي سلكوها في الجواب معتمدة أو أكثرها ولو كان ذلك شعرا لكانت النفوس تتشوق الى معارضته لان طريق الشعر غير مستصعب على أهل الزمان الواحد وأهله يتقاربون فيه أو يضربون فيه بسهم فان قيل في القرآن كلام موزون كوزن الشعر وان كان غير مقفى بل هو مزاج متساوي الضروب وذلك آخر أقسام كلام العرب قيل من سبيل الموزون من كلام ان يتساوى أجزاءه في الطول والقصر والسواكن والحركات فان خرج عن ذلك لم يكن موزونا كقوله رب أح كنت به مغتبطا أشد كفى بعرا بحبته تمسكمني بالود ولا أحسبه يزهد في ذى أمل تمسكمني بالود ولا أحسبه يغير العهد ولا يحول عنه أبدا انخاب فيه أملى وقد علمنا ان هذا القرآن ليس من هذا القبيل بل هذا قبيل غير عمدوح ولا مقصود من جهة القصص وربما كان عندهم مستنكرا بل أكثره على ذلك وكذلك ليس في القرآن من الموزون الذي وصفناه أولا وهو الذي شرطنا فيه التعادل والتساوي في الاجزاء غير الاختلاف الواقع في التقفية وبين ذلك ان القرآن خارج عن الوزن الذي بينا وتم فائدته بالخروج منه وأما الكلام الموزون فان فائدته تم بوزنه

فصل في نفي السجع من القرآن

ذهب أصحابنا كلهم الى نفي السجع من القرآن وذكره أبو الحسن الاشعري في غير موضع

من كتبه وذهب كثير من يخالفهم الى اثبات السجع في القرآن وزعموا ان ذلك مما يبين به فضل الكلام وانه من الاجناس التي يقع بها التفاضل في البيان والفصاحة كالجنيس والالتفات وما أشبه ذلك من الوجوه التي تعرف بها الفصاحة وأقوى ما يستدلون به عليه اتفاق الكل على ان موسى أفضل من هرون عليهما السلام ولمسكان السجع قيل في موضع هرون وموسى ولما كانت الفواصل في موضع آخر بالوار والنون قيل موسى وهرون قالوا هذا يفارق أمر الشعر لانه لا يجوز ان يقع في الخطاب الا مقصود اليه واذا وقع غير مقصود اليه كان دون القدر الذي يسمى شعرا وذلك القدر ما يتفق وجوده من المفهم كما يتفق وجوده من الشاعر وأما في القرآن من السجع فهو كثير لا يصح ان يتفق كله غير مقصود اليه وبينون الامر في ذلك على تحديده معنى السجع قال أهل اللغة هو موالة الكلام على وزن واحد قال ابن دريد سجت الجملة معناها ردت صوتها وأنشد

طربت فأبتك الجمام السواجع • تميل بها سخوا غصون نوائح

النوائح الموائل من قولهم جئنا نائح أي متمائل ضعفا وهذا الذي يزعمونه غير صحيح ولو كان القرآن سجعا لكان غير خارج عن أساليب كلامهم ولو كان دخلا فيها لم يقع بذلك عجز ولو جاز أن يقال هو سجع مجز لجاز لهم ان يقولوا شعر مجز وكيف والسجع مما كان يألفه الكهان من العرب ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفي الشعر لان الكهانة تنافي النبوات وليس كذلك الشعر وقد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للذين جاؤه وكلموه في شأن الجنين كيف ندى من لا أكل ولا شرب ولا صاح فاستهل أليس دمه قد بطل فقال أسجاعة كسجاعة الجاهلية وفي بعضها أسجعا كسجع الكهان فرأى ذلك مذموما لم يصح ان يكون في دلالة والذي يقدر وانه انه سجع فهو وهم لانه قد يكون الكلام على مثال السجع وان لم يكن سجعا لان ما يكون به الكلام سجعا يختص ببعض الوجوه ودون بعض لان السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع وليس كذلك ما اتفق مما هو في تقدير السجع من القرآن لان اللفظ يقع فيه تابع للمعنى وفصل بين ان ينتظم الكلام في نفسه بألفاظه التي تؤدي المعنى المقصود فيه وبين أن يكون المعنى منتظما دون اللفظ ومتى ارتبط المعنى بالسجع كانت افادة السجع كافادة غيره ومتى ارتبط المعنى بنفسه دون السجع كان مستجلبا للجنيس الكلام دون تعجج المعنى فان قيل فقد يتفق في القرآن ما يكون من القبيلين جميعا فيجب ان تسموا أحدهما سجعا قيل الكلام في تفصيل هذا خارج عن غرض كتابنا والا كنا أتى على فصل فصل من أول القرآن الى آخره ونبين في الموضوع الذي يدعون الاستغناء عن السجع من القوائد ما لا يخفى ولكنه خارج عن غرض

كأبنا وهذا القدر يحقق الفرق بين الموضوعين ثم ان سلم لهم مسلم موضعا أو مواضع
معدودة وزعم ان وقوع ذلك موقع الاستراحة في الخطاب الى الفواصل لتحسين الكلام
بها وهي الطريقة التي يبين القرآن بها سائر الكلام وزعم ان الوجه في ذلك انه من باب
الفواصل أو زعم ان ذلك وقع غير مقصود اليه وان ذلك اذا اعترض في الخطاب لم يعد سجعاً
على ما قد بينا من القليل من الشعر كالبيت الواحد والمصراع والبيتين من الرجز ونحو ذلك
يعرض فيه فلا يقال انه شعر لانه لا يقع مقصودا اليه وانما يقع معجوراً في الخطاب فكذلك
حال السجع الذي يزعمونه ويقدرونه ويقال لهم لو كان الذي في القرآن على ما تقدرونه
سجعاً لكان مذموماً مردولاً لان السجع اذا تفاوتت أوزانه واختلفت طرقه كان قبيحاً من
الكلام وللسجع منهج مرتب محفوظ وطريق مضبوط متى أدخل به المتكلم أوقع الخلل
في كلامه ونسب الى الخروج عن الفصاحة كما ان الشاعر اذا خرج عن الوزن المعهود كان
مخطئاً وكان شعره مردولاً وربما أخرجه عن كونه شعراً وقد علمنا ان بعض ما يدعونه سجعاً
مقارب الفواصل متداني المقاطع وبعضها مما يعتد حتى يتضاعف طولها عليه وترد الفاصلة
على ذلك الوزن الاول بعد كلام كثير وهذا في السجع غير مرضى ولا محمود فان قيل متى
خرج السجع المعتدل الى نحو ما ذكرتموه خرج من ان يكون سجعاً وليس على المتكلم ان
يلتزم ان يكون كلامه كله سجعاً بل يأتي به طوراً ثم يعدل عنه الى غيره ثم قد يرجع اليه
قيل متى وقع أحد مصراعي البيت مخالفاً للآخر كان تخليطاً وخبطاً وكذلك متى اضطرب
أحد مصراعي الكلام المسجع وتفاوت كان خبطاً وعلم ان فصاحة القرآن غير مذمومة في
الاصل فلا يجوز ان يقع فيها نحو هذا الوجه من الاضطراب ولو كان الكلام الذي هو في
صورة السجع منهلاً لتحيروا فيه وكانت الطباع تدعو الى المعارضة لان السجع غير ممتنع
عليهم بل هو عادتهم فكيف تنقض العادة بما هو نفس العادة وهو غير خارج عنها ولا يميز منها
وقد يتفق في الشعر كلام على منهاج السجع وليس بسجع عندهم وذلك نحو قول الجعري

تشكى الوجي والليل ملتبس الدجا * عزيزة الانساب مرت نقيعها

وقوله قريب المدى حتى يكون الى الندى • عدو البناء حتى يكون معالي

ورأيت بعضهم يرتكب هذا فيزعم انه سجع مداخل ونظيره من القرآن قوله تعالى ثم يوم
القيامة يخزيهم ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم وقوله أمرنا مترفها ففسقوا
فيها وقوله أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله وقوله التوراة والانجيل ورسولا
الى بنى اسرائيل وقوله اني وهن العظم مني ولو كان ذلك عندهم سجعاً لتهيروا فيه ذلك
التهير حتى سماه بعضهم سجعاً وتصرفوا فيها كانوا يسمونه به ويصرفونه اليه ويتوهمونه فيه

وهم في الجملة عارفون بعجزهم عن طريقه وليس القوم بعاجزين عن تلك الاساليب المعتادة عندهم المألوفة لديهم والذي تكلمنا به في هذا الفصل كلام على جملة دون التفصيل ونحن نذكر بعد هذا في التفصيل ما يكشف عن مباينة ذلك وجوه السجع ومن جنس السجع المعتاد عندهم قول أبي طالب لسيف بن ذي يزن انبتك منبتنا طابت أرومته وعزت جروتمته وثبت أصله وبسق فرعه ونبت زرعه في أكرم موطن وأطيب معدن وما يجري هذا الجرى من الكلام والقرآن مخالف لهو هذه الطريقة مخالفة للشعر وسائر أصناف كلامهم الدائر بينهم ولا معنى لقولهم ان ذلك مشتق من ترديد الحمامة صوتها على نسق واحد وروى غير مختلف لان ما جرى هذا الجرى لا يبنى على الاشتقاق وحده ولو بني عليه لكان الشعر سجعاً لان رويه يتفق ولا يختلف وتردد القوافي على طريقة واحدة وأما الامور التي يستريح اليها الكلام فانها تختلف فربما كان ذلك يسمى قافية وذلك انما يكون في الشعر وربما كان ما ينفصل عنده الكلامان يسمى مقاطع السجع وربما سمي ذلك فواصل وواصل القرآن مما هو مختص بها لا شركة بينه وبين سائر الكلام فيها ولا تناسب وأما ما ذكره من تقديم موسى على هرون عليهما السلام في موضع وتأخير عنته في موضع الا كان السجع ولتساوي مقاطع الكلام فليس بسجج لان الفائدة عندنا غير ما ذكره وهي ان اعادة ذكر القصة الواحدة بالفاظ مختلفة تؤدى معنى واحداً من الامر الصعب الذي تظهر فيه الفصاحة وتبين فيه البلاغة وأعيد كثير من القصص في مواضع مختلفة على ترديدات متفاوتة ونهوا بذلك على عجزهم عن الاتيان بعثله مبتدأ به ومكرراً ولو كان فهم تمكن من المعارضة لقصد وانك انقصة فعبروا عنها بالفاظ لهم تؤدى تلك المعاني وتحويها وجعلوا بها آراء ما جاء به وتوصلوا بذلك الى تكذيبه والى مساواته فيما جاء به كيف وقد قال لهم فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين فعلى هذا يكون المقصد بتقديم بعض الكلمات وتأخيرها اظهار الاعجاز على الطريقتين جميعاً دون التسجيع الذي توهموه فان قال قائل القرآن مختلف من أوزان كلام العرب ففيه من جنس خطهم ورسائلهم وسجعهم وموزون كلامهم الذي هو غير مقفى ولكنه أبداع فيه ضرباً من الابداع لبراعته وفصاحته قيل قد علمنا ان كلامهم ينقسم الى نظم ونثر وكلام مقفى غير موزون ونظم موزون ليس بمقفى كالخطب والسجع ونظم مقفى موزون له روى ومن هذه الاقسام ما هو سجيبة الاغلب من الناس فتناوله أقرب وسلوكه لا يتعذر ومنه ما هو أصعب تناولا كالموزون عند بعضهم والشعر عند الاخرين وكل هذه الوجوه لا تخرج عن ان يقع لهم بأحد أمرين اما بتعمل أو بتكلف وتعلم وتصنع أو باتفاق من الطبع وقذف من النفس على اللسان للعاجة اليه ولو كان ذلك مما يجوز اتفاقه من

الطبايع لم ينفك العالم من قوم يتفق ذلك منهم ويتعرض على ألسنتهم وتجيش به خواطرهم ولا ينصرف عند الكل مع شدة الدواعي اليه ولو كان طريقه التعلم لتصنعوه ولتعلموه فالمهالة لهم فسيحة والامد واسع وقد اختلفوا في الشعر كيف اتفق لهم فقد قيل انه اتفق في الاصل غير مقصود اليه على ما يعرض من أصناف النظام في تضاعيف الكلام ثم لما استحسنوه واستطابوه ورأوا انه تألفه الاسماع وتقبله النفوس تتبعوه من بعد وتعلموه وحكى لي بعضهم عن أبي عمر و غلام ثعلب عن ثعلب ان العرب تعلم أولادها قول الشعر بوضع غير معقول يوضع على بعض أوزان الشعر كأنه على وزن * قمانك من ذ كرى حبيب ومنزل * ويسمون ذلك الوضع الميتر واشتقاقه من المتر وهو الجذب أو القطع يقال مترت الجبل بمعنى قطعته أو جذبتة ولم يذكر هذه الحكاية عنهم غيره فيجتمعل ما قاله وأما ما وقع السبق اليه في شبهه أن يكون على ما قدمنا ذكره أو لا وقد يحتمل على قول من قال بأن اللغة اصطلاح انهم تواضعوا على هذا الوجه من النظم وقد يمكن ان يقال مثله على المذهب الآخر وانهم وقفوا على ما يتصرف اليه القول من وجوه التفاضل أو توافقواهم بينهم على ذلك ويمكن ان يقال ان التواضع وقع على أصل الباب وكذلك التوقيف ولم يقع على فنون تصرف الخطاب وان الله تعالى أجرى على لسان بعضهم من النظم ما أجرى و فطنوا لحسنه فتبعوه من بعد وبنوا عليه وطلبوه ورتبوا فيه المحاسن التي يقع الاضطراب وزنها وتهش النفوس اليها وجمع دواعيهم وخواطرهم على استهسان وجوه ترتيبها واختيار طرق من ترتيلها وعرفهم بحسن الكلام ودلهم على كل طريقة مجيبة ثم أعلمهم بحزمهم عن الاتيان بالقرآن والقدر الذي يتناهى اليه قدرهم هو ما لم يخرج عن لغتهم ولم يشذ من جميع كلامهم بل قد عرض في خطابهم ووجدوا ان هذا انما تعذر عليهم مع التهذي والتقريع الشديد والحاجة الماسة اليه مع علمهم بطريق وضع النظم والنثر وتكامل أحوالهم فيه دل على انه اختص به ليكون دلالة على النبوة ومجزة على الرسالة ولولا ذلك لكان القوم اذا اهتموا في الابتداء الى وضع هذه الوجوه التي يتصرف اليها الخطاب على براعته وحسن انتظامه فلان يقدروا بعد التشبيه على وجهه والتهذي اليه أولى ان يبادروا اليه ولو كان لهم اليه سبيل فلو كان الامر على ما ذكره السائل لوجب أن لا يتخيروا في أمرهم ولا تدخل عليهم شبهة فيما نابهم ولكانوا يسرعون الى الجواب ويبادرون الى المعارضة ومعلوم من حالهم ان الواحد منهم يقصد الى الامور البعيدة عن الوهم والاسباب التي لا يحتاج اليها فيكثر فيها من شعر ورجز ونجد من يعينه على نقله عنه على ما قدمنا ذكره من وصف الابل ونتاجها وكثير من أمرها الفائدة في الاشتغال به في دين ولادنيا ثم كانوا يتفاخرون باللسن والذلاقة والفصاحة والدراية

ويتفاوتون فيه وتجري بينهم فيه الاسباب المنقولة في الآثار على ما لا يخفى على أهلها فاستدلنا بتصيرهم في أمر القرآن على خروجه عن عادة كلامهم ووقوعه موقعا يخرق العادات وهذه سبيل المجزآت فبان بما قلنا ان الحروف التي وقعت في الفواصل مناسبة موقع النظائر التي تقع في الاسجاع لا يخرجها عن حدها ولا يدخلها في باب السجع وقد بينا أنهم يذمون كل سجع خرج عن اعتدال الاجزاء فكان بعض مصاربعه كلمتين وبعضها تبلغ كلمات ولا يرون في ذلك فصاحة بل يرونه عجزا فلورأوا ان ما تلى عليهم من القرآن سجعاً لقالوا نحن نعارضه بسجع معتدل فنريد في الفصاحة على طريقة القرآن ونجتاوز حده في البراعة والحسن ولا معنى لقول من قدر أنه ترك السجع تارة الى غيره ثم رجع اليه لان ما تخلل بين الامر بن يؤذن بأن وضع الكلام غير ما قدره من التسجيع لانه لو كان من باب السجع لكان أرفع نهاياته وأبعد غاياته ولا بد لمن جاوز السجع فيه وسلك ما سلكه من ان يسلم ما ذهب اليه النظام وعباد بن سلمان وهشام القرظي ويذهب مذهبه في انه ليس في نظم القرآن وتأليفه اعجاز وانه يمكن معارضته وانما صرفوا عنه ضربا من الصرف ويتضمن كلامه تسليماً الخبط في طريقة النظم وانه منتظم من فرق شتى ومن أنواع مختلفة ينقسم اليها خطابهم ولا يخرج عنها ويستهن ببديع نظمهم وعجيب تأليفه الذي وقع التعدي اليه وكيف يعجزهم الخروج عن السجع والرجوع اليه وقد علمنا عادتهم في خطبهم وكلامهم انهم كانوا لا يلزمون أبداً طريقة السجع والوزن بل كانوا يتصرفون في أنواع مختلفة فاذا ادعوا على القرآن مثل ذلك لم يجدوا فاصلة بين نظمي الكلامين

فصل في ذكر البديع من الكلام

ان سأل سائل فقال هل يمكن ان يعرف اعجاز القرآن من جهة ما يتضمنه من البديع قيل ذكر أهل الصنعة ومن صنف في هذا المعنى من صفة البديع ألفاظا نحن نذكرها ثم نبين ما سألوا عنه ليكون الكلام واردا على أمر مبين مقرر وباب مصور ذكر وان من البديع في القرآن قوله عز ذكره واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقوله وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم وقوله واشتعل الرأس شيبا وقوله وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون وقوله وآياتهم عذاب يوم عقيم وقوله نور على نور وقد يكون البديع من الكلمات الجامعة الحكمية كقوله ولكم في القصاص حياة وفي الالفاظ الفصيحة كقوله فلما استبأسوا منه خلصوا نجيا وفي الالفاظ الالهية كقوله وله كل شئ وقوله وما بكم من نعمة فمن الله وقوله لمن المثل اليوم لله الواحد القهار وينكرون من البديع من قول النبي صلى الله عليه وسلم

خير الناس رجل مسك عنان فرسه في سبيل الله كلما سمع هيعة طار إليها وقوله ربنا تقبل
توبتي واغسل حوبتي وقوله غلب عليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء وهي الخالقة
خالقة الدين لخالقة الشعر وكقوله الناس كابل مائة لا تجد فيها راحة وكقوله وهل يكب
الناس على مناخرهم في نار جهنم الا حصائد السنتهم وكقوله ان مما ينبت الربيع ما يقتل
حبطاً أو يلم وكقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه في كلامه قد نقلناه بعد هذا على وجهه
وقوله لخالد بن الوليد احرص على الموت توهب لك الحياة وقوله فر من الشرف يتبعك الشرف
وكقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه في كتابه الى ابن عباس وهو عامله على
البصرة أرغب راغبهم واحلل عقدة االخوف عنهم وقوله حين سئل عن قول النبي صلى الله
عليه وسلم انما قال ذلك والدين في قل فأما وقد اتسع نطاق الاسلام فكل امرئ وما اختار
وسأل علي رضي الله عنه بعض كبراء فارس عن أحمد ملو كههم عندهم فقال لا زديشير فضيلة
النسيق غير ان أحدهم أنوشروان قال فأى أخلاقه كان أغلب عليه قال الحلم والاتاة فقال
علي رضي الله عنه هما توأمان ينتجهما علو الهمة وقال قيمة كل امرئ ما يحسن وقال العلم
قفل ومفتاحه المسئلة وكتب خالد بن الوليد الى مرزبان فارس أما بعد فالحمد لله الذي فض
خدمتكم وفرق كلتكم والخدمة الحلقة المستديرة ولذلك قيل للخلائيل خدام وقال
الحجاج دلوني على رجل سمين الامانة ولما عقدت الرئاسة لعبد الله بن وهب الراسبي على
الخواارج أرادوه على الكلام فقال لا خير في الرأي الفظير وقال دعوا الرأي يغب وقال
اعرابي في شكر نعمة ذلك عنوان نعمة الله عز وجل ووصف اعرابي قوماً فقال اذا اصطفوا
سفرت بينهم السهام واذا تصاحفوا بالسيوف قعد الحمام وسئل اعرابي عن رجل فقال
صفرت عباب الود بيني وبينه بعد امتلائها واكفهرت وجوه كانت بعانها
وقال آخر من ركب ظهر الباطل نزل دار الندامة وقيل لرؤية كيف خلفت ما وراءك
فقال التراب يابس والمال عابس ومن البديع في الشعر طرق كثيرة قد نقلنا منها جملة
لتستدل بها على ما بعدها فن ذلك قول امرئ القيس

وقد اغتدى والطير في وكأها * بمنجرد قيد الاوابد هيكلا

قوله قيد الاوابد عندهم من البديع وعن الاستعارة ويرونه من الالفاظ الشريفة وعني
بذلك انه اذا أرسل هذا الفرس على الصيد صار قيدها وكانت بحالة المقيد من جهة سرعة
احضاره واقتدى به الناس واتبعه الشعراء فقيل قيد النواظر وقيد الالحاظ وقيد
الكلام وقيد الحديث وقيد الرهان وقال الاسود بن يعفر

بمقطص عنز جهير شته * قيد الاوابد والرهان جواد

وقال أبو تمام لها منظر قيد الاوابد لم يزل * يروح وينغدو في خفارته الحب
وقال آخر الحياضه قيد عيون الورى فليس طرف يتعداه
وقال آخر • قيد الحسن عليه الحدقا •

وذكر الاصمعي وأبو عبيدة وجادو قبلهم أبو عمر و أنه أحسن في هذه اللفظة وانه اتبع فيها فلم
يلحق وذكره في باب الاستعارة البليغة وسماها بعض أهل الصنعة باسم آخر وجعلوها من
باب الارداف وهو أن يريد الشاعر دلالة على معنى فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى بل
بلفظ هو تابع له وردف قالوا ومثله قوله • نؤم النحى لم تنتطق عن تفضل *
وانما أراد ترفيفها بقوله نؤم النحى ومن هذا الباب قول الشاعر

بعيدة مهوى القرط اما لنوفل • أبوها واما عبد شمس وهاتم
وانما أراد أن يصف طول جيدها فأتى بردفه ومن ذلك قول امرئ القيس • وليل كموج البحر
أرختي سدوله * وذلك من الاستعارة المليحة ويجعلون من هذا القبيل ما قدمنا ذكره من
القرآن واشتعل الرأس شيبا واخفض لها جناح الذل من الرحمة وما يعتونه من البديع
التشبيه الحسن كقول امرئ القيس

كأن عيون الوحش حول خباننا • وأرجلنا الجزع الذى لم يثقب
وقوله كأن قلوب الطير رطبا ويايسا • لدى وكرها العناب والخشف البالى
واستبدعوا تشبيهه شينين بشينين على حسن تقسيم ويزعمون ان أحسن ما وجد في هذا
للحذتين قول بشار

كأن مشار النقع فوق رؤسنا • وأسيافنا ليل تهاوى كواكبها
وقد سبق امرؤ القيس الى صحة التقسيم في التشبيه ولم يتمكن بشار الا من تشبيهه احدى
الجملتين بالآخرى دون صحة التقسيم والتفصيل وكذلك عدوا من البديع قول امرئ
القيس فى أذن الفرس

وسامعتان يعرف العنق فهما • كسامعتى مذعورة وسط ديرب
واتبعه طرفة فقال فيه

وسامعتان يعرف العنق فهما • كسامعتى شاهة بحومل مفرد
ومثله قول امرئ القيس فى وصف الفرس

وعينان كالماويتين ومحجر • الى سند مثل الصفيح المنصب
وقال طرفة فى وصف عيني ناقته

وعينان كالماويتين استكنتنا • بكهفي جهاجى صخرة ثلث مورد

ومن البديع في التشبيه قول امرئ القيس

له ابطلاظي وساقا نعامه • وارخاء سرحان وتقريب تنقل

وذلك في تشبيهه أربعة أشياء بأربعة أشياء أحسن فيها ومن التشبيه الحسن في القرآن قوله تعالى وله الجوارى المنسآت في البحر كالاعلام وقوله تعالى كأنهن بيض مكنون ومواضع نذكرها بعد هذا ومن البديع في الاستعارة قول امرئ القيس

وايل كموج البحر أرخى سدوله • على بأنواع الهموم ليلتلي

فقلت له لما تغطي بصلبه • وأردف اعجازا وناء بكل كل

وهذه كلها استعارات أتى بها في ذكر طول الليل ومن ذلك قول النابغة وصدور أراح الليل عاذب همه • تضاعف فيه الحزن من كل جانب

فاستعاره من اراحة الراعي ابله الى مواضعها التي تأوى اليها بالليل وأخذ منه ابن الدهينة فقال

أفضى نهاري بالحديث وبالمنى • ويجمعني والهسم والليل جامع

ومن ذلك قول زهير

صحا القلب عن ليلي وأقصر باطله • وعرى أفراس الصباور واحله

ومن ذلك قول امرئ القيس

سموت اليها بعد ما نام أهلها • سمو حباب الماء حال على حال

وأخذه أبو تمام فقال • سمو عباب الماء جاشت غواربه •

وانما أراد امرؤ القيس اخفاء شخصه ومن ذلك قوله • كأنني وأصحابي على قرن أعفرا •

يريد انهم غير مطمئنين ومن ذلك ما كتب الى الحسن بن عبد الله بن سعيد قال أخبرني أبي

قال أخبرنا عسل بن ذكوان أخبرنا أبو عثمان المازني قال سمعت الاصمعي يقول أجمع

أصحابنا انه لم يقل أحسن ولا أجمع من قول النابغة

فأنك كالليل الذي هو مدركي • وان خلت ان المنتأى عنك واسع

قال الحسن بن عبد الله وأخبرنا محمد بن يحيى أخبرنا عون بن محمد الكندي أخبرنا قعنب بن

محرز قال سمعت الاصمعي يقول سمعت أبا عمر ويقول كان زهير يمدح السوق ولو ضرب

على أسفل قدميه ما أتنا دقل على ان يقول كقول النابغة

فأنك كالليل الذي هو مدركي • وان خلت ان المنتأى عنك واسع

لما قال يريد ان سلطانه كالليل يصل الى كل مكان واتبعه الفرزدق فقال

ولو حملتني الريح ثم طلبتني • لكنت كشي أدركتني مقادره

فلم يأت بالمعنى ولا اللفظ على ما سبق اليه النابغة ثم أخذها الاخطل فقال

وان أمير المؤمنين وفعله * لكالدهر لا عار بما فعل الدهر

وقد روى نحو هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالربح وجعل رزقي تحت ظل

رحمى وليدخلن هذا الدين على ما دخل عليه الليل وأخذها على بن ٣ فقال

ومال امرئ حاولته عنك مهرب • ولو كان في جوف السماء المطالع

بلى هارب لا يهتدى لمكانه • ظلام ولا ضوء من الصبح طالع

ومثله قول سلم الخاسر

فأنت كالدهر مبيثوثا حبانله * والدهر لا ملجأ منه ولا هرب

ولو ملكك عنان الريح أصرفه * في كل ناحية ما فاتك الطلب

فأخذها البصري فقال

ولو أنهم ركبوا الكواكب لم يكن * بنهيهم عن خوف بأسك مهرب

ومن بديع الاستعارة قول زهير

فلما وردن الماء زرقا جامه * وضعن عصي الحاضر المقيم

وقول الاعشى

وان عناق العيس سوف يزوركم * ثناء على أعجازهن معلق

ومنه أخذ نصيب فقال

فعا جوافأئتوا بالذي أذت أهله * ولو سكنوا أثنت عليك الحقايب

ومن ذلك قول تائب سرا

نخالط سهل الارض لم يكدهح الصفا * به كدحة والموت خزبان ينظر

ومن الاستعارة في القرآن كثير كقوله وانه لذكر لك ولقومك يريد ما يكون الذكر عنه

شرفا * وقوله صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة قيل دين الله أراد وقوله اشتر والضلالة

بالبهدى فارجحت تجارتهم ومن البديع عندهم الغلو كقول النمر بن توبل

أبقى الحوادث والايام من عمر * اسناد سيف قديم اثره بادي

تظل تحفر عنه ان ضربت به * بعد الذراعين والقيدين والهادي

وكقول النابغة

تقد السلوق المضاعف نسجه * ويوقدن بالصفاح نار الحباب

وكقول عنزة فازور من وقع القنابلبانه * وشكالى بعبرة وتحمم

وكقول أبي تمام

لو يعلم الركن من قد جاء بيلتمه * نخر يلمش منه موطنى القدم
وكقول البهترى

ولو أن مشتاقا تكلف فوق ما * في وسعه لمشى اليك المنبر
ومن هذا الجنس في القرآن يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد وقوله إذا
رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وقوله تكاد تميز من الغيظ وما بعدونه من
البديع المائلة وهو ضرب من الاستعارة وذلك ان يقصد الاشارة الى معنى فيضع الفاظا
تدل عليه وذلك المعنى بألفاظه مثال للمعنى الذى يقصد الاشارة اليه نظيره من المنشوران
يزيد بن الوليد بلغه ان مروان بن محمد يتلكا عن بيعته فكتب اليه أما بعد فاني أراك
تقدم رجلا وتؤخر أخرى فاعتمد على أيتهما شئت وكعصوما كتب به الطاج الى المهلب فان
أنت فعلت ذلك والأشرفت اليك الرح فأجابه المهلب فان أشرع الامير الرح قلبت اليه
ظهر الجن وكقول زهير

ومن يعص أطراف الزجاج فانه • بطيع العوالى ركبت كل لهدم
وكقول امرئ القيس

وما ذرفت عيناك الا لتضربى * بسهميك فى أعشار قلب مقتل
وكقول عمرو بن معدى كرب

فلوان قوى أنطقتنى رماحهم • نطقت ولكن الرماح أجزت
وكقول القائل

بنى عمنالا تذكروا الشعر بعدما • دفنتم بعمراء النجبر القوافيا
وكقول الآخر

أقول وقد شدوا السانى بنسعة * أمعشرتيم أطلقوا عن لسانيا
ومن هذا الباب فى القرآن كقوله فما أصبرهم على النار وكقوله وثيا بك فظهر قال الاصمى
أراد البدن قال وتقول العرب فدا لك ثوباي يريد نفسه وأنشد

ألا أبلغ أبا حفص رسولا • فدا لك من أخى ثقة أزارى
ويرون من البديع أيضا ما يسمونه المطابقة وأكثرهم على ان معناها ان يذكر الشئ وضده
كالليل والنهار والسواد والبياض واليه ذهب الخليل بن أحمد والاصمى ومن المتأخرين
عبد الله بن المعتز وذكر ابن المعتز من نظائره من المنشور ما قاله بعضهم أئيناك لتسلك بنا
سبيل التوسع فأدخلتنا فى ضيق الضمان ونظيره من القرآن ولكم فى القصاص حياة
وقوله يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى وقوله يولج الليل فى النهار ويولج

النهار في الليل ومثله كثير جدا. وكقول النبي صلى الله عليه وسلم للانصار انكم تكثرون عند الفزع وتقاون عند الطمع وقال آخرون بل المطابقة ان يشترك معنيان بلفظة واحدة واليه ذهب قدامة بن جعفر الكاتب فن ذلك قول الافوه الاودي

واقطع الهوجل مستأنسا • بهوجل مستأنس عنتريس

عنى بالهوجل الاؤل الارض وبالثاني الناقة ومثله قول زباد الاعم

ونباتهم يستنظرون بكاهل * وللوم فهم كاهل وسنام

ومثله قول أبي دواد

عهدت لها منزلا دائرا • والاعلى الماء يحملن الا

فالال الاؤل اعمدة الخيام تنصب على البئر للسقي والال الثاني السراب وليس عنده قول من

قال المطابقة انما تكون باجتماع الشئ وضده بشئ ومن المعنى الاؤل قول الشاعر

أهين لهم نفسى لا كرمها بهم • ولن تكرم النفس التي لا تهينها

ومثله قول امرئ القيس

وتردى على صم صلاب ملاطس • شديداً عقد لبنات متان

وكقول النابغة

ولا يحسبون الخير لا شرب بعده • ولا يحسبون الشر ضربة لازب

وكقول زهير وقد جمع فيه طباقين

بعزمة مأمور مطيع وأمر • مطاع فلا يلقى لحزمهم مثل

وكقول الفرزدق

والشيب ينهض في الشباب كأنه • ليل يصيح بجانيبه نهار

ومما قيل فيه ثلاث تطبيقات قول جرير

وباسط خير فيكم بيمينه • وقابض شر عنكم بشمالها

وكقول رجل من بلعبر

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة • ومن اساءة أهل السوء احسانا

وروى عن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه تمثل بقول القائل

فلا الجود يفتي المال والجد مقبل • ولا البخل يبقى المال والجد مدبر

وكقول الآخر

فسرى كاعلافى وتلك سميتى • وظلمة ليلي مثل ضوء نهار يا

وكقول قيس بن الخطيم

إذا أنت لم تنفع فضر فأنما • يرجى الفتى كى يضر وينفعا
 وكقول السموأل وما ضرنا ناقيل وجارنا • عزيز وجار الاكثرين ذليل
 فهذا باب يرونه من البديع وباب آخر وهو التجنيس ومعنى ذلك ان تأتى بكلمتين
 متجانستين فنه ما تكون الكلمة تجانس الاخرى فى تأليف حرفها واليه ذهب الخليل
 ومنهم من زعم ان المجانسة ان تشترك اللفظتان على جهة الاشتقاق كقوله عز وجل فأقم
 وجهك للدين القيم وكقوله وأسلمت مع سليمان وكقوله يا أسفا على يوسف وكقوله الذين
 آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن وكقوله وهم ينهون عنه ويتأون عنه وكقول
 النبي صلى الله عليه وسلم أسلم سالها الله وغفار غفر الله لها وعصية عصت الله ورسوله
 وكقوله الظلم ظلمات يوم القيامة وقوله لا يكون ذوالوجهين وجهها عند الله وكتب بعض
 الكتاب العذر مع التعذر واجب فرأيت فيه وقال معاوية لابن عباس ما لكم يا بنى هاشم
 تصابون فى أبصاركم فقال كاتصابون فى بصائركم وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه هاجروا
 ولا تهجروا ومن ذلك قول قيس بن عاصم

ونحن حضرنا الحوفزان بطعنة * كسته نجيعة من دم الجوف أشكال

وقال آخر أمل عليها بالبلى الملوأ

وقال الآخر وذا كمن ذل الجار حالفكم • وان انفكم لاتعرف الانفا
 وكتب الى بعض مشايخنا قال أنشدنا الاخفش عن المبرد عن التوزى

وقالوا حمامات فخم لقاءها • وطلح فزيرت والمطى طلوح
 عقاب باعقاب من النأى بعدما • جرت نية تنسى المحب طروح
 وقال صحابى هدهد فوق بانه • هدى وبيان بالنجاح يلوح
 وقالوا دم دامت موافق عهده • ودام لنا حسن الصفاء صريح

وقال آخر أقبلن من مصر بيارين البرى

وقال القطامى والمردهاق الشول شالت • بذيال يكون لها لفاعا
 وقد يكون التجنيس بزيادة حرف أو ما يقارب ذلك كقول الجعترى
 هل لمفات من تلاف تلاف • أم لشاك من الصبابة شاف

وقال ابن مقبل

عشين هيل النقامالت جوانه • ينهال حيناً وينهاه الترى حيناً

وقال زهير

هم بضر بون حبيلك البيض اذ لحقوا • لا ينكولون اذا ما استلحموا وجوا

ومن ذلك قول أبي تمام

يعدون من أيد عواص عواصم • نصول بأسياف قواض قواضب
وأبو نواس يقصد في مصراعى مقدمات شعره هذا الباب كقوله

ألا دارها بالماء حتى تلتينها • فلن تكرم الصهباء حتى تهينها
وكذلك قوله ديار نوار ماديار نوار • كسولك شجواهن منه عوار
وكقول ابن المعتز

سأنتى على عهد المطيرة والقصر • وأدعوا لها بالساكين وبالقطر
وكقوله هى الدار الا انها منهم قفر • وانى بها ناور وانهم سفر
وكقوله للاماني حديث يقر • ويسوء الدهر من قد يسر

وكقول المتنبي

وقد أراى الشباب الروح فى بدنى • وقد أراى المشيب الروح فى بدل
وقد قيل ان من هذا القميل قوله عز وجل خلق الانسان من عجل سأرى لكم آياتى فلا
تستجلبون وقوله قل الله أعبد مخلصا له دينى فاعبدوا ما شئتم من دونه. ويعدون من
البديع المقابلة وهى ان يوفق بين معان وتظايرها والمضاد بضده وذلك مثل قول النابغة
الجعدي ففى تم فيه ما يسر صديقه • على ان فيه ما يسوء الاعاديا
وقال تأبط شرا

أهزبه فى ندوة الحى عطفه • كما هز عطفى بالهجان الاوارك
وكقول الآخر

واذا حديث ساعنى لم أكتب • واذا حديث سرى لم أسر
وكقول الآخر

وذى اخوة قطعت أقران بينهم * كما ركونى واحدا لا أتحالبا
ونظيره من القرآن ثم اذا مسكم الضر فاله تجارون ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق
منكم برهم يشركون ويعدون من البديع الموازنة وذلك كقول بعضهم اصبر على حر الملقا
ومضض النزال وشدة المصارع وكقول امرئ القيس * سليم الشظاعبل الشوى شيخ النساء
ونظيره من القرآن والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود ويعدون من
البديع المساواة وهى ان يكون اللفظ مساويا للبنى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه وذلك يعد
من البلاغة وذلك كقول زهير

ومهما شكن عند امرئى من خليقة • وان خالها تخفى على الناس تعلم

وكقول جرير فلو شاء قومي كان حلي فيهم • وكان على جهال أعدائهم جهلي
وكقول الآخر

إذا أنت لم تقصر عن الجهل والخبثا • أصبت حلما أو أصابك جاهل

وكقول الهذلي

فلا تجزعن من سنة أنت سرتها • وأول راض سيرة من يسيرها

وكقول الآخر

فإنهم طأوعوك فطأوعيتهم • وإن عاصوك فاعصى من عصاك

وتظير ذلك في القرآن كثير وما يعدونه من البديع الإشارة وهو اشتغال اللفظ القليل على
المعاني الكثيرة وقال بعضهم في وصف البلاغة لمحمة التور من ذلك قول طرفه
فظل لنا يوم لذيذ بنعمة • فقل في مقيل تحسه متغيب

وكقول زيد الخيل

نخيسة من يخيب على غني • وباهلة بن أعصر والرباب

وتظيره من القرآن ولو أن قرأنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموق
ومواضع كثيرة ويعتدون من البديع المبالغة والغلو والمبالغة تأكيد معاني القول وذلك
كقول الشاعر ونكرم جارنا ما كان فينا • وتتبعه الكرامة حيث مالا
ومن ذلك قول الآخر

وهم تركوك أسلم من جباري • رأيت صفرا وأسرده من نعام

فقوله رأيت صفرا مبالغة ومن الغلو قول أبي نواس

توهمتها في كأسها فكأنما • توهمت شيئا ليس بدركة العقل

فأيرتقي التكييف فيها إلى مدى • يحسد به إلا ومن قبله قبيل

وقول زهير

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم • قوم بأولهم أو مجدهم فعدوا

وكقول النابغة بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا • وانا لترجو فوق ذلك منظرا

وكقول الخنساء

وما بلغت كنت امرئ متناول • بها المجد إلا حينما نلت أطول

وما بلغ المهدون في القول مدحة • وإن أطنبوا إلا الذي فيك أفضل

وقول الآخر

له هم لا منتهى لكارها • وهنته الصغرى أجل من الدهر

له راحة لوان معشار جودها * على البر صار البرأ ندى من البحر
ويرون من البديع الايغال في الشعر خاصة فلا يطلب مثله في القرآن الا في النواصل
كقول امرئ القيس

كأن عيون الوحش حول خبائنا * وأرجلنا الجزع الذي لم ينقب
وقد أوغل بالقافية في الوصف وأكدا التشبيه لها والمعنى قديستقل دونها ومن البديع
عندهم التوشيح وهو ان يشيد أول البيت بقافيته وأول الكلام بآخره كقول الجعري
فليس الذي حللته بمحمل * وليس الذي حرمته بحرام
ومثله في القرآن فن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه ومن ذلك رد عجز الكلام
على صدره كقول الله عز وجل انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض والآخره أكبر
درجات وأكبر تفضيلا وكقوله لا تفتروا على الله كذبا فيسخطكم بعذاب وقد خاب من
افترى ومن هذا الباب قول القائل

وان لم يكن الاتعلل ساعة * قليلا فاني نافع على قليلها
وكقول جرير سقى الرمل جون مستهل غمامه * وما ذاك الا حب من حل بالرمل
وكقول الآخر

يوذالفتى طول السلامة والغنى * فكيف يرى طول السلامة يفعل
وكقول أبي صخر الهذلي
عجبت لسعي الدهر بيني وبينها * فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر
وكقول الآخر

أصد بأيدي العيس عن قصد أرضها * وقلبي اليها بالموثة قاصد
وكقول عمرو بن معدى كرب

اذا لم تستطع شيأ فعد * ووجاوزه الى ما نستطيع
ومن البديع صحة التقسيم ومن ذلك قول نصيب
فقال فريق القوم لا وفريقهم * نعم وفريق قال ويحك ما يدري
وليس في أقسام الجواب أكثر من هذا وكقول الآخر
فكأنما فيه نهار ساطع * وكأنه ليل عليها مظلم

وقول المقفع الكندي

وان يا كلوا لحمي وفرت لحومهم * وان يهدموا مجدي بنيت لهم مجدا
وان ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم * وان هم هو واغي هو بيت لهم رشدا

وان زجروا طيرا بنحس عمري * زجرت لهم طيرا تمر بهم سعدا

وكقول عروة بن حزام

بن لو رآه غائبا لقدمته * ومن لو رآني غائبا لقدماني

ونحوه قول الله عز وجل "الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ونحوه صحة التفسير كقول

القائل ولي فرس للعلم بالحلم ملجم * ولي فرس للجهل بالجهل مسرح

ومن البديع التكميل والتتميم كقول نافع بن خليفة

رجال اذا لم يقبلوا الحق منهم * ويعطوه عادوا بالسيوف القواطع

وانما تم جودة المعنى بقوله ويعطوه وذلك كقول الله عز وجل "ان الله عنده علم الساعة الى

آخر الآية ثم قال ان الله عليم خبير ومن البديع الترصيع وذلك من ألوان منها قول امرئ

القيس محش محش مقبل مدبر معا * كتبس طباء الحلب في العدوان

ومن ذلك كثير من مقدمات أبي نواس

يامنة امتها السكر * ما ينقض مني لها السكر

وكقوله وقد ذكرناه قبل هذا

ديار نوار ماديار نوار * كسونك شجواهن منه عوار

ومن ذلك الترصيع مع التجنيس كقول ابن المعتز

ألم تجزع على الربع الحميل * واطلال وآثار محمول

ونظيره من القرآن كقوله ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم

مبصرون واخوانهم عدونهم في النجى ثم لا يقصرون وقوله ما أنت بنعمة ربك بمجنون

وان لك لأجرا غير ممنون وكقوله وانه على ذلك لشهيد وانه لحب الخير لشديد وكقوله

والطور وكأب مسطور وقوله والسابحات سبحا فالسابحات سبقا وقد أولع الشعراء بنحو

هذا فأكثروافيه ومنهم من اقتنع بالترصيع في بعض أطراف الكلام ومنهم من بنى كلامه

عليه كقول ابن الرومي أبدانهم وما لبس * ن من الحرير معا حرير

أردانهم وما مس * ن من العبير معا عبير

وكقوله فلراهب أن لا يريب أمانه * ولراغب أن لا يريث نجاحه

ومما يقارب الترصيع ضرب يسمى المضارعة وذلك كقول الخنساء

حامي الحقيقة محمود الحقيقة مه * مدى الطريقة نفاع وضرار

جواب قاسية جزاز ناصية * عقاد ألوية للخيل جزار

ومن البديع باب التكافؤ وذلك قريب من المطابقة كقول المنصور لا تخرجوا من عز
الطاعة الى ذل المعصية وقول عمر بن ذر انا لم نجد لك اذ عصبت الله فينا خيرا من ان نطيع
الله فيك ومنه قول بشار

اذا أيقظتك حروب العدا * فنبه لها عرا ثم ثم

ومن البديع باب التعطف كقول امرئ القيس * عود على عود على عود خلق *

وقد تقدم مثاله ومن البديع السلب والايجاب كقول القائل

ونسكران شئنا على الناس قولهم * ولا ينسكرون القول حين نقول

ومن البديع الكناية والتعريض كقول القائل

وأجر كالدباج أما مائة * فريا وأما أرضه فمحمول

ومن هذا الباب لحن القول ومن ذلك العكس والتبديل كقول الحسن ان من خوفك

لتأمن خير من أمنك لتخاف وكقوله اللهم اغنني بالفقر البك ولا تفقرني بالاستغناء عندك

وكقوله بع دنياك بأخرتك ترجعهما جميعا ولا تبسج أخرتك بدنياك ففهمهما جميعا

وكقول القائل

واذا الدرزان حسن وجوه * كان للدر حسن وجهك زينا

وقد يدخل في هذا الباب قوله تعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ومن

البديع الالتفات فن ذلك ما كتب الى الحسن بن عبد الله العسكري أخيرا محمد بن عبد

الله الصولي حدثني يحيى بن علي المنجم عن أبيه عن اسحاق بن ابراهيم قال قال لي الاصمعي

أنت تعرف التفاتات جرير قلت لا فما هي قال

أنتسى اذ تودعنا سليمي * بفرع بشامة سقى البشام

ومثل ذلك لجرير

متى كان الخيام بذى طلوح * سقيت الغيث أيتها الخيام

ومعنى الالتفات انه اعترض في الكلام قوله سقيت الغيث ولو لم يعترض لم يكن ذلك

التفاتا وكان الكلام منتظما ولكن يقول متى كان الخيام بذى طلوح أيتها الخيام فتخرج

عن الكلام الاول ثم رجع اليه على وجه يلفظ كان ذلك التفاتا ومثله قول النابغة

الجعدى ألا زعمت بنو سعد بأني * ألا كذبوا كبير السن فاني

ومثله قول كثير

لو ان الباذلين وأنت منهم * رأوك تعلموا منك المطالا

ومثله قول أبي تمام

وأنجدتم من بعد انهام داركم * فيادمع أنجدني على ساكني نجد
وكقول جرير

طرب الحمام بذى الاراك فساقني * لازلت في غلغلي وأبك ناصر
التفت الى الحمام فدعا لها ومثله قول حسان

ان التي ناولتني فردتها * قبلت قبلت فهاتها لم تقتل
ومنه قول عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر

وأجل اذا ما كنت لا بد مانعا * وقد يمنع الشئ القتي وهو مجمل
وكقول ابن ميادة

فلاصرمه يبدو وفي اليأس راحة * ولا وصله يصفو لنا فبكارمه

وتظير ذلك من القرآن ما حكى الله تعالى عن ابراهيم الخليل من قوله اعبدوا الله واتقوه
ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون انما تعبدون من دون الله آثانا وتخلقون افكا الى قوله
فما كان جواب قومه وقوله عز وجل ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله
بعزيز وبرزوا لله جميعا ومثله قوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة الى آخر
الآية ومثله قوله وائل عليهم نبأ الذي آتينا آياتنا فانسلخ منها الى قوله فثله كمثل
الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ومثله قوله والسارق والسارقة فاقطعوا
أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم فن تاب من بعد ظلمه ومنهم من
لا بعد الاعتراض والرجوع من هذا الباب ومنهم من يفرد عنه كقول زهير
قف بالديار التي لم يعفها القدم * نعم وغيرها الارواح والديم

وكقول الاعراب

أليس قليلا نظرة ان نظرتها * اليك وكلا ليس منك قليل
وكقول ابن هرمة

ليت حظي لحظة العين منها * وكثير منها القليل المهنا
ومن الرجوع قول القائل

بكل تدأوينة فلم يشف ما بنا * على ان قرب الدار خير من البعد
وقال الاعشى

صرمت ولم أصر مكتم وكصارم * أخ قد طوى كشحا وآب ليذهبا
وكقول بشار
لى حيلة فيمن ينم * وليس في الكذاب حيلة
من كان يخلق ما يقو * ل خيلتي فيه قليله

وقال آخر

وما بي انتصار ان غدا الدهر ظالمى • على بلى ان كان من عندك النصر
وباب آخر من البديع يسمى التذليل وهو ضرب من التأكيد وهو ضد ما قد مناذ كره من
الإشارة كقول أبي رواد

إذا ما عقدنا له ذمسة * شددنا العناج وعقد الكرب

وأخذه الحطيئة فقال

فدعوا نزال فكنت أول نازل • وعلام أركبه إذا لم أنزل

وكقول جرير لقد كنت فيها يا فرزدق تابعا * وريش الذنابي تابع للقوام
ومثله قوله عز وجل ان فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا إلى قوله انه كان
من المفسدين ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين
إلى قوله كانوا خاطئين

* وباب من البديع يسمى الاستطراد فن ذلك ما كتب إلى الحسن بن عبد الله قال أنشدني
أبو بكر بن دريد قال أنشدنا أبو حاتم عن أبي عبيدة لحسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه

ان كنت كاذبة التي حدثتني * فبحوت منجا الحارث بن هشام

ترك الاحبة لم يقاتل دونهم * ورمى برأسى طمرة ولبحام

وكقول السموأل

وانا لاقوم لانزى القتل سبة * اذا مارأته عاصر وسلول

وكقول الآخر

خليلى من كعب أعينا أذاك • على دهره ان الكريم معين

ولا تجلا بخل ابن قرعة انه • مخافة ان يربحى نراه حزين

وكقول الآخر

فاذرقن الشمس حتى كأننا • من العلى نحكى أحمد بن هشام

وكقول زهير

ان البجيل ملوم حيث كان ولا • سكن الجواد على علانه هرم

وفما كتب إلى الحسن بن عبد الله قال أخبرني محمد بن يحيى حدثني محمد بن علي الأنباري
قال سمعت البهري يقول أنشدني أبو تمام لنفسه

وسابح هطل التعراء هتان • على الجراء أمين غير خوان

أنطى الفصوص ولم تنظم أقوائمه • بخل عينك في ريان ظمان

ولو تراه مشيعا والحصى فلق * بين السنايك من مشى ووحدان
 أيقنت ان لم تثبت ان حافره • من صخر تدمر أو من وجه عثمان
 وقال لي ما هذا من الشعر قلت لأدرى قال هذا المستطرد أو قال الاستطرد قلت وما
 معنى ذلك قال يرى انه يصف الفرس ويريد هجاء عثمان فقال وقال البهترى
 ما ان يعاف قذى ولو أوردته • يواخلائني حمدويه الاحول
 قال فقيل للبهترى انك أخذت هذا من أبي تمام فقال ما يعاب على ان آخذ منه وأتبعه فيما
 يقول ومن هذا الباب قول أبي تمام
 صب الفراق علينا صب من كتبنا * عليه امحق يوم الروع منتفها
 ومنه قول السرى الرفاء

نزع الوشاة لنا بسهم قطيعة • يرى بسهم الحين من يرى به
 ليت الزمان أصاب حب قلوبهم • بقنا ابن عبد الله أو بحرا به
 ونظيره من القرآن أولم يروا الى ما خلق الله من شئ يتفقد ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا
 لله وهم داخرون والله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة وهم
 لا يستكبرون كأنه كان المراد ان يجري بالقول الاول الى الاخبار عن ان كل شئ
 يسجد لله عز وجل وان كان ابتداء الكلام في أمر خاص ومن البديع عندهم التكرار
 كقول الشاعر هلا سألت جوع كنه • مدة يوم ولو أبن أين
 وكقول الآخر وكانت فزارة تصلي بنا • فأولى فزارة أولى لها
 ونظيره من القرآن كثير كقوله ان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا وكالتكرار في
 قوله قل يا أيها الكافرون وهذا فيه معنى زائد على التكرار لانه يفيد الاخبار عن الغيب
 ومن البديع عندهم ضرب من الاستثناء كقول النابغة
 ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب
 وكقول النابغة الجعدي

فتى كملت أخلاقه غير انه * جواد فلا يبقى من المال باقيا
 فتى تم فيسه ما يسر صديقه * على ان فيسه ما يسوء الاعاديا
 وكقول الآخر حاتم اذا ما الحلم زين أهله * مع الحلم في عين العدو هميب
 وكقول أبي تمام تنصل ربها من غير جرم • اليك سوى النصيحة والوداد
 ووجوه البديع كثيرة جدا فاقصرنا على ذكر بعضها ونهنا بذلك على ما لم نذكر
 كراهة التطويل فليس الغرض ذكر جميع أبواب البديع وقد قدر مقدرين انه يمكن

استفادة عجاز القرآن من هذه الابواب التي نقلناها وان ذلك مما يمكن الاستدلال به عليه وليس كذلك عندنا لان هذه الوجوه اذا وقع التنبيه عليها أمكن التوصل اليها بالتدرب والتعود والتصنع لها وذلك كالشعر الذي اذا عرف الانسان طريقه صح منه العمل له وأمكنه نظمه والوجوه التي نقول ان عجاز القرآن يمكن ان يعلم منها فليس مما يقدر البشر على التصنيع له والتوصل اليه بحال وبين ما قلنا ان كثير من المحدثين قد تصنع لابواب الصنعة حتى حشى جميع شعره منها واجتهد ان لا يفوته بيت الا وهو يعلمونه من الصنعة كما صنع أبو تمام في لاميته

متى أنت عن ذهلية الحى ذاهل • وصدرك منها مدة الدهر آهل

تطل طول الدمع في كل موقف • وتمثل بالصبر الديار الموائل

دوارس لم يحف الربيع ربوعها * ولا مر في اغفالها وهو غافل

فقد صهبت فيها السحاب ذبولها • وقد أخلت بالنورتك الخائل

تعفين من زاد العفاة اذا انتهى • على الحى صرف الازمة المتماحل

لهم سلف سمر العوالى وسامر • وفهم جمال لا يغيض وجمال

ليالى أضلت العزاء وخذلت • بعقلك آرام الخلدور العقائل

من الهيف لو أن الخلاخيل صيرت • لها وشها حالت عليه الخلاخل

مهى الوحش الا ان هاتا أوانس • قنا الخط الا ان تلك ذوابل

هوى كان خلسا ان من أطيب الهوى * هوى حلت في أقيانه وهو خامل

ومن الادباء من عاب عليه هذه الابيات ونحوها على ما قد تكلف فيها من البديع وتعمل من

الصنعة فقال قد اذهب ماء هذا الشعر ورونقه وفانده اشتغالا بطلب التطبيق وسائر

ما جمع فيه وقد تعصب عليه أجد بن عبيد الله بن عمار وأسرف حتى تجاوز الى الغض من

محاسنه ولما قد أولع به من الصنعة ربما غطى على بصره حتى يبدع في القبيح وهو يريد ان

يبدع في الحسن كقوله في قصيدة له أولها

سرت تستجير الدمع خوف نوى غد * وعاد قنادا عندها كل مرقد

فقال فيها لجرى لقد حررت يوم لقيته * لو ان القضاء وحده لم يبرد

وكقوله لو لم تدارك مسن المجد منذ من • بالجود والبأس كان المجد قد خرفا

فهذا من الاستعارات القبيحة والبديع المقيت كقوله

تسعون ألفا كآساد الشرى فنجحت * أعمارهم قبل نضج التين والعنب

وكقوله لو لم يمت بين أطراف الرماح اذا * لمات اذ لم يمت من شدة الحزن

وكقوله خسنت عليه أخت بني خسين
 وكقوله ألا لائمة الدهر كفا بسني • الى مجتدى نصر فتنقطع من الزند
 وقال في وصف المطايا
 لو كان كفها عبيد حاجة • يوما لزي شدقا وجديلا
 وكقوله فضربت الشتاء في أخذعيه * ضربة غادرته عودا ركوبا
 فهذا وما أشبهه انما يحدث من غلوه في محبة الصنعة حتى يعيه عن وجه الصواب وربما
 أمرف في المطابقي والمجانس ووجوه البديع من الاستعارة وغيرها حتى استنقل نظمه
 واستوخم رصعه وكان التكلف باردا والتصرف جامدا وربما اتفق مع ذلك في كلامه
 النادر المليح كما يتفق البارد القبيح فأما البهتري فانه لا يرى في التجنيس ما يراه أبو تمام
 ويقل التصنع له فاذا وقع في كلامه كان في الاكثر حسنا رشيقا ونظريا جريلا وتصنعه
 للمطابق كثير حسن وتعقده في وجوه الصنعة على وجه طلب السلامة والرغبة في السلاسة
 فلذلك يخرج سليما من العيب في الاكثر وأما وقوف الالفاظ به عن تمام الحسنى وعود
 العبارات عن الغاية القصوى فشيء لا بد منه وأمر لا محيص عنه كيف وقد وقف على
 من هو أجل منه وأعظم قدرا في هذه الصنعة وأكبر في الطبقة كهرى القيس وزهير
 والنابعة والى يومه ونحن نبين تميز كلامه وانحطاط درجة قولهم ونزول طبقة نظمهم عن
 بديع نظم القرآن في باب مفرد يتصور به ذوا الصنعة ما يجب تصوره ويتحقق وجه العجاز
 فيه بمشيئة الله وعونه ثم رجع الكلام بنا الى ما قدمناه من انه لا سبيل الى معرفة اعجاز
 القرآن من البديع الذي ادعوه في الشعر ووصفوه فيه وذلك ان هذا الفن ليس فيه
 ما يخرق العادة ويخرج عن العرف بل يمكن استدراكه بالتعلم والتدرب به والتصنع له
 كقول الشعر ووصف الخطب وصناعة الرسالة والحدق في البلاغة وله طريق يسلك ووجه
 يقصد وسلم يرتقى فيه اليه ومثال قديع طالبه عليه قرب انسان يتعود ان ينظم جميع كلامه
 شعرا أو يتعود ان يكون جميع خطابه سجعاً أو صنعة متصلة لا يسقط من كلامه حرف وقد
 يباد به ما قد تعوده وأنت ترى أدباء زماننا يضيفون المحاسن في جزء وكذلك يؤلفون أنواع
 البارع ثم ينظرون فيه اذا أرادوا انشاء قصيدة أو رسالة أو خطبة فيحشون به كلامهم
 ومن كان قد تدرب وتقدم في حفظ ذلك اشتغل عن هذا التصنيف ولم يمتحج الى تكلف هذا
 التأليف وكان ما أشرف عليه من هذا الشأن باسطا من باع كلامه وموشها بأنواع
 البديع ما يحاوله من قوله وهذا طريق لا يتعدروا باب لا يتنع وكل يأخذ فيه مأخذا ويقف
 فيه موثقا على قدر ما معه من المعرفة وبحسب ما عتده من الطبع فأما شأ وتظم القرآن

فليس له مثال يحتذى اليه ولا امام يقتدى به ولا يصح وقوع مثله اتفاقا كما يتفق للشاعر البيت النادر والكلمة الشاردة والمعنى الغدا الغريب والشئ القليل الجميب وكما يلحق بكلامه بالوحشيات ويضاف من قوله الى الاوابد لان ما جرى هذا المجرى ووقع هذا الموقع فاعلمتفق للشاعر في اعم من شعره وللكاتب في قليل من رسائله وللخطيب في يسير من خطبه ولو كان كل شعره نادرا ومثلا سائرا ومعنى بدبعا ولفظا رشيقا وكل كلامه مملوا من رونقه ومائه ومهلا بيهجته وحسن روايه ولم يقع فيه المتوسط بين الكلامين والمترددين الطرفين ولا البارد المستقل والغث المستنكر لم بين الاجاز في الكلام ولم بين التفاوت الجميب بين النظام والنظام وهذه جملة تحتاج الى تفصيل ومبهم قد يحتاج في بعضه الى تفسير وسند كذلك عشية الله وعونه ولكن قد يمكن ان يقال في البديع الذي حكيناها واذفناها اليهم ان ذلك باب من أبواب البراعة وجنس من أجناس البلاغة وانه لا ينفك القرآن عن فن من فنون بلاغاتهم ولا وجه من وجوه فصاحتهم واذا أورد هذا المورد ووضع هذا الموضوع كان جديرا وانما نطلق القول اطلاقا لانا لا نجعل الاجاز متعلقا بهذه الوجوه الخاصة ووقفا عليها ومضافا اليها وان صح ان تكون هذه الوجوه مؤثرة في الجملة آخذة بحظها من الحسن والبهيمة متى وقعت في الكلام على غير وجه التكلف المستبشع والتعمل المستشع

فصل في كيفية الوقوف على اعجاز القرآن

قد بينا انه لا يتبأ لمن كان لسانه غير العربية من العجم والترك وغيرهم ان يعرفوا اعجاز القرآن الا ان يعلموا ان العرب قد عجزوا عن ذلك فاذا عرفوا هذا بأن علموا انهم قد تحذوا على ان يأتوا بمثله وقرعوا على ترك الاتيان بمثله ولم يأتوا به تبينوا انهم عاجزون عنه واذا عجز أهل ذلك اللسان فهم عنه أعجز وكذلك نقول ان من كان من أهل اللسان العربي الا انه ليس يبلغ في الفصاحة الحد الذي يتناهى الى معرفة أساليب الكلام ووجوه تصرف اللغة وما يعتونه فصيا بلاغا بارعا من غيره فهو كالأعمى في انه لا يمكنه ان يعرف اعجاز القرآن الا بمثل ما بينا ان يعرف به الفارسي الذي بدأ يذكره وهو ومن ليس من أهل اللسان سواء فأما من كان قد تنهى في معرفة اللسان العربي ووقف على طرفها ومذاهبها فهو يعرف القدر الذي ينتهي اليه وسع المتكلم من الفصاحة ويعرف ما يخرج عن الوسع ويتجاوز حدود القدرة فليس يخفى عليه اعجاز القرآن كما عيز بين جنس الخطب والرسائل والشعر وكما عيز بين الشعر الجيد والردى، والفصيح والبديع والنادر والبارع والغريب وهذا كما

يميز أهل كل صناعة صنعتهم فيعرف الصيرفي من النقد ما يخفى على غيره ويعرف البزاز من قيمة الثوب وجودته وورداً ما يخفى على غيره وان كان يبقى مع معرفة هذا الشأن أمر آخر وربما اختلفوا فيه لان من أهل الصناعة من يختار الكلام المتين والقول الرصين ومنهم من يختار الكلام الذي يروق مآزؤه وتروع بهجته ورواؤه ويسلس مأخذه ويسلم وجهه ومنغذوه ويكون قريب المتناول غير عويص اللفظ ولا غامض المعنى كما يختار قوم ما ينحسر معناه ويقرب لفظه ولا يختار ما سهل على اللسان وسبق الى البيان وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه وصف زهيراً فقال كان لا يدح الرجل الا بما فيه وقال لعبد بنى الحساس حين أنشده * كفى الشيب والاسلام للرهناهما *

أمانته لو قلت مثل هذا لأجزتك عليه وروى ان جريراً سئل عن أحسن الشعر فقال قوله ان السقى الذى فى النار منزله • والفوز فوز الذى ينجو من النار كأنه فضله لصدق معناه ومنهم من يختار الغلو فى قول الشعر والافراط فيه حتى ربما قالوا احسن الشعر كذبه كقول النابغة

يقدم السلو فى المضاعف نسجه * ويؤتدن بالصفاح نار الحباب
وأكثرهم على مدح المتوسط بين المذهبين فى الغلو والاقتصاد فى المنانة والسلاسة ومنهم من رأى أن أحسن الشعر ما كان أكثر صنعة والطف تعجلاً وان يتخير الالفاظ الرشيقة للعانى البديمة والقوافى الواقعة كذهب البهترى وعلى ما وصفه عن بعض الكأب فى نظام من البلاغة ماشك امرؤ انه نظام فريد وبديع كأنه الزهر الضا • حك فى رونق الربيع الجديد حزن مستعمل الكلام اختياراً * وتجنبن ظلمة التعقيد وركبن اللفظ القريب فادرك * ن به غاية المراد البعيد

ويرون ان من تعدى هذا كان سالكاً مسلماً عاماً يولم يروه شاعراً ولا مصيباً وفيها كتب الحسن بن عبد الله أبو أحمد العسكري قال أخبرنى محمد بن يحيى قال أخبرنى عبد الله بن الحسن قال قال لى البهترى دعانى على بن الجهم فضيت اليه فاقضنا فى اشعار المحدثين الى ان ذكرنا شعراً شجع فقال لى انه يخلى وأعادها مرات ولم أفهمها وانفت ان أسأله عن معناها فلما انصرفت افكرت فى الكلمة ونظرت فى شعره فاذا هو رباعى امرت له الابيات مغسوة ليس فيها بيت رائع واذا هو يريد هذا بعينه ان يعمل الابيات فلا يصيب فيها بيت نادر كما أن الراعى اذا رمى برشقه فلم يصب بشئ تيل قد أدخل قال وكان على بن الجهم أحسن الناس سجلاً بالشعر وقوم من أهل اللغة يملون الى الرصين من الكلام الذى يجمع الغريب والمعانى

مثل أبي عمرو بن العلاء وخلف الأجر والاصمعي ومنهم من يختار الوحشي من الشعر كما اختار المفضل للتصور من المفضليات وقيل انه اختار ذلك لميله الى ذلك الفن وذكر الحسن ابن عبد الله انه أخبره بعض الكتاب عن علي بن العباس قال حضرت مع الجعثري مجلس عبید الله بن عبد الله بن طاهر وقد سألت الجعثري عن أبي نواس ومسلم بن الوليد أيهما أشعر فقال الجعثري أبو نواس أشعر فقال عبید الله ان أبا العباس نعلب الا يطابقك على قولك ويفضل مسلما فقال الجعثري ليس هذا من عمل نعلب وذو به من المتعاطين لعلم الشعر دون عمله انما يعلم ذلك من وقع في سلك الشعر الى مضايقه وانتهى الى ضروراته فقال له عبید الله وريت بك زنادي يا أبا عبادة وقد وافق حكمك حكم أخيك بشار بن برد في جرير والفرزدق أيهما أشعر فقال جرير أشعرهما فقبل له بماذا فقال لان جرير يشتد اذا شاء وليس كذلك الفرزدق لانه يشتد ابداف قبل له فان يونس وأبا عبادة يفضلان الفرزدق على جرير فقال ليس هذا من عمل أولئك القوم انما يعرف الشعر من يضطر الى أن يقول مثله وفي الشعر ضرر ولم يحسنها الفرزدق ولقد ماتت النوار امرأته فراح عليها بقول جرير

لولا الحياء لعادني استعبار * وزوت قبرك والحبيب يزار

وروى عن أبي عبادة انه قال للفرزدق مالك لا تنسب كما ينسب جرير فغاب حولا ثم جاء فانشد يا أخت ناجية بن سامة اني • أخشى عليك نبي ان طلبوا دمي

والاعدل في الاختيار ما سلكته أبو تمام من الجنس الذي جمعه في كتاب الحماسة وما اختاره من الوحشيات وذلك انه تنكر المستنكر الوحشي والمبتذل العمي وأتى بالواسطة وهذه طريقة من ينصف في الاختيار ولا يعدل به غرض يخص لان الذين اختاروا الغريب فانما اختاروه لغرض لهم في تفسير ما يشبهه على غيرهم واظهار التقدم في معرفته وعجز غيرهم عنه ولم يكن قصدهم جيد الاشعار لشي يرجع اليها في انفسها وبين هذا ان الكلام موضوع للابانة عن الاغراض التي في النفوس واذا كان كذلك وجب ان يتخير من اللفظ ما كان أقرب الى الدلالة على المراد وأوضح في الابانة عن المعنى المطلوب ولم يكن مستكره المطلع على الاذن ومستنكر المورد على النفس حتى يتأني بغرابته في اللفظ عن الافهام أو يمنع بتعويض معناه عن الابانة ويجب ان يتنكب ما كان عليه اللفظ مبتذل العبارة ركيك المعنى سفسفا في الوضع محتلب التأسيس على غير أصل ممد ولا طريق موطن وانما فضلت العربية على غيرها لاعتدالها في الوضع ولذلك وضع أصلها على أكثرها بالحروف المعتدلة فقد أهموا والانماط المستكرهة في نظمها وأسقطوها من كلامهم فحرفوا لسانهم على الاعدل ولذلك صار أكثر كلامهم من الثلاثي لانهم بدؤوا بحرف وسكتوا على آخر

وجعلوا حرفا وصلته بين الحرفين ليعتم الابتداء والانهاء على ذلك والثاني أقل وكذلك الرباعي
 والخماسي أقل ولو كان كله ثنائيا لتكررت الحروف ولو كان كله رباعيا أو خماسيا لتكررت
 الكلمات وكذلك بنى أمر الحروف التي ابتدئ بها السور على هذا فأكثر هذه السور التي
 ابتدئت بذكر الحروف ذكر فيها ثلاثة أحرف وما هو أربعة أحرف سورتان وما ابتدئ
 بخمسة أحرف سورتان فأما مبدئ بحرف واحد فقد اختلفوا فيه فهم من لم يجعل ذلك
 حرفا وإنما جعله فعلا واسم الشئ خاص ومن جعل ذلك حرفا قال أراد ان يحقق الحروف
 مفردا ومنظوما ولصيق ماسوي كلام العرب أو لخروجه عن الاعتدال يتكرر في
 بعض الالسنه الحرف الواحد في الكلمة الواحدة والكلمات المختلفة كثيرا كقولهم تكررت
 الطاء والسين في لسان يونان وكثير الحروف الكثيرة التي هي اسم لشي واحد في لسان
 الترك ولذلك لا يمكن ان ينظم من الشعر في تلك الالسنه على الاعراض التي تمكن في اللغة
 العربية والعربية أشدها تمكلا وأشرفها انصرفا وأعد لها ولذلك جعلت حلية لتنظيم القرآن
 وعلق بها الإعجاز وصارت دلالة في النبوة وإذا كان الكلام انما يفيد الابانة عن الاعراض
 القائمة في النفوس التي لا يمكن التوصل اليها بأنفسها وهي محتاجة الى ما يعبر عنها فما كان
 أقرب في تصويرها وأظهر في كشفها للفهم الغائب عنها وكان مع ذلك أحكم في الابانة عن
 المراد وأشد تحقيقا في الايضاح عن الطلب وأعجب في وضعه وأرشق في تصرفه وأبرع في
 نظمه كان أولى وأحق بأن يكون شريفا وقد شبهوا النطق بالخط والخط يحتاج مع بيانه الى
 رشاقة وصحة ولفظ حتى يحوز الفضيلة ويجمع الكمال وشبهوا الخط والنطق بالتصوير وقد
 أجمعوا ان من أحدث المصورين من صور لك البياكي المتضاحك والبياكي الحزين
 والضحك المتباكي والضحك المستبشر وكأنه يحتاج الى لطف يد في تصوير هذه الامثلة
 فكذلك يحتاج الى لطف في اللسان والطبع في تصوير ما في النفس للغير وفي جملة الكلام
 الى ما تنقص عبارته وتفضل معانيه وفيه ما تنقص المعاني وتفضل العبارات وفيه ما يقع كل
 واحد منهما وفقا للاخر ثم ينقسم ما يقع وفقا الى انه قد يفيد على تفصيل وكل واحد
 منهما قد ينقسم الى ما يفيد على ان يكون كل واحد منهما مبدعا شريفا وغيره ما لطيفا
 وقد يكون كل واحد منهما مستجلبا متكلفا ومصنوعا متعسفا وقد يكون كل واحد منهما
 حسنا شيقا وبهجا نضيرا وقد يتفق أحدهما دون الاخر وقد يتفق ان يسلم الكلام
 والمعنى من غير رشاقة ولا نضارة في واحد منهما انما يميز من غير يعرف من يعرف والحكم
 في ذلك صعب شديد والفضل فيه شأو بعيد وقد قل من يميز أصناف الكلام فقد حكى عن
 طبقة أبي عبيدة وخلف الاجر وغيرهم في زمانهم انهم ظالوا ذهب من يعرف نقد الشعر

وقد بينا قبل هذا اختلاف القوم في الاختيار وما يجب ان يجمعوا عليه ويرجعوا عند التحقيق اليه وكلام المقندر غط وكلام المتوسع باب وكلام المطبوع له طريق وكلام المتكلف له منهاج والكلام المصنوع المطبوع له باب ومتى تقدم الانسان في هذه الصنعة لم تخف عليه هذه الوجوه ولم تشبهه عنده هذه الطرق فهو غير قادر كل متكلم بكلامه وقدر كل كلام في نفسه وبجمله محله ويعتقد فيه ما هو عليه ويحكم فيه بما يستحق من الحكم وان كان المتكلم يجود في شئ دون شئ عرف ذلك منه وان كان يعي احسانه عرف الا ترى ان منهم من يجود في المدح دون الهجو ومنهم من يجود في الهجو وحده ومنهم من يجود في المدح والسخر ومنهم من يجود في الاوصاف والعالم لا يشذ عنه مراتب هؤلاء ولا يذهب عليه اقدارهم حتى انه اذا عرف طريقه شاعر في قصائده معدودة فأنشد غيرهما من شعره لم يشك ان ذلك من نسجه ولم يرتب في انه من نظمه كما انه اذا عرف خط رجل لم يشبهه عليه خطه حيث رآه من بين الخطوط المختلفة وحتى يميز بين رسائل كاتب وبين رسائل غيره وكذلك أمر الخطب فان اشبهه عليه البعض فهو لاشتباه الطريقين وتمائل الصورتين كما قد يشبه شعر أبي تمام بشعر البحتري في القليل الذي يترك أبو تمام فيه التصنع ويقصد فيه التسهل ويسلك الطريقة الكيافية ويتوجه في تقريب الالفاظ وترك تعويض المعاني ويتفوق له مثل بهجة أشعار البحتري والفاظه ولا يخفى على أحد يميز هذه الصنعة سبك أبي نواس ولا نسج ابن الرومي من نسج البحتري وينبهه ديباجة شعر البحتري وكثرة مائه وبتدبير رونقه وبهجة كلامه الا فيما سترسل فيه فيشبهه بشعر ابن الرومي ويحركه بالشعر أبي نواس من الخلاوة والرقعة والسلاسة حتى يفرق بينه وبين شعر مسلم وكذلك يميز بين شعر الاعشى في التصرف وبين شعر امرئ القيس وبين شعر النابغة وزهير وبين شعر جرير والاخلط والبعيث والفرزدق وكل له منهج معروف وطريق مألوف ولا يخفى عليه في زماننا الفصل بين رسائل عبد الحميد وطبقته وبين طبقة من بعده حتى انه لا يشبهه عليه ما بين رسائل ابن الحميد وبين رسائل أهل عصره ومن بعده ممن برع في صنعة الرسائل وتقدم في شأوها حتى جمع فيها بين طرق المتقدمين وطريقة المتأخرين حتى خلص لنفسه طريقة وأنشأ لنفسه منهاها فسلك تارة طريقة الجاحظ وتارة طريقة السجع وتارة طريقة الاصل وبرع في ذلك باقتداره وتقدم بحدته ولكنه لا يخفى مع ذلك على أهل الصنعة طريقه من طريق غيره وان كان قد يشبهه البعض ويدق القليل وتغض الاطراف وتشذ النواحي وقد يتقارب سبك نثر من شعراء عصره وتبدان رسائل كتاب دهر حتى تشبهه اشتباها شديدا وتمائل مما لا فرق بها فيغض الفصل وقد يتشا كل الفرع والاصل وذلك

فيما لا يتعدو اذارا أمده ولا يتصعب طلاب شأوه ولا يتنعج بلوغ غابته والوصول الى نهايته لان الذي يتفق من الفصل بين أهل الزمان اذا تفاضلوا وتفاوتوا في مضممار فصل قريب وأمر يسير وكذلك لا يخفى عليهم معرفة سارق الالفاظ وسارق المعاني ولا من يخترعها ولا من يلهمها ولا من يجاهر بالاخذ من يكاتبه ولا من يخترع الكلام اختراعا ويتندهه ابتداها ممن يروى فيه ويجيل الفكر في تنقيحه ويصبر عليه حتى يتخلص له ما يريد وحتى يتكرر نظره فيه قال أبو عبيدة سمعت أبا عمرو يقول زهير والخطيئة وأشباههما عبيد الشعر لانهم نقيضوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين وكان زهير يسمى كبر شعره الحوليات المنقمة وقال عدى بن الرقاع

وقصيدة قد بت أجمع بينها * حتى أقوم صيلها وسنادها

نظر المتقف في كعوب قنانه • حتى يقيم ثقافه متأدا

وكقول سويد بن كراع

أبيت بأبواب القوافي كأنما • أصادى بهم امر بامن الوحش نزعا

ومنهم من يعرف بالبدية وحده الخاطر ونقاد الطبع وسرعة النظم يرتجل القول ارتجالا ويطبعه عفوا صفوا فلا يقعد به عن قوم قد تعبوا وكثروا أنفسهم وجاهدوا خواطرهم وكذلك لا يخفى عليهم الكلام العاوي واللفظ الملوكي كما لا يخفى عليهم الكلام العاوي واللفظ السوقي ثم تراهم ينزلون الكلام تنزيلا ويعطونه كيف تصرف حقوقه ويعرفون من اتبه فلا يخفى عليهم ما يختص به كل فاضل تقدم في وجهه من وجوه النظم من الوجه الذي لا يشار فيه غيره ولا يساهمه سواه الأتراهم وصفوا زهيراً بأنه أمدحهم وأشدهم اثر شعره قاله أبو عبيدة وروى ان الفرزدق انتقل بيتا من شعر جرير وقال هذا يشبه شعري فكان هؤلاء لا يخفى عليهم ما قد نسبناه اليهم من المعرفة بهذا الشأن وهذا كما يعلم البزاون هذا الديباج عمل يتستر وهذا لم يجعل يتستر وان هذا من صنعة فلان دون فلان ومن نسج فلان دون فلان حتى لا يخفى عليه وان كان قد يخفى على غيره ثم انهم يعلمون أيضا من له سميت بنفسه ورفت برأسه ومن يقتدى في الالفاظ وفي المعاني أو فيهما بغيره ويجعل سواه قدوة له ومن يلهم في الاحوال عذبه غيره ويأتي في الاحيان بمخترعه وهذه أمور مبهمة عند العلماء وأسباب معروفة عند الادباء وكما يقولون ان البهتري بغيره على أبي تمام اغارة وياخذ منه صريحا واثارة ويستأنس بالاخذ منه بخلاف ما يستأنس بالاخذ من غيره وياخذ منه صريحا واثارة ويستأنس بالاخذ منه بخلاف ما يستأنس بالاخذ من بعض الشعراء يأخذ من كل أحد ولا يخاصي ويؤلف ما يقوله من فرق شتى وما الذي نفع

المتنبى جوده الاخذ وانكاره معرفة الطائنين وأهل الصنعة يدلون على كل حرف أخذه
منه ما جهازا أو الم مما فيه سرارا أو ما ما لم يأخذ عن الغير ولكن سلك النقط وراعى النهج
فهم يعرفونه ويقولون هذا اشبه به من التمرة بالتمرّة وأقرب اليه من الماء الى الماء وليس
بينهما الا كباين الليلة والليلة فاذا تابنا وذهب أحدهما في غير مذهب صاحبه وسلك في
غير جانبه قيسل بينهما ما بين السماء والارض وما بين النجم والنون وما بين المشرق والمغرب
وانما أطلت عليك و وضعت جميعه بين يديك لتعلم ان أهل الصنعة يعرفون دقيق هذا الشأن
وجليله وغامضه وجليله وقرينه وبعيده ومعوجه ومستقيمه فكيف يخفى عليهم الجنس
الذى هو بين الناس متداول وهو قريب متناول من أمر يخرج عن أجناس كلامهم
ويبعد عما هو في عرفهم ويفوت مواعق قدرهم واذا اشتبه ذلك فاعما يشبهه على ناقص في
الصنعة أو قاصر عن معرفة طرق الكلام الذى يتصرفون فيه ويدرونه بينهم ولا يتجاوزونه
فلكلامهم سبيل مضبوطة وطرق معرفة محصورة وهذا كما يشبهه على من يدعى الشعر
من أهل زماننا والعلم بهذا الشأن فيدعى انه أشعر من البعترى ويتوهم انه أدق مسلكا من
أبي نواس وأحسن طريقا من مسلم وأنت تعلم انهما متباعدان وتحقق انهما لا يجتمعان
ولعل أحدهما انما يلحظ عبارة صاحبه ويطالع ضياء نجمه ويراعى حروف جناحه وهو
راكد في موضعه ولا يضر البعترى ظنه ولا يلحقه بشأوه وهمه فان اشتبهه على متأذب أو
متشاعر أو ناثق أمره مدفصاحة القرآن وموقع بلاغته وعجيب براعته فاعليك منه
انما يخبر عن نقصه وبدل على عجزه وبين عن جهله ويصرح بسخافة فهمه وركاكة
عقله وانما قدمنا ما قدمناه في هذا الفصل لتعرف ان ما آد عيناه من معرفة البليغ بعلاو
شأن القرآن وعجيب نظمه و بديع تأليفه أمر لا يجوز غيره ولا يحتمل سواه ولا يشبهه على
ذى بصيرة ولا يتجبل عند أخى معرفة كما يعرف الفصل بين طباع الشعراء من أهل الجاهلية
وبين الخضرين وبين المحدثين وبميزين من يجرى على شاكله طبعه وغيره نفسه وبين
من يشتغل بالتكليف والتصنع وبين من يصير التكليفه كالمطبوع وبين من كان مطبوعه
كالتعمل المصنوع هيهاه هيهاه هذا أمر وان دق فله قوم يقبلونه علما وأهل يحطون به
فهما ويعرفونه اليك ان شئت ويصورونه لديك ان أردت ويجلونه على خواطرك ان
أحييت ويعرضونه لفظنتك ان حاولت وقد قال القائل

للحرب والضرب أقوام لها خلقوا • وللدواوين كتاب وحساب

واكل عمل رجال ولكل صنعة ناس وفي كل فرقة الجاهل والعالم والمتوسط واكن قد قل من
عجز في هذا الفن خاصة وذهب من يحصل في هذا الشأن الا قليلا فان كنت ممن هو بالصفة

التي وصفناها من التناهي في معرفة الفصاحات والتحقيق بمجاري البلاغات فاعلم بكيفية التأمل وغنبيك التصور وان كنت في الصنعة مرمدا وفي المعرفة بها متوسطا فلا بد لك من التقليد ولا غنى بك عن التسليم أن الناقص في هذه الصنعة كان خارج عنها والشادي فيها كالباقي منها فان أراد ان يقرب عليه أمرا وينسخ له طريقا ويفتح له بابا ليعرف به اعجاز القرآن فانا نضع بين يديه الامثلة ونعرض عليه الاساليب ونصور له صورة كل قبيل من النظم والنثر ونحضر له من كل فن من القول شيئا بتأمله حق تأمله ويراعيه حق مراعاته فيستدل استدلال العالم ويستدرك استدراك الناقد ويقطع له الفرق بين الكلام الصادر عن الربوبية الطامع عن الالهية الجامع بين الحكم والحكم والاختبار عن الغيوب والغائبات والمنضمين لصالح الدنيا والدين والمستوعب لجلية اليقين والمعاني المخترعة في تأسيس أصل الشريعة وفروعها بالالفاظ الشريفة على تمنها ونصرفها ونعمد الى شئ من الشعر المجمع عليه فبين وجه النقص فيه وندل على انحطاط رتبته ووقوع أبواب الخلل فيه حتى اذا تأمل ذلك وتأمل ما ذكره من تفصيل اعجاز القرآن وفصاحته وبغيب براعته انكشف له واقفح وثبت ما وصفناه لديه ووضح وليعرف حدود البلاغة ومواقع البيان والبراعة ووجه التقدم في الفصاحة وذكر الجاحظ في كتاب البيان والتبيين ان الفارسي سئل فقيل له ما البلاغة فقال معرفة الفصاحات من الوصل وسئل اليوناني عنها فقال تصحيح الاقسام واختيار الكلام وسئل الرومي عنها فقال حسن الاقتضاب عند البدهاة والغزارة يوم الاطالة وسئل الهندي عنها فقال وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة وقال مرة التماس حسن الموقع والمعرفة بساحات القول وقلة الخرق بما التبس من المعاني أو غرض وشرذ من اللفظ وتعدر وزينته ان تكون الشمائل موزونة والالفاظ معدلة والهجة نقيمة وأن لا يكلم سيد الامة بكلام الامة ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة ولا يدقق المعاني كل التدقيق ولا ينقح الالفاظ كل التنقيح وبصفيها كل النصفية ويهذبها بغاية التهذيب وأما البراعة ففيما يذكروا أهل اللغة الخلق بطريفة الكلام وتجويده وقد يوصف بذلك كل متقدم في قول أو صناعة وأما الفصاحة فقد اختلفوا فيهم منهم من عبر عن معناها بأنه ما كان جزل اللفظ حسن المعنى وقد قيل معناها الاقتدار على الابانة عن المعاني الكامنة في النفوس على عبارات جلية ومعان نقيمة بهيمة والذي يصور عندك ما ضمننا تصويره ويحصل عندك معرفة اذا كنت في صنعة الادب متوسطا وفي علم العربية متبيناً ان تنظر اولاً في نظم القرآن ثم في شئ من كلام النبي صلى الله عليه وسلم فتعرف الفصل بين النظمين والفرق بين الكلامين فان

تبين لك الفصل ووقعت على جلية الامر وحقيقة الفرق فقد أدركت الغرض وصادفت المقصد وان لم تفهم الفرق ولم تقع على الفصل فلا بد لك من التقليد وعلت انك من جملة العامة وان سبيلك سبيل من هو خارج عن أهل اللسان

خطبة للنبي صلى الله عليه وسلم

روي طه بن عبيد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على منبره يقول ألا أيها الناس توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا وبادروا الأعمال الصالحة قبل أن تستغلوا وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثره ذكركم وكثرة الصدقة في السر والعلانية ترزقوا وتؤجروا وتتصروا واعلموا ان الله عز وجل قد افترض عليكم الجمعة في مقامى هذا في عامى هذا في شهرى هذا الى يوم القيامة حياتى ومن بعد موتى فمن تركها وله امام فلا جمع الله له شمله ولا بارئ له في أمره ألا ولا حج له ألا ولا صومه له ألا ولا صدقة له ألا ولا بر له ألا ولا يوم اعرابى مهاجرا ألا ولا يوم فاجر مؤمنا الا ان يقهره سلطان يخاف سيفه أو سوطه

خطبة له صلى الله عليه وسلم

أيها الناس ان لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم وان لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم ان المؤمن بين مخافتين بين أجل قدمضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقى لا يدري ما الله تعالى قاض عليه فيه فليأخذ العبد لنفسه من نفسه ومن دنياه لا آخرته ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الموت والذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعقب ولا بعد الدنيا دار الاجنة أو النار

خطبة له صلى الله عليه وسلم

ان الحمد لله أحمده وأسئعنيته نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ان أحسن الحديث كتاب الله قد أفصح من زينه الله في قلبه وأدخله في الاسلام بعد الكفر واختاره على ما سواه من أحاديث الناس انه أصدق الحديث وأبلغه أحبوا من أحب الله وأحبوا الله من كل قلوبكم ولا تعلموا كلام الله وذكروه ولا تقسوا عليه قلوبكم اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً اتقوا الله حق تقاته وصدقوا صالحو ما تعلمون بأفواهكم وتجاوبوا بروح الله بينكم والسلام عليكم ورحمة الله

خطبة له صلى الله عليه وسلم في أيام التشريق

قال بعد حمد الله أيها الناس هل تدرون في أي شهر أنتم وفي أي يوم أنتم وفي أي بلد أنتم

قالوا في يوم حرام وشهر حرام وبلد حرام قال الألفان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقونه ثم قال اسمعوا مني تعيشوا ألا تظلموا ثلاثا أنا لأنه لا يجعل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه إلا أن كل دم ومال ومأثرة كانت في الجاهلية تحت قدمي هذه الأوان أو لدم وضع دم ربعة بن الحارث ابن عبد المطلب كان مسترضعا في بني ليث فقتلته هذيل الأوان كل رب كان في الجاهلية موضوع الأوان الله تعالى قضي أن أوّل ربابوضع رباعي العباس لكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون الأوان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم ألا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض الأوان الشيطان قد يئس أن يعبد المصلون ولكن في التعريش بينكم اتقوا الله في النساء فانهم عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا وإن لهن عليكم حقا ولكم عليهن حق الأيوطن فرسكم أحد غيركم فان خفتم نشوزهن فعضوهن واهجرهن وهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف فانما أخذتموهن بأمانة الله تعالى واستحلتم فروجهن بكلمة الله الأوامن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ثم بسط يده فقال الأهل بلغت الأهل بلغت ليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ أبلغ من سامع

خطبته صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة

وقف على باب الكعبة ثم قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج أو قتل الخطأ العمد بالسوط والعصا فيه الدية مغلظة منها أربعون خلفه في بطونها أولادها يامعشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء الناس من آدم وآدم خلق من تراب ثم تلا هذه الآية يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى الآية يامعشر قريش أو يا أهل مكة ماترون أني فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ قال فاذهبوا فأنتم الطلقاء

خطبته صلى الله عليه وسلم بالخيف

روى زيد بن ثابت أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب بالخيف من منى فقال نصر الله عبدا سمع مقالتي فوعاها ثم أداها إلى من لم يسمعهما فرب حامل فقه لا فقه له ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ثلاث لا يغل عليهن قلب المؤمن إخلاص العمل لله والنصيحة لأولي الأمر ولزوم الجماعة إن دعوتهم تكون من ورائه ومن كان همهم الآخرة

جمع الله له شمسه وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة ومن كان همه الدنيا فرتق الله أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له

﴿خطبة له صلى الله عليه وسلم﴾

(رواها أبو سعيد الخدري رضي الله عنه)

خطب بعد العصر فقال أيا ان الدنيا خضرة حلوة الا وان الله مستخلفكم فيها فمناظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء الا لا يمتعن رجلا مخافة الناس ان يقول الحق اذا علمه قال ولم يزل يخطب حتى لم يبق من الشمس الا جرة على أطراف السعف فقال انه لم يبق من الدنيا فيه امضى الا كباقي من يومكم هذا فيما مضى

﴿كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى ملك فارس﴾

من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأدعوك بدعاء الله فاني أنا رسول الله الى الناس كافة لا نذر من كان حيا و يحق القول على الكافر بن فاسلم تسلم

﴿كتاب له صلى الله عليه وسلم الى النجاشي﴾

من محمد رسول الله الى النجاشي ملك الحبشة سلم أنت فاني أحد ابيك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله و كلمته ألقاها الى مريم البتول الطيبة فحملت بعيسى فحملته من روحه ونفخه كما خلق آدم من طين بيده ونفخه واني أدعوك الى الله وحده لا شريك له والموا الاله على طاعته وان تتبني وتؤمن بالذي جاءني واني أدعوك وجنودك الى الله تعالى فقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصحى والسلام على من اتبع الهدى

﴿نسخة عهد الصلح مع قريش عام الحديبية﴾

هذا ما صلح عليه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم سهيل بن عمرو واصطالحا على وضع الحرب عن الناس عشرين سنة يأمن فيه الناس ويكف فيه بعضهم عن بعض على انه من أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشا من مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرده عليه وان بيننا عيبه مكفوفة وانه لا اسلال ولا اغلال وانه من أحب ان يدخل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقده دخل فيه ومن أحب ان يدخل في عهد قريش وعهدهم دخل فيه وانك ترجع عنا عامك هذا فلان دخل علينا مكة فاذا كان عاما قابلا نخرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقت بها ثلاثا وان معك سلاح الراكب والسيوف في الركب فلا تدخلها بغير * هذا ولا أطول عليك واقصر على ما ألقىته اليك

فان كان لك في الصنعة حظ أو كان لك في هذا المعنى حس أو كنت تضرب في الأدب بسهم أو في العربية بقسط وان قل ذلك السهم أو نقص ذلك النصيب فما حسب انه يشته به عليك الفرق بين براعة القرآن وبين ما نسخناه لك من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم في خطبه ورسائله وما عساك تسمعه من كلامه ويتساقت اليك من ألفاظه وأقدراتك ترى بين الكلامين بونا بعيدا وأمداما مديدا وميدانا واسعا ومكانا شاسعا فان قلت لعله ان يكون نعل للقرآن وتصنع لنظمه وشبه عليك الشيطان ذلك من خبثه فثبتت في نفسك وارجع الى عقلك واجمع لبك وتيقن ان الخطب يحتشد لها في المواضع العظام والمحافل الكبار والمواسم النخام ولا يتجاوز فيها ولا يستهان بها والرسائل الى الملوك مما يجمع لها الكاتب جواميزه ويشمر لها عن جد واجتهاد فكيف يقع بها الاخلال وكيف يتعرض للتفريط فستعلم لاحالة ان نظم القرآن من الامر الالهى وان كلام النبي صلى الله عليه وسلم من الامر النبوى فاذا أردت زيادة في التبين وتقدمنا في التعرف واشرافا على الجلية وفوزا بحكم القضية فتأمل هداك الله ما نسخناه لك من خطب الصحابة والبلغاء لتعلم ان نسجها ونسج ما نقلنا من خطب النبي صلى الله عليه وسلم واحد وسبكها سبك غير مختلف وانما يقع بين كلامه وكلام غيره ما يقع من التفاوت بين كلام الفصيح وبين شعر الشاعرين وذلك أمره مقدار معروف وحديتهى اليه مضبوط فاذا عرفت ان جميع كلام الأدي منهاج ولجنته طريق وتبينت ما يمكن فيه من التفاوت نظرت الى نظم القرآن نظرة أخرى وتأملته مرة ثانية فتراعى بعد موقعه وعالى محله وموضعه وحكمت بواجب من اليقين وثب الصدر بأصل الدين

﴿ خطبة لأبي بكر الصديق رضى الله عنه ﴾

قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فاني وليت أمركم ولست بخيركم ولكن نزل القرآن وسن النبي صلى الله عليه وسلم وعلما فعلنا واعلموا ان أكيس السكيس النقي وان أحق الحق الفجور وان أفواكم عندى الضعيف حتى آخذله بحقه وان أضعفكم عندى القوي حتى آخذمنه الحق أيها الناس انما أنا متبع ولست بمتدع فان أحسنت فأعينوني وان زغت فقوموني

﴿ عهد لأبي بكر الصديق الى عمر رضى الله عنهما ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة ساعة يؤمن فيها الكافر ويتقى فيها الفاجر انى استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فان بر وعدل فذاك ظني به ورأى فيه وان جار وبدل فلا

علم لي بالغيب والخير أردت لاسكم ولكل امرئ ما اكتسب من الاثم وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وفي حديث عبد الرحمن بن عوف رجة الله عليه قال دخلت على أبي بكر الصديق رضي الله عنه في علته التي مات فيها فقلت أراك بارئاً يا خليفة رسول الله فقال أما اني على ذلك لشديد الوجع والماليت منكم يا معشر المهاجرين أشد علي من وجحي اني وليت أموركم خيركم في نفسي فكلكم ورم أنفه ان يكون له الامر من دونه والله لتتخذن نضائد الدياج وستورا لحر برولتامن النوم على الصوف الاذربي كما يألم أحدكم النوم على حسك السعدان والذي نفسي بيده لان يقدم أحدكم فضر بريقته في غير حذيره من ان يخوض غمرات الدنيا يا هادي الطريق جزت انما هو والله الفجر أو البحر قال فقلت خفض عليك يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان هذا يهيضك الى ما بك فوالله ما زلت صالحا مصححا لاتأسي على شيء فانك من أمر الدنيا ولقد تخليت بالامر وحدك فما رأيت الا خيرا وله خطب ومقامات مشهورة اقتصرنا عنها على ما نقلنا منها قصة السقيفة

(نسخة كتاب)

كتب أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل الى عمر بن الخطاب رضي الله عنهم سلام عليك فانا نحمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فانا عهدناك وأمر نفسك لك مهم فأصبت وقد وليت أمر هذه الأمة أحرها وأسودها يجلس بين يديك الصديق والعدو والشريف والوضيع ولكل حصته من العدل فانظر كيف أنت يا عمر عند ذلك فانا نحذرك يوما نعنو فيه الى جوه وتجب فيه القلوب وانا كنا نتحدث ان هذه الامة ترجع في آخر زمانها ان يكون اخوان العلانية أعداء السريرة وانا نعنو بالله أن تنزل كتابنا سوى المنزل الذي نزل من قلوبنا فانا انما كتبنا اليك بصيحة والسلام

فكتب اليهما من عمر بن الخطاب الى أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل سلام عليك فاني أجد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فقد جاني كتابكازعمان انه بلغك اني وليت أمر هذه الامة أحرها وأسودها يجلس بين يدي الصديق والعدو والشريف والوضيع وكتبتم ان انظر كيف أنت يا عمر عند ذلك وانه لا حول ولا قوة لغير عند ذلك الا بالله وكتبتم اني نحذرن اني ما حذرت به الأمم قبلنا وقديما كان اختلاف الليل والنهار باآجال الناس يقربان كل بعيد ويبليان كل جديد ويأتیان بكل موعود حتى يصير الناس الى منازلهم من الجنة أو النار ثم توفي كل نفس بما كسبت ان الله مريب الحساب وكتبتم اني ان أمر هذه الامة يرجع في آخر زمانها ان يكون اخوان العلانية أعداء السريرة واستم بذلك وليس هذا ذلك الزمان ولكن زمان ذلك حين تظهر الرغبة والرغبة فمكون رغبة بعض الناس

الى اصلاح دينهم ورهبه بعض الناس اصلاح دنياهم وكتبتم ان تؤذاني بالله ان أنزل
كتابك منى سوى المنزل الذى نزل من قلوبك وانما كتبتم نصيحة لى وقد صدقتك
فتعهدانى منك كتاب ولاغنى فى عنك

عهد من عهد عمر رضى الله عنه

(بسم الله الرحمن الرحيم) من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الى عبد الله بن
قيس سلام عليك أما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا أدلى اليك
فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذه آس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجاسك حتى لا يطمع
شريف فى حيفك ولا يياس ضعيف من عدلك البينة على من ادعى واليمين على من أنكر
والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا ولا يمنعك قضاء قضيت به بالامس
فراجعت فيه عقلك وهديت لرشدك ان ترجع الى الحق فان الحق قديم ومراجعة الحق
خير من التماهى فى الباطل الفهم الفهم فيما تلج فى صدرك مما ليس فى كتاب ولا سنة ثم
اعرف الاشباه والامثال وقس الامور عند ذلك واعمد الى أشبهها بالحق واجعل لمن ادعى
حقا غائبا أو بينة أمر ا ينتهى اليه فان أحضر بينة أخذت له بحقه والاستحلت عليه
القضية فانه أنفى للشك وأجلى للعى المسلمون عدول بعضهم على بعض الاجلود فى حد أو
مجر با عليه شهادة زور أو ظنينا فى ولاء أو نسب فان الله تولى منكم السرائر ودرأ
بالايمان والبيئات واياك والعلو والنجر والتأذى بالخصوم والتسكير عند الخصومات فان
الحق فى مواطن الحق يعظم الله به الاجر ويمحسن به الذخر فمن صحت نيته وأقبل على نفسه
كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن تخلق للناس بما يعلم الله انه ليس من نفسه شأنه الله فما
ظنك بشواب الله عز وجل فى عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام ولعمر رضى الله عنه
خطب مشهورة مذكورة فى التاريخ لم ننقلها اختصارا

ومن كلام عثمان بن عفان رضى الله عنه

(خطبة له رضى الله عنه)

قال ان لكل شئ آفة وان لكل نعمة عاهة فى هذا الدين عيايون ظنانون يظهرون لكم
ما تحبون ويسرون ما تكرهون يقولون لكم ويقولون طغام مثل النعام يتبعون
أول ناعق أحب مواردهم اليهم النازح لقد أقررتم لابن الخطاب بأكثر مما أنتمت على
ولكنه وقكم وقكم وزجركم زجر النعام الخنزرة والله انى لأقرب ناصرا وأعز نفرا وأقن
ان قلت هلم أن تجاب دعوتى من عمر هل تقدمون من حقوقكم شيئا فالى لا أفعل فى الحق
ما أشاء اذا فلم كنت اماما

﴿ كتابه الى علي حين حضر رضى الله عنهما ﴾

أما بعد فقد بلغ السيل الزبي وجاوز الحزام الطيبين وطمع في من لا يدفع عن نفسه فاذا أتاك كتابي هذا فاقبل الى علي كنت أم لي

فان كنت ما كولا فكن خيرا كل * والا فأدر كني ولما أمرق

(ومن كلام علي رضى الله عنه) قال لما قبض أبو بكر رضى الله عنه ارتجت المدينة بالبكاء كيوم قبض النبي صلى الله عليه وسلم وجاء علي بايكام استرجعوا وهو يقول اليوم انقطعت خلافة النبوة حتى وقف علي باب البيت الذي فيه أبو بكر فقال رحك الله بأب بكر كنت الف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنسه وثقته وموضع سره كنت أول القوم اسلاما وأخلصهم ايمانا وأشدتهم بقينا وأخوفهم لله وأعظمهم غناء في دين الله وأحوطهم على رسوله وآمنهم على الاسلام وآمنهم على أحمابيه أحسنهم حجة وأكثرهم مناقب وأفضلهم سوابق وأرفعهم درجة وأقر بهم وسيلة وأقر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سننا وهديا ورجة وفضلا وأشرفهم منزلة وأكرمهم عليه وأوثقهم عنده جزاك الله عن الاسلام وعن رسوله خيرا كنت عنده بمنزلة السمع والبصر صدقت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كذبه الناس فسماك الله في تزيله صديقا فقال والذي جاء بالصدق وصدق به واسيته حين بخلوا وقت معه عند المكاره حين عنه قعدوا وصحبته في الشدة أكرم الصحبة ناني اثنين وصاحبه في الغار والمنزل عليه السكينة والوقار ورفيقه في الهجرة وخليفته في دين الله وفي أمته أحسن الخلافة حين ارتد الناس فهضت حين وهن أصحابك وبرزت حين استكانوا وقويت حين ضعفوا وقت بالامر حين فشلوا ونظقت حين تبععوا مضيت بنور اذ وقفوا واتبعوك فهدوا وكنت أصوبهم منطلقا وأطولهم صمتا وأبلغهم قولاً وأكثرهم رأيا وأجمعهم نفسا وأعرفهم بالامور وأشرفهم عملا كنت للمدين يعسو بأولا حين نفر عنه الناس وآخرها حين اقبلوا وكنت لأؤمنين بأرحمها اذ صاروا عليك عيالاً فحملت أثقال ما ضعفوا ورعبت ما أهملوا وحفظت ما أضعوا واشهرت اذ خنعوا وعلوت اذ هلعوا واصبرت اذ جزعوا وأدركت أوتار ما طلبوا وراجعوا رشدتهم برأيك فظفروا ونالوا بك ما لم يحتسبوا وكنت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمن الناس عليه في محبتك وذات يدك وكنت كما قال ضعيفاً في بدنك قوي في أمر الله متواضعاً في نفسك عظيماً عند الله جليلاً في أعين الناس كبيراً في أنفسهم لم يكن لاحد فيك منجز ولا لاحد مطمع ولا مخلوق عندك هوادة الضعيف الذليل عندك قوي عزيز حتى تأخذله بحقه والقوى العزيز عندك ضعيف ذليل حتى تأخذ منه الحق القريب والبعيد عندك سواء أقرب الناس اليك أطوعهم لله شأنك الحق والصدق والرفق

قولك حركم وأمرك حزم ورأيك علم وعزم فأبلغت وقد نهج السبيل وسهل العسير
وأطفأت النيران واعتدل بك الدين وقوى الإيمان وظهر أمر الله ولو كره الكافرون
واتعبت من بعدك اتعابا شديدا وفزت بالجد فوزا مبينا فجالات عن البكاء وعظمت رزيتك
في السماء وهدت مصيبتك الأنام فأنا لله وأنا إليه راجعون رضينا عن الله قضاءه وسلمنا له أمره
فوالله لن يصاب المسلمون بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلك أبدا فألحقك الله بنبيه ولا
حرمانا أجرك ولا أضلنا بعدك وسكت الناس حتى انقضى كلامه ثم بكوا حتى علت أصواتهم

﴿ خطبة أخرى لعلي رضي الله عنه ﴾

أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وأذنت بوداع وان الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع وان
المضمار اليوم وغدا السباق ألا وانكم في أيام مهمل ومن ورائه أجل فن أخلص في أيام
أمله فقد فاز ومن قصر في أيام أمه قبل حضور أجله فقد خسر عمله وضره أمه الأ
فاعملوا لله في الرغبة كما تعملون له في الرهبة ألا وانى لم أر لجنة نام طالبها ولا كلنار نام
هاربها ألا وان من لم ينفعه الحق يضره الباطل ومن لم يستقم به الهدى يجره الضلال ألا
وانكم قد أمرتم بالظعن ودلتهم على الزاد ألا وان أخوف ما أخوف عليكم الهوى وطول
الامل (وخطب) فقال بعد حمد الله أيها الناس اتقوا الله فما خلقت امرؤ عبثا فيلهو ولا
أهمل سدى فيلغو ما دنياه التي تحسنت اليه بخلف من الآخرة التي فيها سوء النظر اليه
وما الخسيس الذي ظفر به من الدنيا بأعلى همته كالأخر الذي ظفر به من الآخرة
من سهمته

﴿ وكتب علي رضي الله عنه الى عبد الله بن عباس رجه الله وهو بالبصرة ﴾

أما بعد فإن المرء يسر يدرك ما لم يكن ليعرمة ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فليكن
سرورك بما قدمت من أجر أو منطق وليكن أسفك فيما فرطت فيه من ذلك وانظر ما فاتك
من الدنيا فلانك تكثر عليه جزعا ومائلته فلا تنعم به فرحا وليكن همك لما بعد الموت

﴿ كلام لابن عباس رضي الله عنه ﴾

قال عتبة بن أبي سفيان لابن عباس ما منع أمير المؤمنين ان يبعثك مكان أبي موسى يوم
الحكيم قال منعه والله من ذلك حاجز القدر وقصر المدة ومحنة الابتلاء أما والله لو بعثني
مكانه لا اعتراض له في مدارج نفسه ناقضا لما أبرم ومبر ما لما نقض أسف اذا طار وأطير اذا
أسف ولكن مضى قدر وبقى أسف ومع يومنا غد والآخرة خير لا مير المؤمنين من الأولى

﴿ خطبة لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه ﴾

أصدق الحديث كتاب الله وأصدق العرا كلمة التقوى خير المثل لملة إبراهيم وأحسن

السنن سنة النبي صلى الله عليه وسلم خير الامور واساطها وشرا الامور محدثاتها ما قل
وكفى خيرا كثيرا وألهى خير الغنى غنى النفس وخيرا ما أتى في القلب اليقين المخرج
الائم النساء حياة الشيطان الشباب شعبة من الجنون حب الكفاية مفتاح المعجزة من
الناس من لا يأتي الجماعة الا دبرا ولا يذكر الله الا هجرا أعظم الخطايا اللسان الكذب
سباب المؤمن فسق وقتاله كفر وأكل لحمه معصية من يتألم على الله يكذبه من بغض
يغفره مكتوب في ديوان المحسنين من عفا عني عنه الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد
من وعظ بغيره الامور بعواقبها ملاك العمل خواتيمه أشرف الموت الشهادة من يعرف
البلاء يصبر عليه ومن لا يعرف البلاء ينكره

خطبة لمعاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه

قال الراوى لما حضرته الوفاة قال لمولى له من الباب فقال نفر من قريش يتباشرون بموتك
فقال ويحك ولم تم اذن للناس فحمد الله فأجزتم قال أيها الناس ان اقد أصبحنا في دهر عنود
وزمن شديد يعد فيه المحسن مسيئا ويزداد الظالم فيه عتوا لا انتفع مما عملنا ولا نسأل عما
جهلنا ولا نتخوف من قارعة حتى تحل بنا فان الناس على أربعة أصناف منهم من لا يمنع الفساد
في الارض الامهانة نفسه وكلال حده ونضيض وفره ومنهم من المسلط سيقه والمجلب برجله
والمعلن بشره قد اشترط نفسه وأبق دينه لحطام يتهزئه أو مقتب يقوده أو منبر يقرعه
و بنس المتجران تراها لنفسك ثمنا ومالك عند الله عوضا ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة
ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا قدام من من شخصه وقارب من خطوه وشمر من ثوبه وزخرف
نفسه للامانة واتخذ ستر الله ذريعة الى المعصية ومنهم من أقعده عن الملك ضوله في نفسه
وانقطاع سببه فقصرته الحال فحلى باسم القناعة وتزين بلباس الزهاد واپس من ذلك في
مراح ولا تغدى وبقى رجال أغض أبصارهم ذكر المرجع وأراق دموعهم خوف المحشر
فهم بين شديد نادوا خائف متفجع وساكت مكعوم وداع مخلص وموجع تكلان قد أختلتم
التقية وشملتهم الذلة فهم في بحر أجاج أفواهم دامية وقلوبهم قريحة قد وعظوا حتى ماوا
وقهروا حتى ذلوا وقتلوا حتى قتلوا فلتكن الدنيا في عيونكم أقل من ختانة القرظ وقراءة
الجم واتعظوا بمن كان قبلكم قبل ان يتعظ بكم من بعدكم فافضوها ذميمة فانها قد رفضت
من كان أشغف بها منكم

خطبة امر بن عبد العزيز رضى الله عنه

أيها الناس انكم ميتون ثم انكم مبعوثون ثم انكم محاسبون فلعمري اني كنتم صادقين
لقد قصرتم وان كنتم كاذبين لقد هلكتم يا أيها الناس انه من يقتدر له رزق برأس جبل أو

بمحضض أرض ياتنه فاجلوا في الطلب

خطبة للجماج بن يوسف

جد الله وأنتى عليه ثم قال يا أهل العراق ويا أهل الشقاق والنفاق ومساوى الاخلاق
و بنى الكعبة وعبيد العصا وأولاد الاما والفقع بالقرقراني سمعت تكبير الايراد به الله
وانما ياراد به الشيطان وانما مثلي ومثلكم ما قاله ابن بركة الهمداني

و كنت اذا قوم غزوني غزوتهم * فهل انا في ذايال همدان ظالم

متى تجمع القلب الذكي وصارما * وانفا حيا تجتنبك الظالم

أما والله لا تفرع عصا عصا الاجعلتها كأمن الدابر

خطبة لقس بن ساعدة الايادي

أخبرني محمد بن علي الانصاري بن محمد بن عامر قال حدثنا علي بن ابراهيم حدثنا عبد الله بن
داود بن عبد الرحمن العمري قال حدثنا الانصاري علي بن محمد الحنظلي من ولد حنظلة
الغسيل حدثنا جعفر بن محمد عن محمد بن حسان عن محمد بن ججاج اللخمي عن مجالد عن
الشعبي عن ابن عباس قال لما وفد وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
أيكم يعرف قس بن ساعدة قالوا كلنا نعرفه يارسول الله قال لست أنساه بعبك اذ وقف
على بعير له أجر فقال أيها الناس اجتمعوا واذا اجتمعتم فاسمعوا واذا سمعتم فعدوا واذا وعيتم
فقولوا واذا قلتهم فاصدقوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت أما بعد فان في
السماء خبيرا وان في الارض لعبرا مهاده موضوع وسقف مرفوع ونجوم تمور وبحار لا تغور
أقسم بالله قس بن ساعدة قالوا كاذبا فيه ولا آتمالن كان في الارض رضا ليكونن سخط ان الله
تعالى ديناهو أحب اليه من دينكم الذي أتمت عليه وقد أتاكم أو انه ولحقتمكم مدته مالى
أرى الناس يذهبون فلا يرجعون أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا فناموا ثم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم أيكم يروى شعره فأشده

في الذاهبين الاولي • من القرون لنا بصائر

لما رأيت موارد • لوت ليس لها مصادر

ورأيت قوى نحوها • يسعى الاصاغر والا كابر

لا يرجع الماضي السي • ولا من الباقي غابر

أيقنت اني لا محا • له حيث صار القوم صائر

أخبرني الحسن بن عبد الله بن سعيد حدثنا علي بن الحسين بن اسماعيل حدثنا محمد بن
زكريا حدثنا عبد الله بن النخاع عن هشام عن أبيه ان وفدا من اياد قدموا على رسول

الله صلى الله عليه وسلم فسألهم عن حال قس بن ساعدة فقاموا وقال قس
 يا ناعي الموت والاموات في جدث • عليهم من بقايا بزهم خرف
 دعهم فان لهم يوما يصاح بهم * كما ينبيه من نوماته الصعق
 منهم عراة ومنهم في ثيابهم * منها الجديد ومنها الاورق الخلق
 مطر ونبات وآباء وامهات وذاهب وآت وآيات في انزآيات واموات بعد اموات
 ضوء وظلام وليال وايام وغنى وفقير وشقى وسعيد ومحسن ومسيئ أين الارباب الفعلة
 ليصلحن كل عامل عمله كلابل هو الله واحد ليس بمولود ولا والد اعاد وابدى واليه المآب
 غدا اما بعد يا معشر اباد اين تعود وعاد واين الآباء والاجداد اين الحسن الذي لم يشكر
 اين الظلم الذي لم ينقم كلا ورب الكعبة ليعودن ما بدا ولئن ذهب يوم ليعودن يوم قال
 وهو قس بن ساعدة بن حدائق بن ذهل بن ايا بن نزار اول من آمن بالبعث من اهل الجاهلية
 واول من تور كأ على عصا واول من تكلم بأما بعد

خطبة لأبي طالب

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وجعل لنا بلدا حراما وبيتا محجوبا
 وجعلنا الحكام على الناس وان محمد بن عبد الله بن اخي لا يوازن به فتى من قريش الا ربح
 به بركة وفضلا وعدلا ومجدا ونبلا وان كان في المال مقلا فان المال عارية مسترجعة
 وظل زائل وله في خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك وما اردتم من الصداق فعلى *
 قد نسخت لك جلامن كلام الصدر الا اول ومحاوراتهم وخطبهم واحيلك في عالم انسخ على
 التواريخ والكتب المصنفة في هذا الشأن فتأمل ذلك وسائر ما هو مسطر من الاخبار
 المأثورة عن السلف واهل البيان واللسان والفصاحة والفظن والالفاظ المنثورة
 والمخاطبات الدائرة بينهم والامثال المنقولة عنهم ثم انظر بسكون طائر وخفض جناح
 وتفرغ اب وجمع عقل في ذلك فسيقع لك الفضل بين كلام الناس وبين كلام رب العالمين
 وتعلم ان نظم القرآن يخالف نظم كلام الآدميين وتعلم الحد الذي يتفاوت بين كلام
 البليغ والبليغ والخطيب والخطيب والشاعر والشاعر وبين نظم القرآن جملة فان خيل
 اليك أو شبه عليك وظننت انه يحتاج ان يوازن بين نظم الشعر والقرآن لان الشعر افصح
 من الخطب وابرع من الرسائل وادق مسل كما من جميع اصناف المحاورات ولذلك قالوا له
 صلى الله عليه وسلم هو شاعر أو ساحر وسؤل اليك الشيطان ان الشعر ابلغ واعجب وارق
 وابرع واحسن الكلام وابدع فهذا فصل فيه نظرين المتكلمين وكلام بين المنقنين •
 اسمعت افضل من رأيت من اهل العلم بالادب والحدق بهذه الصناعة مع تقدمه في الكلام

يقول ان الكلام المنشور يتأني فيه من الفصاحة والبلاغة ما لا يتأني في الشعر لان الشعر يضيّق نطاق الكلام ويمنع القول من انتهائه ويصدّه عن نصرته على سننه وحضره من يتقدم في صنعة الكلام فراجع في ذلك وذكر انه لا يمنع ان يكون الشعر أبلغ اذا صادف شروط الفصاحة وأبدع اذا تضمن أسباب البلاغة وبشهادة عدوى للقول الاخير ان معظم براعة كلام العرب في الشعر ولا نجد في منشور قواهم ما نجد في منظومه وان كان تدا حدث البراعة في الرسائل على حد لم يعد في سالف أيام العرب ولم ينقل من دواوينهم وأخبارهم وهو وان ضيق نطاق القول فهو ويجمع جواشيه ويضم أطرافه ونواحيه فهو اذا تهذب في بابه ووفى له جميع أسبابه لم يقاربه من كلام الآدميين كلام ولم يعارضه من خطابه خطاب وقد حكي عن النبي انه كان ينظر في المحصف فدخل اليه بعض أصحابه فأنتكر نظره فيه لما كان آراء عليه من سوء اعتقاده فقال له هذا المسكى على فصاحته كان مفعما فان صحت هذه الحكاية عنده في الحاده عرف بها انه كان يعتقد ان الفصاحة في قول الشعر أبلغ واذا كانت الفصاحة في قول الشعر أول تكن وبين ان نظم القرآن يزيد في فصاحته على كل نظم ويتقدم في بلاغته على كل قول بما يتضح به الامر انضاح الشمس وتبين به بيان الصبح وقفت على جليلة هذا الشأن فانظر فيما تعرضه عليك مانع رضى وتصور بفهمك ما تصور لي يقع لك موقع عظيم شأن القرآن وتأمل ما رتبته ينكشف لك الحق واذا أردنا تحقيق ما ضمناه لك فن سبيلنا ان نعد الى قصيدة متفق على كبر محلها وصحة نظمها وجودة بلاغتها ومعانيها ارجاعهم على ابداع صاحبها فها مع كونه من الموصوفين بالتقدم في الصناعة والمعرفين بالحدق في البراعة فنوفك على مواضع خالها وعلى تماوت نظمها وعلى اختلاف فصواتها على كثرة فضولها وعلى شدة تعسفها وبعض تكلفها وما تجتمع من كلام رفيع يقرب بينه وبين كلام وضوح ويبين لفظ سوق يقرب بلفظ ملوكى وغير ذلك من الوجوه التي يجي تفصيلها ونبي ترتيبها وتزليلها • فأما كلام مسيلة الكذاب وما زعم انه قرآن فهو أخس من ان نستعمل به وأسخط من ان نتمكر فيه وانما نقلنا منه طرفا ليتجرب القارئ وليتبصر الناظر فانه على سفاقة قد أضل وعلى ركاكته قد أذل وميدان الجهل واسع ومن نظر فيما نقلناه عنده وفهم موضع جهله كان جديرا ان يحمد الله على ما رزقه من فهم وآناه من علم فما كان يزعم انه نزل عليه من السماء والليل الاظلم والذئب الادلم والجدع الازلم ما تهكت أسيد من محرم وذلك قد ذكر في خلاف وقع بين قوم أتوه من أصحابه وقال أيضا والليل الدامس والذئب اليامس ما تطعت أسيد من رطب ولا يابس وكان يقول والشاء والوانها وأعجبها السود والبانها والشاء السوداء واللبن الابيض انه لعجب محض وقد حرم المذق في الكرم

لا يتجمعون وكان يقول ضفدع بنت ضفدعين نقي ماتنقين أعلاك في الماء وأسفلك في الطين
 لا الشارب تمنعين ولا الماء تكدرين لئلا نصف الأرض ولقرش نصفها ولكن قرشا
 قوم يعتدون وكان يقول والمبديات زرعوا والحاصدات حصدا والذاريات قهما والطاحنات
 طينا والخازبات خبزنا والشاردات زردا واللاقات لثما اهانة وهما لثما لثما فضاتم على أهل
 الور وما سببكم أهل المدر ريفكم تامنعوه والمعترف آوره والماغى فاروه وقالت
 مهاج بنت الحارث بن عقبان وكانت تشبه أفا جمع مسيلة معها فقالت له ما أرحى اليك فقال
 الم تر كيف قيل ربك بالحلي أخرج منها نسمة تسمى من بين صفاق وحشا وقالت فما بعد
 ذلك قال أوحى الى أن الله خلق النساء أفواجا وجعل الرجال لهن أزواجا فنولج فيهن فعمسا
 ايلاجا ثم نخرجها اذا شئنا اخرجا فينتجن لنا منخالا لتاجا فقال أشهدك نبي ولم ينقل كل
 ما ذكر من سخفه كراهية التثقيب وروى انه سأل أبو بكر الصديق رضى الله عنه أقواما
 قدموا عليه من بنى حنيفة عن هذه الالفاظ فكروا بعض ما نقلناه فقال أبو بكر سبحان الله
 ويحكم ان هذا الكلام لم يخرج عن آل فأين كان يذهب بكم ومعنى قوله لم يخرج عن آل
 أى عن ربوبية ومن كان له عقل لم يشبهه عليه سخف هذا الكلام فنرجع الآن الى ما ضمنه
 من الكلام على الاشعار المنفق على جودتها وتقدم أسماها في صناعتهم ليتبين لك تفاوت
 أنواع الخطاب وتباعد مواقع البلاغة وتستدل على مواضع البراعة وأنت لا تشك في
 جودة شعر امرئ القيس ولا تراب في راعته ولا تنوق في فصاحته وتعلم انه قد أبدع
 في طرق الشعر أمور اتبع فيها من ذكرا الديار والتوقف عليها الى ما يتصل بذلك من
 البديع الذى أبدعه والتشبيه الذى أحدثه والنمج الذى يوجد في شعره والتصرف
 الكثير الذى تصادفه في قوله والوجوه التى ينقسم اليها كلامه من صناعة وطبع وسلاسة
 وعلو ومثانة ورقة وأسباب تمدوا أمور تؤثر وتمدح وقد ترى الادباء أو لا يوازنون بشعره
 فلانا وفلانا ويضمون أشعارهم الى شعره حتى ربما وازنوا بين شعر من اقمينا وبين شعره
 في أشياء لميفة وامور بدية وربما فضلوهم عليه أو سورا بينهم وبينه أو قرى باموضع
 تقدمهم عليه وبروزه بين أيديهم ولم يختاروا قصيدته في السبعيات أضافوا اليها أمثالها
 وقرى بها المأثرها ثم تراهم يقولون فلان لامية مثيها ثم ترى أنفس الشعراء تنشق الى
 معارضته وتساو به في طريقته وربما عثرت في وجهه على أشياء كثيرة وتقدمت عليه في
 أسباب مجيبة واذا جاؤا الى تعداد سخا من شعره كان أمرا محصورا وشيا معروفا أنت تجد
 من ذلك البديع أو أحسن منه في شعر غيره وتشاهد مثل ذلك البارع في كلام سواه وتتنظر
 الى المحدثين كيف توغلو الى حيازة المحاسن منهم من جبر صانة الكلام الى سلاسته

ومثاته الى عذوبته والاصابة في معناه الى تحسين بجمته حتى ان منهم من ان قصر عنه في بعض تقدم عليه في بعض لان الجنس الذي يرمون اليه والغرض الذي يتواردون عليه مما لا دعى فيه مجال وللشعري فيه مثال فكل يضرب فيه بسهم ويفوز فيه بقدر ثم قد تتفاوت السهام تفاوتاً وتبايناً وقد تتقارب تقارباً على حسب مشاركتهم في الصنائع ومساهماتهم في الحرف ونظم القرآن جنس عجز وأساليب متخصص وقبيل عن النظر متخلص فاذا شئت ان تعرف عظم شأنه فتأمل ما نقوله في هذا الفصل لامرئ القيس في اجود أشعاره وماتين لك من عواره على التتمصيل وذلك قوله

قما نبتك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول وخومل
فتوضح فالمقرات لم يعف رسمها * لما نسجتها من جنوب وشمال

الذين يتعصبون له ويدعون محاسن الشعر يقولون هذا من البدع لانه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر العهد والمنزل والحبيب وتوجع واسترجع كله في بيت ونحو ذلك وانما بينا هذا لتلايقع لنا ذهابنا عن مواضع المحاسن ان كانت ولا غفلنا عن مواضع الصنائع ان وجدت تأمل أرشدك الله وانظر هذا ك الله أنت تعلم انه ليس في البيتين شئ قد سبق في ميدانه شاعرا ولا تقدم به صانعا وفي لفظه ومعناه خلل فأول ذلك انه استوقف من يبكي لذكر الحبيب وذكره لا يقتضى بكاء الخلى وانما يصح طلب الاسعاد في مثل هذا على ان يبكي لمكانه ويرق لصديقه في شدة برحائه فأما ان يبكي على حبيب صديقه وعشيق رفيقه فأمر محال فان كان المطوب وقوفه وبكاؤه أفضا عاشقا صريح الكلام وفسد المعنى من وجه آخر لانه من السخف ان لا يعارض على حبابه وان يدع غيره الى التغازل عليه والتواجد معه فيه ثم في البيتين ما لا يفيد من ذكر هذه المواضع وتسمية هذه الاماكن من الدخول وخومل وتوضيح والمقرات وسقط اللوى وقد كان يكتمه ان يذكر في التعريف بعض هذا وهذا النطويل اذا لم يفد كان ضربا من الهى ثم ان قوله لم يعف رسمها ذكر الاصمعي من محاسنه انه باق فحنن نحرز على مشاهدته فاعمالا استرحنا وهذابا ان يكون من مساويه أولى لانه ان كان صادق الوعد فلا يزيد عناء الرسوم الاجتدة عهد وشدة وجد وانما قرع الاصمعي الى افادته هذه الفائدة خشية ان يعاب عليه فيقال أى فائدة لان يعرفنا انه لم يعف رسم منازل حبيبه وأى معنى لهذا الحشوف ذكر ما يمكن ان يذكر ولكن لم يخلصه بالتصاريه من الخلل ثم في هذه الكلمة خلل آخر لانه عقب البيت بأن قال فهل عند رسم دارس من معول فذكر أبو عبيدة انه رجع فأكذب نفسه كما قال زهير

قف بالديار التي لم يعفها القدم * نعم وغيرها الارواح والديم

وقال غيره أراد بالبيت الاول انه لم ينظم مسأله كله وبالثاني انه ذهب بعضه حتى لا يتناقض الكلامان وليس في هذا التصار لان معنى عفا ودرس واحد فاذا قال لم يعف رسمهما ثم قال قد عفا فهو تناقض لاحتمال واعتمد ان ابي عبيدة اقرب لوصح ولكن لم يرد هذا القول مورد الاستدراك كما قاله زهير فهو الى الخلل اقرب وقوله لما نسجتها كان ينبغي ان يقول لا تسجها ولكنه تعسف فجعل مافي تأويل التأييد لانها في معنى الريح والاولى التذكير دون التأييد وضرورة الشعر قد دلته على هذا التعسف وقوله لم يعف رسمها كان الاولى ان يقول لم يعف رسمه لانه ذكر المنزل فان كان رد ذلك الى هذه البقاع والاما كن التي المنزل واقع بينها فذلك خلل لانه انما يريد صفة المنزل الذي نزله حبيبته بعفائه أو بأنه لم يعف دون ما جاوره وان أراد بالبيت الدار حتى أنت فذلك أيضا خلل ولو سلم من هذا كله وعما نكره ذكره كراهية التطويل لم نشك في ان شعر أهل زماننا لا يقصر عن البيتين بل يزيد عليهما ويفضلهما ثم قال

وقونا بها صحبي على مطيهم * يقولون لانهك أسي وتحمل

وان شفقاني عبرة مبرقة • فهل عند رسم دارس من معول

وليس في البيتين أيضا معنى بديع ولا لفظ حسن كالاقاين والبيت الاول منهما متعلق بقوله قفانبك فكأنه قال قفا وقوف صحبي بها على مطيهم أو قفا حال وقوف صحبي وقوله ما متأخر في المعنى وان تقدم في اللفظ في ذلك تكلف وخروج من اعتدال الكلام والبيت الثاني مختل من جهة انه قد جعل الدمع في اعتقاده شائبا كافيا فاحتاجته بعد ذلك الى طلب حيلة اخرى وتحمل ومعول عند الرسوم ولو اراد ان يحسن الكلام لو جب ان يدخل على ان الدمع لا يشفيه لشدة ما به من الحزن ثم يسائل هل عند الربيع من حيلة اخرى وقوله كدأبك من ام اخويرث قبلها * وجارتها ام الرباب بمأسل اذا قامتا تضوع المسك منهما * نسيم الصبا يأتي بريا القرنفل

أنت لا تشك في ان البيت الاول قليل الفائدة ليس له مع ذلك بهجة فقد يكون الكلام مصنوع اللفظ وان كان منزوع المعنى وأما البيت الثاني فوجه التكلف فيه قوله اذا قامتا تضوع المسك منهما ولو اراد ان يجود افاد انهما طيبا على كل حال فأما في حال القيام فقط فذلك تقصير ثم فيه خلل آخر لانه بعد ان شبه عرفها بالمسك شبه ذلك بنسيم الغرنفل وذكر ذلك بعد ذكر المسك نقص وقوله نسيم الصبا في تقدير المنقطع عن المصراع الاول لم يصله به وصل مثله وقوله

ففاضت دموع العين مني صباية * على النهر حتى بل دمعي مجلي

ألا رب يوم لك منهن صالح • ولا سيما يوم بدارة جلجل

قوله ففاضت دموع العين ثم استعانت به بقوله منى استعانة ضعيفة عند المتأخرين في الصنعة وهو خشو غير مليح ولا بديع وقوله على النحر خشو آخر لان قوله بل دمعى مجلى يعنى عنه وبدل عليه وليس بخشو وحسن ثم قوله حتى بل دمعى مجلى اعادة ذكره الدمع خشو آخر وكان يكفيه ان يقول حتى بلت مجلى فاحتاج لاقامة الوزن الى هذا كله ثم تقديره انه قد أفرط في افاضة الدمع حتى بل مجله تقرب منه وتقصير ولو كان أبداع المكان يقول حتى بل دمعى مغايبهم وعراضهم ويشبهه ان يكون غرضه اقامة الوزن والقافية اذ الدمع يبعدان يبيل المحمل واءا يقطر من الواقف والقاعد على الارض أو على الذيل وان به لفلقلته وانه لا يقطر وأنت تجدد في شعر الخيزر زى ما هو أحسن من هذا البيت وأمتن وأجيب منه والبيت الثانى خال من الحماسن والبديع خلو من المعنى وائيس له لفظ يروق ولا معنى يروع من طبائع السوق فلا يروعك ثم يوله باسم موضع غريب وقال

ويوم عقرت للعذارى مطيتى * فيا عجبا من رحلها المتحمل
فقل العذارى يرتعن بلحمها * وشحم كهتأب الدمقس المغتل

تقديره اذ كرىوم عقرت مطيتى أو يرده على قوله يوم بدارة جليل وليس في المصراع الاول من هذا البيت الاسفاهته قال بعض الادباء قوله يا عجبا بجههم من سفهه في شبايه من نخره ناقه لهم واءا أراد ان لا يكون الكلام من هذا المصراع منه قطعاً عن الاول وأراد ان يكون الكلام ملائعاً وهذا الذى ذكره بعيد وهو منقطع عن الاول وظاهره انه يجب من تحمل العذارى رحله وليس في هذا تعجب كبير ولا في نخر الناقه لهن تعجب وان كان يعنى به انهن حملن رحله وان بعضهن حملته فعبء عن نفسه برحله فهذا اقل لا يشبهه ان يكون عجباً بالكلام لا يدل عليه ويتحافى عنه ولو سلم البيت من العيب لم يكن فيه شئ غريب ولا معنى بديع أكثر من سفاهته مع قلة معناه وتقارب أمره ومشاكلته طبع المتأخرين من أهل زماننا الى هذا الموضع لم ير له بيت رائع وكلام رائق وأما البيت الثانى فيعبءونه حسناً ويعتدون التشبيه مليحاً واقعا وفيه شئ وذلك انه عرف اللحم ونكر الشحم فلا يعلم انه وصف شحمها واذكر تشبيهه أحدهم ابشئ واقع وعجز عن تشبيهه القسمة الاولى فبرت مرسله وهذا نقص في الصنعة وعجز عن اعطاء الكلام حقه وفيه شئ آخر من جهة المعنى وهو انه وصف طعامه الذى اطعم من اضاف بالجودة وهذا قد يعاب وقد يقال ان العرب تنقص بذلك ولا يرونه عيباً واءا الفرس هم الذين يرونه اذ عيباً شنيعاً واما تشبيهه الشحم بالدمقس فشئ يقع للعامة ويجرى على ألسنتهم فليس بشئ قد سبق اليه وانما زاد المغتل للقافية وهذا مفيد ومع ذلك فلست اعلم العامة تذكرة هذه الزيادة ولم بعد اهل الصنعة ذلك من البديع ورأوه

قسر بنا وفيه شئ آخر وهو ان تبيحه عما اطعم للاحباب مذموم وان سوغ التبيح عما اطعم
 للاضياف الا ان يورد الكلام مورد المجون وعلى طريق أبي نواس في المزاح والمداعبة
 وقوله **ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة** * فقالت لك الويلات انك مرحلى
 تقول وقد مال الغيب بنا معا * عقرت بعيرى يا امرأ القيس بانزل
 قوله دخلت الخدر خدر عنيزة ذكره تكرر لاقامة الوزن لا فائدة فيه وغيره ولا ملاحته
 ولا رونق وقوله في المصراع الاخير من **عذرا البيت فقالت لك الويلات** انك مرحلى كلام
 مؤث من كلام النساء نقله من جهته الى شعره وايس فيه غير هذا وتكرريره بمد ذلك
 تقول وقد مال الغيب يعنى قلب الهودج بمد قوله فقالت لك الويلات انك مرحلى لا فائدة
 فيه غير تقدير الوزن والاختكايه قولها الاول كاف وهو في النظم قبيح لانه ذكر مرة فقالت
 ومرة تقول في معنى واحد وفصل خفيف وفي مصراع اثنتى أيضا ثابت من كلامهن
 وذكر أبو عبيدة انه قال عقرت بعيرى ولا يقل ناقتى لانهم يحملون النساء على ذكور الابل
 لانها قوى وفيه نظر لان الاظهر ان البعير اسم للذكر والاثنى واحتاج الى ذكر البعير
 لاقامة الوزن وقوله

فقلت لها سبرى وأرخى زمامه * ولا تبعدينى من جنائك المعال
 فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع * فألهيتها عن ذى تمام مغيل

البيت الاول قريب النسيج ليس له معنى بديع ولا لفظ شريف كأنه من عبارات الخطبين
 فى الصنعة وقوله فمثلك حبلى قد طرقت عابه عليه أهل العربية ومعناه عندهم حتى يستقيم
 الكلام قرب مثلك حبلى قد طرقت وتقديره انه زير نساء وانه يفسدهن ويألههن عن حملهن
 ورضاعهن لان الحبلى والرضعة أبعد من الغزل وطاب الرجال والبيت اثنتى فى الاعتذار
 والاستهتار والتهيام وغير منتظم مع المعنى الذى قدمه فى البيت الاول لان تقديره لا تبعدينى
 عن نفسك فان أغلب النساء وأخذعن عن رأيهن وأفسدهن بالغازل وكونه مفسدها هن
 لا يوجب له وصلهن وترك ابعادهن اياه بل يوجب هجره والاستخفاف به لسخفه ودخوله كل
 مدخل فاحش وركوبه كل مركب فاسد وفيه من الفحش والتفحش ما يستنكف
 الكريم من مثله ويأنف من ذكره وكقوله

اذما بكي من خلفها انصرف له * بشق ونحتى شقتها لم يحول
 ويوم اعلى ظهر المكثيب تعذرت * على وآلت حلفسة لم تحلل

فالبيت الاول غاية فى الفحش ونهاية فى السخف وأي فائدة لذكره لعشيقته كيف كان يركب
 هذه القبائح ويذهب هذا المذهب ويرد هذه الموارد ان هذا لا يعضه كل من سمع كلامه

ويوجب له المقت وهو لو صدق لكان قبيحا فكيف ويجوز ان يكون كاذبا ثم ليس في البيت لفظ بديع ولا معنى حسن وهذا البيت متصل بالبيت الذي قبله من ذكر الموضع التي لها ولد محمول فأما البيت الثاني وهو قوله ويوما يتعجب منه وانما انشدت وتعمرت عليه وحلفت عليه فيوكالم ردىء النسيج لا عائدة لذكره لانه ان حبيدته تمدت عليه يواضح بسميه وبصفه وأنت تجد في شعر المحدثين من هذا الجنس في التغزل ما يذرب معه اللب وتطرب عليه النفس وهذا مما تستنكره النفس ويشتمز منه انقلب وليس فيه شيء من الاحسان والحسن وقوله

أياطم مهلا بعض هذا الندال * وان كنت قد أزمعت صرعى فاجلى

أغرتك منى ان حبك قاتلى * وانك مهما تأمرى القلب يفعل

فالبيت الاول فيه ركاه جندا وتأييد مورقة ولان فيها تخنيث ولعل قائل يقول ان كلام النساء بما يلائهن من الطبع أرفع أعزل وليس كذلك لانك تجد الشعراء في الشعر المؤنث لم يعدلوا عن رصانة قوْلهم والمصرع الثاني منقطع عن الاول لا يلائمه ولا يوافقه وهذا يبين لانه اذا عترضت معه البيت الذي تقدمه وكيف يشكر عليها ند لها والتغزل بطرب على دلالة الحبيب وتدله والبيت الثاني قد عيب عليه لانه قد أخبر ان من سبيلها ان لا تغتر بما يريها من ان جهاد قتله وانها عاكف قلبه فأنسرتة فوله والمحب اذا أخبر عن مثل هذا صدق وان كان المعنى غير هذا الذي عيب عليه وانما ذهب مذهبا آخر وهو انه أراد ان يظهر التجرد فهذا اخلاف ما يظهر من نفسه فيما تقدم من الابيات من الحب والبكاء على الاحبسة فقد دخل في وجه آخر من المناقضة والاحاطة في الكلام ثم قوله تأمرى القلب يفعل معناه تأمرى والقلب لا يؤمر والاستعارة في ذلك غير واقعة ولا حسنة وقوله

فان كنت قد ساءت منى خليقة * فسلى ثيابى عن ثيابك تنسلى

وما ذرفت عيناك الا لنصرى * بسمهيك فى أعشار قلب مقتلى

البيت الاول قد تيسل في تأويله انه ذكر الثوب وأراد البدن مثل قول الله تعالى وثيابك فطهر وقال أبو عبيد: هذا مثل للحرير ونديل تبين وهو بيت قليل المعنى ركيكه وضعه وكل ما ضاى الى نفسه ووصف به نفسه سقرط وسفوف ومخف يوجب قطعهم لم يحكم على نفسه بذلك ولا كره يورده مويديا ان ليست له خليقة توجب هجرانه والتفصى من وصله وانه مذهب الاخلاق شريف السمائل فذلك يوجب ان لا ينقذ من وصله والاستعارة في المصراع الثاني فيها تواضع وتقارب وان كانت عريضة وأما البيت الثاني فعُدود من محاسن القصيدة وبدائعها ومعناه ما بكيت الا لتجرحى قلبا معسرا اى مكسرا من قولهم

رمة اعشار اذا كانت قطعاً هذا تأويل ذكره الاصمعي رضي الله عنه وهو أشبهه عند أكثرهم وقال غيره وهذا مثل للاعشار التي تقسم الجزر وعليها ويعني بسهميك المعلى وله سبعة انصباء والرقيب وله ثلاثة أنصباء فأراد انك ذهبت بتبليج أجمع ويعني بقوله من قتل مدلول وأنت تعلم انه على ما يعنى به فهو غير موافق للآليات المتقدمة لما فهم من التناقض الذي بينا وشبهه ان يكون من قال بالتأويل الثاني فزع اليه لانه رأى اللفظ مستكراً على المعنى الاول لان القائل اذا قال ضرب فلان بسهمه في الهدف يعنى أصابه كان كلاماً ساقطاً مردولاً وهو يرى ان معنى الكلمة ان عينها كالسهم من الناوذين في اصابة قلبه المجرى فليما بكواؤذ رقبا بالموع كاتناضار بنين في قلبه وليكن من حمل على التأويل الثاني سلم من الخلل الواقع في اللفظ وليكنه اذا حمل على الثاني فسد المعنى واختل لانه ان كان محتاجاً على ما وصف به نفسه من الصباية فقلبه كله لها فكيف يكون بكواؤها هو الذي يخلص قلبه لها واعلم بعد هذا ان البيت غير ملائم للبيت الاول ولا متصل به في المعنى وهو منقطع عنه لانه لم يسبق كلام يقتضى بكاءها ولا سبب يوجب ذلك فتركيبه هذا الكلام على ما قبله فيه اختلال ثم لو سلم له بيت من عشرين بيتاً وكان يديعاً ولا عيب فيه فليس بجيب لانه لا يدعى على مثله ان كلامه كله متناقض ونظمه كله متباين وانما ينبغي ان نبين ان ما سبق من كلامه الى هذا البيت مما لا يمكن ان يقال انه يتقدم فيه أحد من التأخرين فضلاً عن المتقدمين وانما قدم في شيء - عره لايبات قد برع فيها و بان حذفها وانما أنكرنا ان يكون شعره متناصباً في الجودة ومتشابهاً في صحة المعنى واللفظ وقلنا انه يتصرف بين وحشى غريب مستكراً وعريبة كالمهل مستكورة وبين كلام سليم متوسط وبين عامى سوقى في اللفظ والمعنى وبين حكمة حسنة وبين سخف مستنقع وانما هذا قال الله عزاءه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً فأما قوله

وبيضة خدر لا يرام خباؤها * تمتعت من لهو بها غير مجمل

تجاوزت احراسا اليها ومعشرا • على احراسا لو يسرون مقتملى

فقد قالوا عنى بذلك انها كبيضة خدر في صفائها ورقتها وهذه كلمة حسنة وليكن لم يسبق اليها بل هي دائرة في أفواه العرب وتشبيه سائر ويعني بقوله غير مجمل انه ليس ذلك مما يهتق قليلاً وأحياناً بل يتكرر له الاستمتاع بها وقد يجعله غيره على انه رابط الجاش فلا يستعجز اذا دخلها خوف حصانتها ومنعتها وليس في البيت كبير فائدة لانه الذى حكى في سائر أبياته فلا تتضمن مطاولته في المعازلة واشتغاله بها فذكره في هذا البيت مثل ذلك قليل المعنى الا الزيادة التي ذكر من منعها وهو مع ذلك بيت سليم اللفظ في المصراع الاول دون الثاني

والبيت الثاني ضعيف وقوله لو يسرون مقتضى أراد ان يقول لو أسروا فاذا نقله الى هذا
ضعف ووقع في مضمار الضرورة والاختلال على نظمه بين حتى ان المترز يحترز من مثله
وقوله اذا ما التريافي السماء تعرضت * تعرض أثناء الوشاح المفصل
قد انكر عليه قوم قوله اذا ما التريافي السماء تعرضت وقالوا التريالا تعرض حتى قال
بعضهم سمى التريا وانما أراد الجوزاء لانهما تعرض والعرب تفعل ذلك كما قال زهير
كأجر عاد وانما هو أجر نمود وقال بعضهم في تصحيح قوله تعرض أول ما تطلع كان
الوشاح اذا طرح يلقاك بعرضه وهو ناحيته وهذا كقول الشاعر
تعرضت لي بجان خل * تعرض المهرة في الطول

يقول تريك عرضها وهي في الرسن وقال أبو عمر ويعني اذا أخذت التريافي وسط السماء
كياأخذ الوشاح وسط المرأة والاشبه عندنا ان البيت غير معيب من حيث عابوه به وانه
من محاسن هذه القصيدة وله لا أبيات عدة فيه لقابله ماشئت من شعر غيره ولكن لم يأت فيه
بما يفوت الشأو ويستولى على الامد أنت تعلم انه ليس للتقدمين ولا للتأخرين في وصف
شي من النجوم مثل ما في وصف التريا وكل قد أبدع فيه وأحسن فاما ان يكون قد عارضه أو
زاد عليه فن ذلك قول ذى الرمة

وردت اعتسافا والتريا كأنها * على قمة الرأس ابن ماء مخلق

ومن ذلك قول ابن المعتز

وترى التريافي السماء كأنها • بيضات ادحي يلحن بفدق

وكقوله كأن التريافي أو اخر ليها * تفتح نوراً ولجام مفضض

وقوله أيضا فناولنها والتريا كأنها * جنى نرجس حيا المدامى به الساقى

وقول الاشهب بن رميلة

ولاحت لساريتها التريا كأنها * لدى الافق الغربي قرط مسلسل

ولابن المعتز

وقدهوى النجم والجوزاء تتبعه • كذات قرط أرادته وقد سقطا

أخذه من ابن الرومي في قوله

طيب ريقه اذا ذقت فاه * والتريا بجانب الغرب قرط

ولابن المعتز قدسقانى المدام والصب * ح بالليـل مؤتر

والتريا كنور غصن * على الارض قد نثر

وقوله وزوم التريافي السماء مراما • كأنكبا طهر كاديلقى لجاما

الله صلى الله عليه وسلم فسألهم عن حال قس بن ساعدة فقا لوال قال قس
 يا ناعى الموت والاموات فى جدث * عليهم من بقايا بزهم خرق
 دعهم فان لهم يوما يصاح بهم * كما ينسبه من نوماته الصعق
 منهم عراة ومنهم فى نياهم * منها الجديد ومنها الاورق الخلق
 مطر ونبات وآباء وامهات وذاهب وآت وآيات فى اثر آيات واموات بعد اموات
 ضوء وظلام وليال وايام وغنى وفقير وشقى وسعيد ومحسن ومسيئ أين الارباب الفعلة
 ليصلن كل عامل عمله كلابل هو الله واحد ليس بمولود ولا والد اعاد وابدى واليه المآب
 غذا اما بعد يا معشر اباد اين تعود وعاد واين الآباء والاجداد اين الحسن الذى لم يشكر
 اين الظلم الذى لم ينقم كلا ورب الكعبة ليعودن ما بدا ولئن ذهب يوم ليعودن يوم قال
 وهو قس بن ساعدة بن حدائق بن ذهل بن ايا دين نزار اول من آمن بالبعث من اهل الجاهلية
 واول من توكأ على عصا واول من تكلم بما بعد

خطبة لأبى طالب

الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وجعل لنا بلدا حراما وبيتا محجوبا
 وجعلنا الحكماء على الناس وان محمد بن عبد الله بن اخى لا يوازن به فتى من قريش الا ربح
 به بركة وفضلا وعدلا ومجدا ونبلا وان كان فى المال مقلا فان المال عارية مسترجعة
 وظل زائل وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك وما اردتم من الصداق فعلى *
 قد نسخت لك جلامن كلام الصدر الا اول ومحاوراتهم وخطبهم واحيلك فى عالم انسخ على
 التواريخ والكتب المصنفة فى هذا الشأن فتأمل ذلك وسائر ما هو مسطر من الاخبار
 المأثورة عن السلف واهل البيان واللسان والفصاحة والفظن والالفاظ المنثورة
 والمخاطبات الدائرة بينهم والامثال المنقولة عنهم ثم انظر بسكون طائر وخنفس جناح
 وتفرغ اب وجمع عقل فى ذلك فسمع لك الفضل بين كلام الناس وبين كلام رب العالمين
 وتعلم ان نظم القرآن يخالف نظم كلام الآدميين وتعلم الحد الذى يتفاوت بين كلام
 البليغ والبليغ والخطيب والخطيب والشاعر والشاعر وبين نظم القرآن جملة فان خيل
 اليك أو شبه عليك وظننت انه يحتاج ان يوازن بين نظم الشعر والقرآن لان الشعر افصح
 من الخطب وابرع من الرسائل وادق مسلحا من جميع اصناف المحاورات ولذلك قالوا له
 صلى الله عليه وسلم هو شاعر أو ساحر وسؤل اليك الشيطان ان الشعر ابلغ واعجب وارق
 وابرع واحسن الكلام وابدع فهذا فصل فيه نظر بين المتكلمين وكلام بين المتقنين *
 اسمعت افضل من رأيت من اهل العلم بالادب والحدق بهذه الصناعة مع تقدمه فى الكلام

يقول ان الكلام المنشور يتأق في فيه من الفصاحة والبلاغة ما لا يتأق في الشعر لان الشعر
بضيق نطاق الكلام ويمنع القول من اتهاته ويصده عن نصرته على سننه وحضره من يتقدم
في صنعة الكلام فراجع في ذلك وذكر انه لا يمنع ان يكون الشعر أبلغ اذا صادف شروط
الفصاحة وأبدع اذا تضمن أسباب البلاغة وشهد عندى للقول الاخير ان معظم براعة
كلام العرب في الشعر ولا نجد في منشور قولهم ما نجد في منظومه وان كان قد أحدثت
البراعة في الرسائل على حد لم يعهد في سالف أيام العرب ولم ينقل من دواوينهم وأخبارهم
وهو ان ضيق نطاق القول فهو ويجمع جواشيه ويضم أطرافه ونواحيه فهو اذا تهذب في
بابه وفي له جميع أسبابه لم يقاربه من كلام الآدميين كلام ولم يعارضه من خطابه خطاب
وقد حكى عن المتنبي انه كان ينظر في المحصف فدخل اليه بعض أصحابه فأنتكر نظره فيه لما
كان رآه عليه من سوء اعتقاده فقال له هذا المسكى على فصاحته كان مفهما فان صحت هذه
الحكاية عنه في الحاده عرف بها انه كان يعتقد ان الفصاحة في قول الشعر أبلغ واذا كانت
الفصاحة في قول الشعر أولم تكن وينان نظم القرآن يزيد في فصاحته على كل نظم
ويتقدم في بلاغته على كل قول بما يتضح به الامر انضاح الشمس وتبين به بيان الصبح وتفت
على جليلة هذا الشأن فانظر فيما عرض عليك مانعرضه وتصور بفهمك ما نصوره ليقع لك
موقع عظيم شأن القرآن وتأمل ما ترتبه ينكشف لك الحق واذا اردنا تحقيق ما ضمننا لك فن
سبلنا ان نجد الى قصيدة متفق على كبر محلها وصحة نظمها وجوده بلاغتها ومعانيها ارجاعهم
على ابداع صاحبها فهمام كونه من الموصوفين بالتقدم في الصناعة والمعروفين بالحدق في
البراعة فنوقفك على مواضع خالها وعلى تفاوت نظمها وعلى اختلاف قصواتها على كثرة
فضولها وعلى شدة تعسفها وبعض تكلفها وما نجم من كلام رفيع بقرن بينه وبين كلام
وضيع وبين لفظ سوقي بقرن بلفظ ماوكي وغير ذلك من الوجوه التي يجي تفصيلها وتبين
ترتيبها وتزييلها • فأما كلام مسيلة الكذاب وما زعم انه قرآن فهو أخس من ان نشتمل
به وأصحف من ان نتمكر فيه وانما نقلنا منه طرفا ليتعجب القارئ وليتبصر الناظر فانه على
مخافته قد أضل وعلى ركاكته قد أذل وميدان الجهل واسع ومن نظر فيما نقلناه عنه
وفهم وضع جهله كان جديرا ان يحمد الله على ما رزقه من فهم وآناه من علم فما كان يزعم
انه نزل عليه من السماء والليل الاظلم والذنب الادلم والجلدع الازلم ما تمسكت أسيد
من محرم وذلك قد ذكر في خلاف وتبع بين قوم أتوه من أصحابه وقال ايضا والليل الدامس
والذنب اليامس ما تطعت أسيد من رطب ولا يابس وكان يقول والشاء والوانها وأعجبها
السود والبانها والشاة السوداء والبن الابيض انه لعجب محض وقد حرم المذق فالسكم

لا يجتمعون وكان يقول ضعف عدت ضعف عيني نقي ماتنين أعلاك في الماء وأسفلك في الطين
لا الشارب تمنعين ولا الماء تكدرين لنا نصف الأرض ولقرش نصفها وليكن قريشا
قوم يعتدون وكان يقول والمبيدات زرعوا والحاصدات حصدا والذاريات قمار والطاحنات
طينا والخابزات خبزا والشاردات زردا واللاقيات لثما اهالة وسمننا لقد فضأتم على أهل
الوبر وما سببكم أهل المدر ريفكم تامنعوه والمعترف آووه والباغي فاروه وقالت
مجاح بنت الحارث بن عقبان وكانت تنبأ فأجمع مسيلة معها فقالت له ما أوحى اليك فقال
لم تركيت قبل ربك بالحبلى أخرج منها نسمة تسمى من بين صفاق ووحشا وقالت فما بعد
ذلك قال أوحى الي أن الله خلق النساء أفواجا وجعل الرجال لهن أزواجا فنولج فيهن فبعسا
ايلاجا ثم نخرجهن اذا شئنا اخراجا فينتجن لنا منخالا لتاجا فقالت أشهدك نبى ولم تنقل كل
ما ذكر من سخفه كراهية التثقيب وروى انه سأل أبو بكر الصديق رضى الله عنه أفواجا
قدموا عليه من بنى حنيفة عن هذه الالفاظ فيكوا بعض ما نقلناه فقال أبو بكر سبحان الله
ويحكم ان هذا الكلام لم يخرج عن آل فأين كان يذهب بكم ومعنى قوله لم يخرج عن آل
أى عن ربوبية ومن كان له عقل لم يشبهه عليه سخف هذا الكلام فنرجع الآن الى ما ضمنناه
من الكلام على الاشعار المتفق على جودتها وتقدم أصحابها في صناعتهم ليتبين لك تفاوت
أنواع الخطاب وتباعد مواقع البلاغة وتستدل على مواضع البراعة وأنت لا تشك في
جودة شعر امرئ القيس ولا ترتاب في براعته ولا تتوقف في فصاحته وتعلم انه قد أبدع
في طرق الشعر أمور اتبع فيها من ذكرك الديار والوقوف عليها الى ما يتصل بذلك من
البديع الذى أبدعه والتشبيه الذى أحدثه والنمج الذى يوجد في شعره والتصرف
الكثير الذى تصادفه في قوله والوجوه التى ينقسم اليها كالمه من صناعة وطبع وسلاسة
وعلو ومثانة ورقة وأسباب تحمد وأمر تؤثر وعمد وقد ترى الادباء اولاً يوازنون بشعره
فلاناً وقلاناً ويضمون أشعارهم الى شعره حتى ربما أوازوا بين شعر من لقيناه وبين شعره
في أشياء المينة وأمور بدیعة وربما فضلوهم عليه أو سقوا بينهم وبينه أو قربوا موضع
تقدمهم عليه وبروزه بين أيديهم ولما اختاروا قصيدته في السبعيات أضافوا اليها أمثالها
وقرئوا بها على غيرها ثم تراهم يقولون لفلان لامية مثلها ثم ترى أنفس الشعراء تتسوق الى
معارضته وتساويه في طريقته وربما عثرت في وجهه على أشياء كثيرة وتقدمت عليه في
أسباب مجيبة واذ جاء الى تعداد محاسن شعره كان أمر المحصورا وشياً معروفاً أنت تجد
من ذلك البديع أو أحسن منه في شعر غيره وتشاهد مثل ذلك البارع في كلام سواه وتتنظر
الى المحدثين كيف توغلو الى حيازة المحاسن منهم من جمع رصانة الكلام الى سلاسته

ومثاته الى عذوبته والاصابة في معناه الى تحسين بجمته حتى ان منهم من ان قصر عنه في بعض تقدم عليه في بعض لان الجنس الذي يرمون اليه والغرض الذي يتواردون عليه مما لا دعى فيه مجال وللشمرى فيه مثال فكل يضرب فيه بسهم ويفوز فيه بقدر ثم قد تتفاوت السهام تفاوتاً وتبايناً وقد تتقارب تقارباً على حسب مشاركتهم في الصنائع ومساهماتهم في الحرف ونظم القرآن جنس عجز وأساليب مقصص وقبيل عن النظر مقصص فاذا شئت ان تعرف عظم شأنه فتأمل ما نقوله في هذا الفصل لامرئ القيس في اجود أشعاره وماتين لك من عواره على التمهليل وذلك قوله

قما نبتك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول وخومل

فتوضح فالمقرات لم يعف رسمها * لما نستجتها من جنوب وشمال

الذين يتعصبون له ويدعون محاسن الشعر يقولون هذا من البدع لانه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر العهد والمنزل والحبيب وتوجع واسترجع كله في بيت ونحو ذلك وانما ينما هذا التلايق للذهابنا عن مواضع المحاسن ان كانت ولا غفلنا عن مواضع الصنائع ان وجدت تأمل أرشدك الله وانظر هداك الله أنت تعلم انه ليس في البيتين شئ قد سبق في ميدانه شاعرا ولا تقدم به صانعا وفي لفظه ومعناه خلل فأول ذلك انه استوقف من يبكي لذكر الحبيب وذكره لا يقتضى بكاء الخلى وانما يصح طلب الاسعاد في مثل هذا على ان يبكي لمكانه ويرق لصديقه في شدة برحائه فأما ان يبكي على حبيب صديقه وعشيق رفيقه فأمر محال فان كان المطوب وقوفه وبكاؤه أيضا عاشقا صريح الكلام وفسد المعنى من وجه آخر لانه من السخف ان لا يعار على حبيبه وان يدع غيره الى التغازل عليه والتواجد معه فيه ثم في البيتين ما لا يفيد من ذكر هذه المواضع وتسمية هذه الاماكن من الدخول وخومل وتوضيح والمقرات وسقط اللوى وقد كان يكتمه ان يذكر في التعريف بعض هذا وهذا النطويل اذ لم يقدر كان ضربا من الحى ثم ان قوله لم يعف رسمها ذكر الاصمعي من محاسنه انه باق فحنن تحزن على مشاهدته فاعلمنا هذا بان يكون من مساويه أولى لانه ان كان صادق الوعد فلا يزيد عناء الرسوم الاجتة عهد وشدة وجد وانما قرع له الاصمعي الى افادته هذه الفائدة خشية ان يعاب عليه فيقال أى فائدة لان يعرفنا انه لم يعف رسم منازل حبيبه وأى معنى لهذا الحشوفه كما يمكن ان يذكر ولكن لم يخلصه بالتصاره له من الخلل ثم في هذه الكلمة خلل آخر لانه عقب البيت بأن قال فهل عند رسم دارس من معقول فذكر أبو عبدة انه رجع فأكذب نفسه كما قال زهير

قف بالديار التي لم يعفها القدم * نعم وغيرها الارواح والديم

وقال غيره أراد بالبيت الاول انه لم ينطمس أثره كله والثاني انه ذهب بعضه حتى لا يتناقض الكلامان وليس في هذا التصار لان معنى عفا ودرس واحد فاذا قال لم يعف رسمهما ثم قال قد عفا فهو وتناقض للاحتمال واعتداز رأي عبيدة أقرب لو صح ولكن لم يرد هذا القول مورد الاستدراك كما قاله زهير فهو والى الخلل أقرب وقوله لما نسجتها كان ينبغي ان يقول لا تسجها ولكنه تعسف فجعل ما في تأويل التأييد لانها في معنى الريح والأولى ان تذكر دون التأييد وضرورة الشعر قد دلته على هذا التعسف وقوله لم يعف رسمها كان الاولى ان يقول لم يعف رسمه لانه ذكر المنزل فان كان رد ذلك الى هذه البقاع والاما كن التي المنزل واقع بينها فذلك خلل لانه انما يريد صفة المنزل الذي نزله حبيبه بعفائه أو بأنه لم يعف دون ما جاوره وان أراد بالبيت الدار حتى أنت فذلك أيضا خلل ولو سلم من هذا كله وعما سكره ذكره كراهية التطويل لم نشك في ان شعر أهل زماننا لا يقصر عن البيتين بل يزيد عليهما ويفضلهما ثم قال

وقونا بها صحبي على مطهم * يقولون لانهك أمي وتحمل

وان شفاني عبرة مهراقة • فهل عند رسم دارس من معول

وليس في البيتين أيضا معنى بديع ولا لفظ حسن كالأول والبيت الاول منهما متعلق بقوله ففانبك فكأنه قال ففادوقوف صحبي بها على مطيهم أو ففما حال ووقوف صحبي وقوله ففامتأخر في المعنى وان تقدم في اللفظ في ذلك تكلف وخروج من اعتدال الكلام والبيت الثاني مختل من جهة انه قد جعل الدمع في اعتقاده شافيا كافيا فما حاجته بعد ذلك الى طلب حيلة اخرى وتحمل ومعول عند الرسوم ولو أراد ان يحسن الكلام لوجب ان يدخل على ان الدمع لا يشفيه لشدة مابه من الحزن ثم يسائل هل عند الربع من حيلة اخرى وقوله كدأبك من ام اخويرث قبلها * وجارتها ام الرباب بمأسل اذا قامتا تضوق المسك منهما * نسيم الصبا يأتي بريا القرنفل

أنت لا تشك في ان البيت الاول قليل الفائدة ليس له مع ذلك أهمية فقد يكون الكلام مصنوع اللفظ وان كان منزوع المعنى وأما البيت الثاني فوجه التمكن فيه قوله اذا قامتا تضوق المسك منهما ولو أراد ان يجود أفاد انهما طيبا على كل حال فأما في حال القيام فقط فذلك تقصير ثم فيه خلل آخر لانه بعد ان شبه عرفها بالمسك شبه ذلك بنسيم الغرنفل وذكر ذلك بعد ذكر المسك ونقص وقوله نسيم الصبا في تقدير المنقطع عن المصراع الاول لم يصله به وصل مثله وقوله

ففاضت دموع العين منى صباية * على النهر حتى بل دمعي مجلى

ألا رب يوم لك منهن صالح • ولا سيما يوم بدارة جلجل

قوله ففاضت دموع العين ثم استعانته بقوله منى استعانة ضعيفة عند المتأخرين في الصنعة وهو حشو وغير مليح ولا بديع وقوله على النحر حشوا آخر لان قوله بل دمي مجمل بمعنى عنده وبدل عليه وليس بحشو وحسن ثم قوله حتى بل دمي مجمل اعادة ذكره الدمع حشوا آخر وكان يكفيه ان يقول حتى بلت مجمل فاحتاج لاقامة الوزن الى هذا كله ثم تقديره انه قد افرط في افاضة الدمع حتى بل مجمله ففرد منه وتقصير ولو كان ابداع لكان يقول حتى بل دمي مغايبهم وعراضهم وبشبهه ان يكون غرضه اقامة الوزن والقافية اذ الدمع بعد ان يبيل المحل وانما لا يقطر من الواقف والقاعد على الارض أو على الذيل وان بانه فلقلته وان لا يقطر وأنت تجدد في شعر الخيزر زى ما هو أحسن من هذا البيت وأمتن وأجيب منه والبيت الثاني خال من الحماسن والبديع خلو من المعنى وائمس له لفظ يروق ولا معنى يروع من طبائع السوق فلا يروعك هو بله باسم موضع غريب وقال

ويوم عقرت للعدارى مطيتي * فيا بجها من رحلها المتصل

فقل العذارى برعين بلهما * وشعم كهتاب الدمقس المغتل

تقديره اذ كرى يوم عقرت مطيتي أو يرده على قوله يوم بدارة جليل وليس في المصراع الاوّل من هذا البيت الا سفاهته قال بعض الادباء قوله يا عجبا بجهم من سفهه في شبابه من نخره ناقته لهم وانما اراد ان لا يكون الكلام من هذا المصراع منقطعاً عن الاوّل وأراد ان يكون الكلام ملائماً له وهذا الذى ذكره بعيد وهو منقطع عن الاوّل وظاهره انه يتعجب من تحمل العذارى رحله وليس في هذا تعجب كبير ولا في نخر الناقه لهن تعجب وان كان معنى به انهن حملن رحله وان بعضهن حملته فعبّر عن نفسه برحله فهذا اقل لا يشبهه ان يكون عجباً الى كمال الكلام لا يدل عليه ويتجافى عنه ولو سلم البيت من العيب لم يكن فيه شئ غريب ولا معنى بديع أكثر من سفاهته مع قلة معناه وتمازب أمره ومشاكلته طبع المتأخرين من أهل زماننا الى هذا الموضع لم ير له بيت رائع وكلام رائق وأما البيت الثاني فيعدونه حسناً ويعتدون التشبيه مليحاً واقفاً وفيه شئ وذلك انه عرف اللحم ونكر الشعم فلا يعلم انه وصف شخصها وذكّر تشبيهه أحدهم بشئ واقف ويجوز عن تشبيه القسمة الاولى فبرت رسالة وهذا نقص في الصنعة ويجوز عن اعطاء الكلام حقه وفيه شئ آخر من جهة المعنى وهو انه وصف طعامه الذى اطعم من اضاف بالجوودة وهذا قد يعاب وقد يقال ان العرب تنقص بذلك ولا يرونها عيباً وانما الفرس هم الذين يرونه اذ عيباً شنيعاً واما تشبيه الشعم بالدمقس فشئ يقع للعامة ويجرى على ألسنتهم فليس بشئ قد سبق اليه وانما زاد المغتل للقافية وهذا مفيد ومع ذلك فلست اعلم العامة تذكّر هذه الزيادة ولم يعد أهل الصنعة ذلك من البديع ورأوه

قربا وفيه شيء آخر وهو ان نبيجه بما اطعم للاحباب مذموم وان سوغ التبيح بما اطعم
 للاضياف الا ان يورد الكلام مورد المجون وعلى طريق أبي نواس في المزاح والمدامجة
 وقوله ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة * فقالت لك الوبلات انك مرحلى
 نقول وقد مال الغيب بنا معا * عقرت بعيرى يا امر القيس تانزل
 قوله دخلت الخدر خدر عنيزة ذكره تكريرا لاقامة الوزن لا فائدة فيه غير ولا ملاحظة
 ولا رونق وقوله في المصراع الاخير من هذا البيت فقالت لك الوبلات انك مرحلى كلام
 مؤنث من كلام النساء نقله من جهته الى شعره وايس فيه غير هذا وتكريره بمد ذلك
 تقول وقد مال الغيب يعنى قلب الهودج بمد قوله فقالت لك الوبلات انك مرحلى لا فائدة
 فيه غير تقدير الوزن والافحائية قولها الاول كاف وهو في النظم قبيح لانه ذكر مرة فقالت
 ومرة تقول في معنى واحد وفصل خفيف وفي مصراع اثنتى ايضا تايد من كلامهن
 وذكره ثوب عبيدة انه قال عقرت بعيرى ولا يقل نائتى لانهم يحملون النساء على ذكور الابل
 لانها قوى وفيه نظر لان الاظهر ان البعير اسم للذكر والانثى واحتاج الى ذكر البعير
 لاقامة الوزن وقوله

فقلت لها سبرى وأرخى زمامه * ولا تبعدينى من جنالك المعال
 فثلك حبلى قد طرقت ومرضع * فالهيتها عن ذى تمام مغيل

البيت الاول قسرب النسيج ايس له معنى بديع ولا لفظ شريف كأنه من عبارات المخطين
 في الصنعة وقوله فثلك حبلى قد طرقت عابه عليه أهل العربية ومعناه عندهم حتى يستقيم
 الكلام قرب مثلك حبلى قد طرقت رتقديره انه زير نساء وانه يفسدهن وباههن عن حبلهن
 ورضاعهن لان الحبل والرضعة أبعد من الغزل وطاب الرجل والبيت اثنتى في الاعتذار
 والاستهزاء والتهيام وغير منتظم مع المعنى الذى قدمه في البيت الاول لان تقديره لا تبعدينى
 عن نفسك فان أغلب النساء وأخذعهن عن رأيهن وأفسدهن بالغازل وكونه مفسدة لهن
 لا يوجب له وصلهن وتركه ابعادهن اياه بل يوجب هجره والاستخفاف به لسخفه ودخوله كل
 مدخل فاحتر وركوبه كل مركب فاسد وفيه من الفحش والتفحش ما يستنكف
 الكريم من مثله ويأنف من ذكره وكقوله

اذ اصابك من خلفها انصرفت له * بشق وتحتى شتها لم يحول
 ويوم على ظهر المكيب تعذرت * على وآلت حلقسة لم تحلل

فالبيت الاول غاية في الفحش ونهاية في السخف وأى فائدة لذكره اعشيقته كيف كان يركب
 هذه القبائح ويذهب هذا المذهب ويرد هذه الموارد ان هذا ليغضه كل من سمع كلامه

ويوجب له المقف وهو لو صدق لكان قبها فكيف ويجوز ان يكون كاذبا ثم ليس في البيت لفظ بديع ولا معنى حسن وهذا البيت متصل بالبيت الذي قبله من ذكر المرضع التي لها ولد محمول فأما البيت الثاني وهو قوله ويوما يتعجب منه وانما انشأ تدت وتعمرت عليه وحلفت عليه فيو كالم ردىء النسج لا فائدة لذكره لانه ان حبيبه تدمعت عليه يواضح بسميه وبصفه وانما تجد في شعر المحدثين من هذا الجنس في التغزل ما يذرب معه اللب وتطرب عليه النفس وهذا مما استنكره النفس ويشتمز منه انقلب وليس فيه شيء من الاحسان والحسن وقوله

أيا طم مهلا بعض هذا الندال * وان كنت قد أزمعت صرعى فاجلى

أغرك منى ان حبك قاتلى • وانك مهم ما أمرى القلب يفعل

فأبيت الأول فيه ركا كذا وتأتي شورة ولا تكن فيها تخنيت وامل قاتلا يقول ان كلام النساء بما لائهن من الطبع أربع أعزل وليس كذلك لانك تجد الشعراء في الشعر المؤنث لم يعدلوا عن رصانة قولهم والمصرع الثاني منقطع عن الأول لا يلائمه ولا يوافقه وهذا بين لانه اذا عترضت معه البيت الذي تقدمه وكيف يشكر عليها ندلها والتغزل بطرب على دلال الحبيب وتدلله والبيت الثاني قد عيب عليه لانه قد أخبر ان من سبيلها ان لا تغتر بما يريها من ان جهادته عليه وانها تاكل قلبه فأمرته فوله والمحب اذا خبر عن مثل هذا صدق وان كان المعنى غير هذا الذي عيب عليه وانما ذهب مذهبا آخر وهو انه أراد ان يظهر التجرد فهذا اخلاف ما ظهر من نفسه فيما تقدم من الابيات من الحب والبكاء على الاحبة فقد دخل في وجه آخر من المناقشة والاحاطة في الكلام ثم قوله تأمرى القلب يفعل معناه تأمر بنى القلب لا يؤمر والاستعارة في ذلك غير واتعه ولا حسنة وقوله

فان كنت قد ساءت منى خليقة • فسلى ثيابك عن ثيابك تنسلى

وما ذرفت عيناك الا لنصرى * بسهميك في أعشار قلب مقتلى

البيت الأول قد نسي في تأويله انه ذكر الثوب وأراد البدن ممثل قول الله تعالى وثيابك فطهر وقال أبو عبيد هذا مثل الليبر وتدل تبين وهو بيت قليل المعنى ركبته وضيعه وكل ما أضى الى نفسه ووصف به نفسه سقرط وسفوسه ويوجب قطعه فم لم يحكم على نفسه بذلك والى كره يورده مؤيدان ليست له خليقة توجب هجرانه والتمسحى من وجهه وانه مهذب الاخلاق ثم يرد الشمايل فذلك يوجب ان لا يفتن من وعاله والاستعارة في المصرع الثاني فيها تواضع وتقارب وان كانت عريضة وأما البيت الثاني فعدود من خماس القصيدة وبدانها ومعناه ما بكيت الا لبحر حتى قلبا معسرا اى مكسرا من قولهم

رمة اعشار اذا كانت قطعاً هذا تأويل ذكره الاصمعي رضي الله عنه وهو أشبه عند
 أكثرهم وقال غيره وهذا مثل للاعشار التي تقسم الجزور وعليها ويعني بسهميك المعلى وله
 سبعة انصباء والرقيب وله ثلاثة أنصباء فأراد أنك ذهبت بتلبي أجمع ويعني بقوله مقتل
 مدلل وأنت تعلم انه على ما يعنى به فهو غير موافق للبيات المتقدمة لما فهم من التناقض
 الذي بينا ويشبه ان يكون من قال بالتأويل الثاني فزع اليه لانه رأى اللفظ مستكراً على
 المعنى الاول لان القائل اذا قال ضرب فلان بسهمه في الهدف يعنى أصابه كان كلاماً ساكناً
 مرذولاً وهو يرى ان معنى الكلمة ان عينها كلسهم من الناظرين في اصابة قلبه المجرح
 فلما بكأ ذرقنا بالموع كنا تاضار بين في قلبه وليكن من حمل على التأويل الثاني سلم من
 الخلل الواقع في اللفظ وليكنه اذا حمل على الثاني فسد المعنى واختل لانه ان كان محتاجاً على
 ما وصف به نفسه من الصباغة فقلبه كله لها فكيف يكون بكأؤها والذي يخلص قلبه لها
 واعلم بعد هذا ان البيت غير ملائم للبيت الاول ولا متصل به في المعنى وهو منقطع عنه لانه لم
 يسبق كلام يقتضى بكأها ولا سبب يوجب ذلك فتر كيبه هذا الكلام على ما قبله فيه
 احتمال ثم لو سلم له بيت من عشرين بيتاً وكان يديعاً ولا عيب فيه فليس بعجيب لانه لا يدعى
 على مثله ان كلامه كله متناقض ونظمه كله متباين وانما يكفي ان نبين ان ما سبق من كلامه
 الى هذا البيت مما لا يمكن ان يقال انه يتقدم فيه أحد من المتأخرين فضلاً عن المتقدمين وانما
 قدم في سبب غيره لا يبيات قد برع فيها وبان حذفها وانما أنكرنا ان يكون شعره متناسلاً في
 الجودة ومتشابهاً في صفة المعنى واللفظ وقلنا انه يتصرف بين وحشى غريب مستنكر
 وعريضة كالمهل مستنكرة وبين كلام سليم متوسط وبين عاى سوقى في اللفظ والمعنى
 وبين حكمة حسنة وبين مخف مستشع واهم هذا قال الله عز اسمه ولو كان من عند غير الله
 لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً فأما قوله

وبيضة خدر لا يرام خباؤها * تمتعت من لهوبها غير مجمل
 تجاوزت احراسا اليها ومعشرا • على احراسا لويرون مقبلي

فقد قالوا عنى بذلك انها كبيضة خدر في صفاتها ورقتها وهذه كلمة حسنة وليكن لم يسبق
 اليها بل هي دائرة في أفواه العرب ونشبيه سائر ويعنى بقوله غير مجمل انه ليس ذلك حمايتى فوق
 قليلاً وأحياناً بل يتكرر له الاستماع بها وقد يحمله غيره على انه رابط الجاش فلا يستعمل
 اذا دخلها خوف حصانها ومنعتها وليس في البيت كبير فائدة لانه الذى حكى في سائر آياته
 فلا تتضمن مطايرته في المغازلة واستغاله بها فتكريره في هذا البيت مثل ذلك قليل المعنى الا
 الزيادة التي ذكر من منعها وهو مع ذلك بيت سليم اللفظ في المصراع الاول دون الثاني

والبيت الثاني ضعيف وقوله لو يسرون مقتلى أراد ان يقول لو أسروا فاذا نقله الى هذا
ضعف ووقع في مضمار الضرورة والاختلال على نظمه بين حتى ان المترز يحرز من مثله
وقوله اذا ما التريافي السماء تعرضت * تعرض أثناء الوشاح المفصل
قد انكر عليه قوم قوله اذا ما التريافي السماء تعرضت وقالوا التريالا تتعرض حتى قال
بعضهم سمى الترياو انما أراد الجوزاء لانها تعرض والعرب تفعل ذلك كما قال زهير
كأجر عاد وانما هو أجر عمود وقال بعضهم في تصحيح قوله تعرض أول ما مطلع كان
الوشاح اذا طرح يلقاك بعرضه وهو ناحيته وهذا كقول الشاعر
تعرضت لي بجان خل * تعرض المهرة في الطول

يقول تريك عرضها وهي في الرسن وقال أبو عمر ويعني اذا أخذت التريافي وسط السماء
كأيا أخذ الوشاح وسط المرأة والاشبه عندنا ان البيت غير معيب من حيث عاوبه وانه
من محاسن هذه القصيدة ولولا أبيات عدة فيه لقاله ماشدت من شعر غيره ولكن لم يأت فيه
بما يفوت الشأو ويستولى على الامد أنت تعلم انه ليس للتقدمين ولالتأخرين في وصف
شي من النجوم مثل ما في وصف الترياو كل قد أبدع فيه وأحسن فاما ان يكون قد عارضه أو
زاد عليه فن ذلك قول ذى الرمة

وردت اعتسافا والتريا كأنها * على قمة الرأس ابن ماء مخلق

ومن ذلك قول ابن المعتز

وترى التريافي السماء كأنها • بيضات ادحي يلحن بفد فد

وقوله كأن التريافي أو اخر ليلها * تفتح نوراً ولجام مفضض
وقوله أيضا فناولنها والتريا كأنها * جنى نرجس حيا المدامى به الساقى
وقول الاشهب بن رميلة

ولاحت لساريتها التريا كأنها * لدى الافق الغربي قرط مسلسل

ولابن المعتز

وقدهوى النجم والجوزاء تتبعه • كذات قرط أرادته وقد سقطا

أخذه من ابن الرومي في قوله

طيب ريقه اذا ذقت فاه * والتريا بجانب الغرب قرط

ولابن المعتز قد سقاني المدام والصب • ح باللي — ل مؤنزر

والتريا كنور غصن * على الارض قد نثر

وقوله وزوم التريافي السماء امراما • كأنك با طهر كاد يلقى لجاما

ولابن الطرية اذا ما الترياق السماء كأنها * جمان وهي من سلكه فتبددا
ولونسخت لك كل ما قالوا من البديع في وصف التريا طال عليك الكتاب وخرج عن الغرض
وانما يريد ان يبين لك ان الابداع في نحو هذا امر قريب وليس فيه شئ غريب وفي جملة
ما نقلناه ما يزيد على تشبيهه في الحسن أو يساويه أو يقاربه فقد علمت ان ما خلق فيه وقدر
المتعصب له انه بلغ النهاية فيه أمر مشترك وشريعة مورودة وباب واسع وطريق مسالوك
واذا كان هذا بيت القصيدة ودرة القلادة وواسطة العقد وهذا محله فكيف بما تعده ثم
فيه ضرب من التكلف لانه قال اذا ما الترياق السماء تعرضت تعرض انشاء الوشاح فقوله
تعرضت من الكلام الذي يستغنى عنه لانه يشبه انشاء الوشاح سواء كان في وسط السماء أو
عند الطولوع والمغيب فالتهويل بالتعرض والتطويل بهذه الالفاظ لا معنى له وفيه ان التريا
كقطعة من الوشاح المفصل فلامعنى لقوله تعرض انشاء الوشاح وانما أراد ان يقول
تعرض قطعة من انشاء الوشاح فلم يستقم له اللفظ حتى شبه ما هو كالمشئ الواحد بالجمع وقوله
فجئت وقد نضت لنوم ثيابها * لدى الستر الالبسة المتفضل

فقلت بين الله مالك حيلة * وما ان أرى عنك العجاية تجلي
أنظر الى البيت الاول والابيان التي قبله كيف خلط في النظم وفرط في التأليف فذكر
التمتع بها وذكر الوقت والحال والحراس ثم يذكر كيف كان صفتها ما دخل عليها ووصل
اليها من نزعها ثيابها الاثواب واحدا والمتفضل الذي في ثوب واحد وهو الفضل فما كان
من سبيله ان يقدمه انما ذكره مؤخرا وقوله لدى الستر حشو وليس بحسن ولا بديع وليس
في البيت حسن ولا شئ يفضل لاجله وأما البيت الثاني ففيه تعليق واختلال ذكر
الاصمعي ان معنى قوله مالك حيلة أي ليست لك جهة تجيء فيها والناس حوالى والكلام في
المصراع الثاني منقطع عن الاول ونظمه اليه فيه ضرب من التفاوت وقوله

فقلت بها أمشي تجر وراءنا • على اثرنا أذيال مرط مرط مرط

فلما أجزنا ساحة الحي واتحى • بنا بطن خبت ذى حقاى عقنقل

البيت الاول من مساعدتها اياه حتى قامت معه ليخلوا وانما كانت تجر على الاثر أذيال مرط
جرط والمرط ضرب من البرود يقال لوشية الترجيل وفيه تكلف لانه قال وراءنا على
اثرنا ولو قال على اثرنا كان كافيا والذيل انما يجر وراء الماشي فلا فائدة لذلك وراءنا
وتقدير القول فقلت أمشي بها وهذا أيضا ضرب من التكلف وقوله أذيال مرط كان من
سبيله ان يقول ذيل مرط على انه لو سلم من ذلك كان قريبا ليس مما يفوت بمثله غيره ولا
يتقدم به سواء وقول ابن المعتز أحسن منه

فبت أفرس خدى فى الطريقه • ذلا وأسهب أذبالى على الأثر
 وأما البيت الثانى فقوله أجزنا بمعنى قطعنا والخبث بطن من الارض والحقف رمل منعرج
 والعنقل المنعقد من الرمل الداخلى بعضه فى بعض وهذا بيت متقارب مع الايات
 المتقدمة لان فيها ما هو سلس قريب يشبهه كلام المولدين وكلام البنزة وهذا قد اغرب فيه
 وأتى بهذه اللفظة الوحشية المتعقدة وليس فى ذكرها والتفضيل بالحقاها بكلامها فائدة
 والكلام الغريب واللفظة الشديدة المبينة انسج الكلام قد تمعد اذا وقعت موقع الحاجة
 فى وصف ما يلائمها كقوله عز وجل فى وصف يوم القيامة يوماعبوسا قطريرافأ ما اذا وقعت
 فى غير هذا الموقع فهى مكرهة مذمومة بحسب ما تمعد فى موضعها وروى ان جريرا
 أشد بعض خلفاء بنى أمية قصيدته

بان الخليط برامتين فودعوا • أوكلما جدوا لبين تجزع

كيف العزاء ولم أجد مذنبتم • قلبا يقر ولا شرا با ينفع

قال وكان يزحف من حسن هذا الشعر حتى بلغ قوله

وتقول بوزع قد ديدت على العصا * هلا هزيت بغيرنا يا بوزع

فقال أفسدت شعرك بهذا الامم وأما قوله

هصرت بغصنى دوحة قمايلت • على هضم الكشمع ربا المنخل

مهفهفة بيضاء غير مفاضة * ترانها مصقولة كالسججل

فبنى قوله هصرت جذبت وثبت وقوله بغصنى دوحة تعسف ولم يكن من سبيله ان يجعلها
 اثنين والمصراع الثانى أصح وليس فيه شئ الا ما يتكرر على السنة الناس من هاتين
 الصفتين وأنت تجد ذلك فى وصف كل شاعر ولكنه مع تكرره على اللسان صالح وأما معنى
 قوله مهفهفة انها مخففة ليست مثقلة والمفاضة التى اضطرب طولها والبيت مع مخالفته فى
 الطبع الايات المتقدمة ونزوعه فيه الى الالفاظ المستكرهة وما فيه من الخلل من
 تخصيص الترانب بالضوء بعد ذكر جميعها بالبياض فليس بطائل ولكنه قريب متوسط
 وقوله تصد وتبدى عن أسيل وتبقى * بناظرة من وحش وجره مطفل

وجيد كجيد الريم ليس بفاحش * اذا هى نصته ولا يعطل

معنى قوله عن أسيل أى بأسيل وانما يريد خد اليمس بكره وقوله تبقى يقال اتقاه بترسه أى
 جعله بينه وبينه وقوله تصد وتبدى عن أسيل متفاوت لان الكشف عن الوجه مع الوصل
 دون الصد وقوله تبقى بناظرة لفظة مليحة ولكن أضافها الى ما نظم به كلامه وهو مختل وهو
 قوله من وحش وجره وكان يجب أن تكون العبارة بخلاف هذا كان من سبيله أن يضيف

الى عيون الظلمة أو المها دون اطلاق الوحش ففهن ما تستنكر عيونها وقوله مظفل فسرره على انها ليست بصبية وانها قد استصكمت وهذا الاعتذار متعسف وقوله مظفل زيادة الفائدة فيها على هذا التفسير الذي ذكره الاصمعي ولكن قد يحتمل عندى ان يفيد غير هذه الفائدة فيقال انها اذا كانت مظفلا لحظت اطفا لها بعين رقة ففي نظر هذه رقة نظر المودة ويقع الكلام معلقا تعليقا متوسطا وأما البيت الثاني فعنى قوله ليس بفاحش أى ليس بفاحش الطول ومعنى قوله نضته رفعته ومعنى قوله ليس بفاحش فى مدح الاعناق كلام فاحش موضوع منه واذا نظرت فى أشعار العرب رأيت فى وصف الاعناق ما يشبه السحر فكيف وقع على هذه الكلمة ودفع الى هذه اللفظة وهلا قال كقول أبي نواس

مثل الطباء سمت الى رو * ض صوادر عن غدیر

ولست أطول عليك فتستثقل ولا أكثر القول فى ذمه فتستوحش وأكلك الآن الى جملة من القول فان كنت من أهل الصنعة فظنت واكتفيت وعرفت مارمينا اليه واستغيت وان كنت عن الطبقة خارجا وعن الاتقان بهذا الشأن خاليا فلا يكفيك البيان وان استقر بنا جميع شعره وتبعنا عامة الفاظه ودلنا على ما فى كل حرف منه * اعلم أن هذه القصيدة قد تردت بين أبيات سوقية مبتدلة وأبيات متوسطة وأبيات ضعيفة مرذولة وأبيات وحشية غامضة مستكرهة وأبيات معدودة بدبعة وقد دللنا على المبتدل منها ولا يشبه عليك الوحشى المستنكر الذى يروع السمع ويهول القلب ويكد اللسان ويعبس معناه فى وجه كل خاطر ويكفره مطلع على كل متأمل أو ناظر ولا يقع مثله التمدح والتهاصح وهو بجانب لما وضع له أصل الافهام ومخالف لما بنى عليه التفاهم بالكلام فيجب ان يسقط عن الغرض المقصود ويلحق بالغرض والاشارات المستهمة فأما الذى زعموا انه من بديع هذا الشعر فهو قوله وينحى قيت المسك فوق فراشها * نؤم النحى لم تنتطق عن تفضل

والمصراع الاخير عندهم بديع ومعنى ذلك انها مترفة متعجة لهما من يكفها ومعنى قوله لم تنتطق عن تفضل يقول لم تنتطق وهى فضل وعن هى بمعنى بعد قال أبو عبيدة لم تنتطق فتعمل ولكنهما تفضل وبما بعدونه من محاسنها

وليل كموج البحر أرخى سدوله * على أنواع النجوم ليتلى

فقلت له لما تطى بصلبه * وأردف أعجازا وناء بكامل

الأيام الليل الطويل الأناجيل * بصبح وما الاصبح منك بأمثل

وكان بعضهم يعارض هذا بقول النابتة

كلينى لهم يا أمية ناصب * وليل أفاقيه بطنى الكواكب

وصدر أراح الليل عازب همه • تضاعف فيه الحزن من كل جانب
 نقاعس حتى قلت ليس بمنقض * وليس الذي يتلو النجوم بآيب
 وقد جرى ذلك بين يدي بعض الخلفاء قدمت أبيات امرئ القيس واستحسن استعارتها
 وقد جعل الليل صدرا ينقل تخميه ويبطئ تقضيه وجعل له أردافا كثيرة وجعل له صلبا يمتد
 ويتناول ورأوا هذا بخلاف ما يستعيره أبو تمام من الاستعارات الوحشية البعيدة
 المستنكرة ورأوا ان الالفاظ جميلة واعلم ان هذا صالح جميل وليس من الباب الذي يقال
 انه متناه عجيب وفيه المام بالتكلف ودخول في التعمل وقد خرجوا له في البديع من القصيدة
 قوله وقد اغتدى والطير في وكاتها • بمنجرد قيد الاوابد هيكل
 مكرم مفر مقبل مدبر معا • بكلمة وودنجر حطه السيل من عل
 وقوله أيضا له أبطا لظبي وساقا نعامه * وارخاء سرحان وتقريب تنفصل
 فأما قوله قيد الاوابد فهو مليح ومثله في كلام الشعراء وأهل الفصاحة كثير والتعمل بمثله
 ممكن وأهل زماننا الآن يصنفون نحو هذا تصنيفا ويؤلفون المحاسن تأليفا ثم يوشحون به
 كلامهم والذين كانوا من قبل لغزازهم وتمكنهم لم يكونوا يتصنعون لذلك إنما كان يتفق
 لهم اتفاقا وبطرد في كلامهم اطرادا وأما قوله في وصفه ~~مكرر~~ مفر فقد جمع فيه طباقا
 وتشبيها وفي سرعة جري الفرس للشعراء ما هو أحسن من هذا وألطف وكذلك في جمعه بين
 أربعة وجوه من التشبيه في بيت واحد صنعة ولكن قد عورض فيه زوحم والنوصل
 اليه يسير وتطلبه سهل قريب وقد بينا لك ان هذه القصيدة وتظايرها تفاوتت في أبياتها
 تفاوتا يبينافي الجودة والرداءة والسلاسة والانعقاد والسلامة والانحلال والتكمن
 والتسهل والاسترسال والتوحش والاستكراه وله شركاء في نظائرها ومنازعون في محاسن
 ومعارضون في بدائعها ولاسوأ كلام ينحت من الضمير تارة ويدوب تارة ويتلون تلون
 الحرباء ويختلف اختلاف الاهواء ويكثر في تصرفه اضطرابه وتتقاذف به أسبابه وبين
 قول يجري في سبكه على نظام وفي رصفه على مناج وفي وضعه على حد وفي صفائه على باب
 وفي بهجته ورونقه على طريق مختلفة مؤلف ومؤلفة متحد ومتباعدة متقارب
 وشاردة مطيع ومطبعة وهو على متصرفاته واحد لا يستصعب في حال ولا يتعقد في
 شأن وكأردنا ان نتصرف في قصائد مشهورة فنتكلم عليها ونبدل على معانيها ومحاسنها
 ونذكر لك من فضائلها ونقائصها بنسب لك القول في هذا الجنس ونفتح عليك في هذا النهج
 ثم رأينا هذا خارجا عن غرض كتابنا والكلام فيه يتصل بنقد الشعر وعياره ووزنه بميزانه
 ومعياره ولذلك كتب وان لم تكن مستوفاة وتصانيف وان لم تكن مستقصاة وهذا

القدر يكفي في كتابته ولم يجب ان ننسخ لك ما سطره الابداء في خطأ امرئ القيس في العروض
 والنحو والمعاني وما عاوه عليه في أشبعاره ونكاهه وابه على ديوانه لان ذلك أيضا خارج عن
 غرض كتابنا ومجانب لمقصوده وانما اردنا ان نبين الجملة التي بينها لتعرف ان طريقة الشعر
 شريفة مورودة ومنزلة مشهودة يأخذ منها أصحابها على مقادير أسبابهم ويتناول منها
 ذوها على حسب أحوالهم وانت تجد للتقدم معنى قد طمسه المتأخر بما أبرت عليه فيه
 وتجد للتأخر معنى قد أغفله المتقدم وتجد معنى قد توافد عليه وتوافقا اليه فهم ما فيه شريفا
 عنان وكانهم ما فيه رضيع البان والله يوتئ فضله من يشاء فاما نهج القرآن ونظمه وتأليفه
 ورفعه فان العقول تبيه في جهته وتبحر في بحره وتصل دون وصفه ونحن نذكر لك في
 تفصيل هذا ما تستدل به على الغرض وتستولى به على الأمد وتصل به الى المقصد وتتصور
 اعجازه كما تتصور الشمس وتيقن تناهي بلاغته كما تيقن الفجر وأقرب عليك الغامض
 وأسهل لك العسير واعلم ان هذا علم شريف المحل عظيم المكان قليل الطلاب ضعيف
 الاصحاب ليست له عشيرة تحميه ولا أهل عصمة تفتن لما فيه وهو أدق من السحر وأهول
 من الجهر وأعجب من الشعر وكيف لا يكون كذلك وأنت تحسب ان وضع الصبح في موضع
 الفجر يحسن في كل كلام الا ان يكون شعرا أو سمعا ولبس كذلك فان احدى اللفظتين
 قد تنفر في موضع وتزل عن مكان لا تزل عنه اللفظة الاخرى بل تتمكن فيه وتضرب بجرائها
 وتراه في مظانها وتجد ما فيه غير منازعة الى أوطانها وتجد الاخرى لو وضعت موضعها في
 محل نثار ومرمى مراد ونابية عن استقرار ولا أكثرك عليك المثال ولا أضرب لك فيه
 الامثال وأرجع بك الى ما وعدت من الدلالة وضمنت لك من تقريب المقالة فان كنت
 لا تعرف الفصل الذي بينا بين اللفظتين على اختلاف مواقع الكلام ومتصرفات مجازي
 النظام لم تستفد مما نقر به عليك شيئا وكان التقليد أولى بك والاتباع أوجب عليك ولكل شئ
 سبب ولكل علم طريق ولا سبيل الى الوصول الى الشئ من غير طريقه ولا بلوغ غايته من
 غير سبيله خذ الآن هذا ك الله في تفریح الفكر وتخلية البال وانظر فيما نعرض عليك
 ونهديه اليك متوكلا على الله ومعتمدا به ومستعينا به من الشيطان الرجيم حتى تقف على
 اعجاز القرآن العظيم سماه الله عز ذكره حكما وعظيما ومجيدا وقال لا يأتيه الباطل من بين
 يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وقال لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرآه خاشعا
 متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون وقال ولو أن قرآنا
 سيرت به الجبال او قطعت به الارض أو كاهم به الموتى بل لله الامر جميعا وقال قل لئن اجتمعت
 الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا

وأخبرنا أحمد بن محمد بن الحسين القزويني حدثنا أبو عبد الرحمن أحمد بن عثمان حدثنا أبو يوسف الصديقي حدثنا محمد بن سلمة عن أبي سنان عن عمرو بن مرة عن أبي بصير الطائي عن الحارث الأعور عن علي بن رضى الله عنه قال قيل يا رسول الله إن امتك ستفتن من بعدك فسأل أو سئل ما المخرج من ذلك فقال بكتاب الله العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد من ابتغى العلم فى غيره أضله الله ومن ولى هذا من جبار فحكم بغيره قصمه الله وهو الذكرا الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم فيه خبر من قبلكم وتبيان من بعدكم وهو فصل ليس بالهزل وهو الذى سمعته الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشاد فآمنابه لا يخلق على طول الرد ولا تنقض عبده ولا تقضى عجايبه وأخبرني أحمد بن علي بن الحسن أخبرنا أبي أخبرنا بشر بن عبد الوهاب أخبرنا هشام بن عبيد الله حدثنا المسيب بن شريك عن عبيدة عن أسامة بن أبي عطاء قال أرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى علي بن رضى الله عنه فى ليلة فذكر نحو ذلك فى المعنى وفى بعض ألفاظه اختلاف وأخبرنا أحمد بن علي بن الحسن أخبرنا أبي أخبرنا بشر بن عبد الوهاب أخبرنا هشام بن عبيد الله حدثنا المسيب بن شريك عن بشر بن عمر عن القاسم عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم من قرأ ثلث القرآن أعطى ثلث النبوة ومن قرأ نصف القرآن أعطى نصف النبوة ومن قرأ القرآن كله أعطى النبوة كلها غير أنه لا يوحى اليه وذكر الحديث ولو لم يكن من عظم شأنه إلا أنه طبق الارض أنواره وجلل الآفاق ضياؤه ونفذ فى العالم حكمه وقبل فى الدنيا رسمه وطمس ظلام الكفر بعدان كان مضروب الرواق ومدود الاطناب مبسوط الباع مرفوع العماد ليس على الارض من يعرف الله حق معرفته أو يعبده حق عبادته أو يدين بعظمته أو يعلم علو جلالته أو يتفكر فى حكمته فكان كما وصفه الله تعالى جل ذكره من أنه نور فقال وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لنهدي الى صراط مستقيم فانظر ان شئت الى شريف هذا النظم وبديع هذا التأليف وعظيم هذا الرصف كل كلمة من هذه الالبته تامة وكل لفظ بديع واقع وقوله وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا يدل على صدوره من الربوبية ويبين عن وروده عن الالهية وهذه الكلمة بمنفردا وأخواتها كل واحدة منها لوقعت بين كلام كثير تغيز عن جميعه وكان واسطة عقده وفاقحة عقده وعرة شهره وعين دهره وكذلك قوله ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا فجعله روحا لانه يحيى الخلق فله فضل الارواح فى الاجساد وجعله نورا لانه يضيئ ضياء الشمس فى الآفاق ثم أضاف وقوع الهداية به الى مشيئته

ووقف وقوف الاسترشاد به على ارادته وبين انه لم يكن له تدي اليه لولا توفيقه ولم يكن يعلم
 ما في الكتاب ولا الايمان لولا تعليمه وانه لم يكن له تدي فكيف كان يهدي لولاه فقد صار
 يهدي ولم يكن من قبل ذلك له تدي فقال وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي
 له ما في السموات وما في الارض الا الى الله تصير الامور فانظر الى هذه الكلمات الثلاث
 فالكلمتان الاولتان مؤنلتان وقوله الا الى الله تصير الامور كلمة منفصلة مبينة للاولى
 قد صيرهما شريف النظم أشد اثلافا من الكلام المؤلف والطف انتظاما من الحديث
 الملائم وهذا بين فضل الكلام وتظهر فصاحته وبلاغته الامر أظهر والمجد لله والحال آيين
 من ان يحتاج الى كشف تأمل قوله فالق الاصبح وجاعل الليل سكا والشمس والقمر
 حسبا ناذلك تقدير العزيز العليم انظر الى هذه الكلمات الاربعة التي ألف بينها واحتج بها
 على ظهور قدرته ونفاذا امره أليس كل كلمة منها في نفسها غرة وبنفرد هادرة وهو مع ذلك
 يبين انه يصدر عن علو الامر ونفاذ القهر ويعمل في حجة القدرة ويعمل بخلاصة العزة
 ويجمع السلاسة الى الرصانة والسلامة الى المنانة والرونق الصافي والبهاء الضافي
 ولست أقول انه شمل الاطباق الملمح والايجاز اللطيف والتعديل والتشثيل والتقريب
 والتشكيل وان كان قد جمع ذلك وأكثر منه لان العجيب ما بيننا من انفراد كل كلمة بنفسها
 حتى تصلح ان تكون عين رسالة أو خطبة أو وجه قصيدة أو فقرة فاذا ألفت ازدادت حسنا
 وزادت اذا تأملت معرفة وایمانا تأمل قوله وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون
 والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون
 القديم هل تجد كل لفظه وهل تعلم كل كلمة تستقل بالاشتمال على نهاية البديع وتتضمن شرط
 القول البليغ فاذا كانت الآية تنتظم من البديع وتتألف من البلاغات فكيف لانفوت
 حد المعهود ولا تحوز شأ والمألوف وكيف لا تحوز قصب السبق ولا تتعالى عن كلام الخلق
 ثم اقصدا الى سورة نامة فتصرف في معرفة قصصها وراع ما فيها من براهينها وقصصها تأمل
 السورة التي يذكر فيها النمل وانظر في كل كلمة وكلمة وفصل وفصل بدأ بذكر السورة الى ان
 بين ان القرآن من عنده فقال وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم ثم وصل بذلك قصة
 موسى عليه السلام وانه رأى نارا فقال لاهله امكنوا انى آنت ناراسا آتيكم منها بخبر أو
 آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطون وقال في سورة طه في هذه القصة لعل آتيكم منها
 بقبس أو أجد على النار هدى وفي موضع لعل آتيكم منها بخبر أو وجدوة من النار لعلكم
 تصطون قد تصرف في وجوه وأتى بذكر القصة على ضرب ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق
 ذلك ولهذا قال فليأتوا بحديث مثله ليكون أبلى في تجيزهم وأظهر للحجة عليهم وكل كلمة من

هذه الكلمات وان أنبات عن قصة فهمى بليغة بنفسها تامتها في معناها ثم قال فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين فانظر الى ما جرى له الكلام من علو أمر هذا النداء وعظم شأن هذا الثناء وكيف انتظم مع الكلام الأول وكيف اتصل بتلك المقدمة وكيف وصل بها ما بعدها من الاخبار عن الربوبية وما دل به عليهما من قلب العصاحية وجعلها دليلا يده عليه ومجززة تهديه اليه وانظر الى الكلمات المفردة القائمة بانفسها في الحسن وفيما تضمنه من المعاني الثمينة ثم ماشفح به هذه الآية وقرن به هذه الدلالة من اليد البيضاء عن نور البرهان من غير سوء ثم انظر في آية آية وكلمة كلمة هل تجدها كلوصفنا من عجيب النظم وبديع الرصف فكل كلمة لو أفردت كانت في الجمال غاية وفي الدلالة آية فكيف اذا قارنتها اخواتها واصلتها وانها تجزى في الحسن مجراها وتأخذ في معناها ثم من قصة الى قصة ومن باب الى باب من غير خلل يقع في نظم الفصل الى الفصل وحتى يصور لك الفصل وصلا ببدء التاليف وبلغ التنزيل وان اردت أن تبين ما قلناه فضل تبين وتحقيق ما ادعينا زيادة تحقيق فان كنت من أهل الصنعة فاعمد الى قصة من هذه القصص وحديث من هذه الأحاديث فعب عنه بعبارة من جهتك واخبر عنه بألفاظ من عندك حتى ترى فيما جئت به النقص الظاهر وتبين في نظم القرآن الدليل الباهر ولذلك أعاد قصة موسى في سور وعلى طرق شتى وفواصل مختلفة مع اتفاق المعنى فلعلك ترجع الى عقلك وتستمر ما عندك ان غلطت في أمرك أو ذهبت في مذاهب وهمك أو سلطت على نفسك وجه ظنك متى تهيأ بليغ ان يتصرف في قدر آية في أشياء مختلفة فيجعلها مؤلفة من غير ان يبين على كلامه اعباء الخروج والتنقل أو يظهر على خطابه آثار التكلف والتجمل واحسب أنه يسلم من هذا ومحال أن يسلم منه حتى يظفر بعش تلك الكلمات الأفراد والألفاظ الاعلام حتى يجمع بينها فيجاء فيها فقرة من كلامه وبقطعة من قوله ولو اتفق له في أحرف معدودة وأسطر قليلة فتى يتفق له في قدر ما نقول انه من القرآن مجزهاهات هيئات ان الصبح يطمس النجوم وان كانت زاهره والبحر يغمر الانهار وان كانت زاخرة متى تهيأ لادعى أن يقول في وصف كتاب سليمان عليه السلام بعد ذكر العنوان والتسمية هذه الكلمة الشريفة العاليسة الأنعوا على وأتوفى مسلين والخلوص من ذلك الى ما صارت اليه من التدبير واشتغلت به من المشورة ومن تعظيمها أمر المستشار ومن تعظيمهم أمرها وطاعتها بتلك الالفاظ البديعة والكلمات الجميلة البليغة ثم كلامها بعد ذلك لتعلم تمكن قولها يا أيها الملاء أفتوني في أمرى ما كنت قاطعة أمرى حتى تشهدون وذكر قولهم فالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والامر اليك فانظري

ماذا تأمرين لا تجد في صفتهن أنفسهن أبدع مما وصفهم به وقوله الامر اليك تعلم براعته بنفسه
وعجيب معناه وموضع اتفاهه في هذا الكلام وتمكن الفاصلة وملاءمته لما قبله وذلك قوله
فانظري ماذا تأمرين ثم الى هذا الاختصار والى البيان مع اليجاز فان الكلام قد يفسده
الاختصار وبعبه التخفيف منه واليجاز وهذا مما يزيد الاختصار بسطاً وتمكنه ووقوعه
موقعه ويتضمن اليجاز منه تصرفاً يتجاوز محله وموضعه وكم جئت الى كلام مبسوط يضيق
عن الافهام ووقعت على حديث طويل بقصر عما يراد به من التمام ثم لو وقع على الافهام (٣)
فياجب فيه من شروط الاحكام أو بمعنى القصة وما تقتضى من الاعظام ثم لو ظفرت بذلك
كله رأيت ناقصاً في وجه الحكمة أو مدخولاً في باب السياسة أو مصفوفاً في طريق السيادة
أو مشترك العبارات ان كان مستجود المعنى أو مجيد البلاغة مستجلب المعنى أو مستجلب
البلاغة جيد المعنى أو مستنكر اللفظ وحشى العبارة أو مستنهم الجانب مستكره الوضع
وأنت لا تجد في جميع ما تلونا عليك الا ما اذا بسط أفاد واذا اختصر كمل في باه وباد واذا
سرح الحكيم في جوانبه طرف خاطره وبعث العليم في أطرافه عين مباحثه لم يقع الاعلى
محاسن تتوالى وبدائع تترى ثم فكر بعد ذلك في آية أو كلمة بكلمة في قوله ان الملوكة اذا دخلوا
قرية أفسدوها وجعلوا عزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون هذه الكلمات الثلاث كل واحدة
منها كالنجم في علوه ونوره وكالباقوت يتلأأ بين شذوره ثم تأمل تمكن الفاصلة وهى
الكلمة الثالثة وحسن موقعها وعجيب حكمها وبارع معناها وان شرحت لك ما في كل آية
طال عليك الامر ولكنى قد بينت بما فسررت وقررت بما فصلت الوجه الذى سلكت
والنحو الذى قصدت والغرض الذى اليه رميت والسميت الذى اليه دعوت ثم فكر
بعد ذلك في شئ أدلك عليه وهو تعادل هذا النظم في العجاز في مواقع الآيات القصيرة
والطويلة والمتوسطة فأجل الرأى في سورة سورة وآية آية وفاصلة فاصلة وتدبر الخواتم
والنفوآتخ والبوادي والمقاطع ومواضع الفصل والوصل ومواضع التنقل والتحول ثم اقتض
مائنت قاض وان طال عليك تأمل الجميع فاقصر على سورة واحدة أو على بعض سور
مارأيك في قوله ان فرعون علا في الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح
أبناءهم ويستحي نساءهم انه كان من المفسدين هذه تشتمل على ست كلمات سناؤها وضيائها
على ماترى وسلاستها وماؤها على ماتشاهد ورويقها على ماتعابن وفصاحتها على ماتعرف
وهى تشتمل على جملة وتفصيل وتفسير ذكر العلو في الارض باستضعاف الخلق يذبح
الولدان وسبي النساء واذا تحكمت في هذين الامرين فاظنك بما دونهم مالان النفوس لا تطمن
على هذا الظلم والقلوب لا تقر على هذا الجور ثم ذكر الفاصلة التى أوغلت في التأكيد

وكفت في التظيم وردت آخر الكلام على أوله وعظفت بحزبه على صدره ثم ذكر وعده
تخليصهم بقوله وزيدان عن علي الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم
الوارثين وهذا من التأليف بين المؤلف والجمع بين المستأنس كأن قوله وابتغ فيما آتاك
الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في
الأرض إن الله لا يحب المفسدين وهي خمس كلمات متباعدة في المواقع نائية المطارح قد
جعلها النظم البديع أشد تألقاً من الشيء المؤلف في الأصل وأحسن توافيقاً من المتطابق
في أول الوضع ومثل هذه الآية قوله وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان
الله وتعالى عما يشركون ومثلها وكما أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن
من بعدهم الا قليلاً وكنا نحن الوارثين ومن المؤلف قوله ففسدنا به وبيداره الأرض فما
كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين وهذه ثلاث كلمات بكل كلمة منها
أعز من الكبريت الأحمر ومن الباب الآخر قوله تعالى ولا تدع مع الله الهاً آخر لا اله الا
هو وكل شئ هاك الا وجهه الحكيم واليه ترجعون كل سورة من هذه السور تتضمن من
القصص ما لو تكلفت العبارة عنها باضعاف كلماتها لم تستوف ما استوفيه ثم تجد فيما تنظم نقل
النظم ونفور الطبع وشراد الكلام وتهافت القول وتمنع جانبه وقصوره في الايضاح عن
واجبه ثم لا تقدر على أن تنتقل من قصة الى قصة وفصل الى فصل حتى تبين عليك مواضع
الوصل ويستصعب عليك أما كن الفصل ثم لا يمكنك أن تصل بالقصص مواضع زاجرة
وأمثالاً سائرة وحكا جلييلة وأداة على التوحيد بيينة وكلمات في التنزيه والهميد شريفة وإن
أردت أن تحقق ما وصفت لك فتأمل شعر من شئت من الشعراء المقلقين هل تجد كلامه في
المدح والغزل والفخر والهجو يجري مجرى كلامه في ذكر القصص انك لتراه اذا جاء الى
وصف واقعة أو نقل خبر عاى الكلام سوق الخطاب مسترسلاً في أمره متسلاً في كلامه
عادلاً عن المؤلف من طبعه وناكباً عن المعهود من سجيته فان انتقله في قصة كلام جيد كان
قدر نبتين أو ثلاثة وكان ما زاد عليها حشواً وما تجاوزها لغواً ولا أقول انها تخرج من
عادته عفوواً لانه يقصر عن العفو ويقف دون العرف ويتعرض للركاكة فان لم تقع بما قلت
لك من الابيات فتأمل غير ذلك من السور هل تجد الجميع على ما وصفت لك لو لم تكن الاسورة
واحدة لكفت في العجاز فكيف بالقرآن العظيم ولو لم يكن الا حديث من سورة لكفى
وأقنع وشفي ولو عرفت قدر قصة موسى وحدها من سورة الشعراء لما طلبت بينة سواها
بل قصة من قصصه وهي قوله وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى انكم متبعون الى قوله
فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بنى اسرائيل

فأتبعوهم مشرقين حتى قال فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ثم قصة إبراهيم عليه السلام ثم لولم تكن الآيات التي انتهى إليها القول في ذكر القرآن وهي قوله وأنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وهذه كانت مفردة بقواصلها منها ما يتضمن فاتحة وفاصلة ومنها ما هي فاتحة وواسطة وفاصلة ومنها كلمة بقااصلها تأمة دل على أنه نزل على قلبه ليكون نذيرا وبين أنه آية لكونه نبيا ثم وصل بذلك كيفية التذارة فقال وانذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فتأمل آية آية لتعرف الإعجاز وتبين التصرف البديع والتنقل في الفصول إلى آخر السورة ثم راع المقطع الجيب وهو قوله وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون هل يحسن أن تأتي بمثل هذا الوعيد وانظم مثل هذا النظم وان تجد مثل هذه النظائر السابقة وتصادف مثل هذه الكلمات المتقدمة ولولا كراهة الاملال لجئت إلى كل فصل فاستقرت على الترتيب كلماته وبينت لك ما في كل واحدة منها من البراعة ومن عجب البلاغة ولعلك تستدل بما قلنا على ما بعده وتستضيء بنوره وتهتدي بهداه ونحن نذكر آيات أخر لترداد استبصارا وتقدم تيقنا تأمل من الكلام المؤلف قوله حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير أنت قد تدربت الآن بحفظ أسماء الله تعالى وصفاته فانظري وجدتي في كلام البشر وخطبهم مثل هذا النظم في هذا القدر وما يجمع ما يجمع هذه الآية من شريف المعاني وحسن الفاتحة والخاتمة وانل ما بعدها من الآي واعرف وجه الخلوص من شئ إلى شئ من احتجاج إلى وعيد ومن اعدار إلى انذار ومن فنون من الامر شتى مختلفة تأتلف بشريف النظم ومتباعدة تتقارب بعلى الضم ثم جاء إلى قوله كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم لياخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار الآية الأولى أربعة فصول والثانية فصلان ووجه الوقوف على شرف الكلام أن تسأمل موقع قوله وهمت كل أمة برسولهم لياخذوه وهل تقع في الحسن موقع قوله لياخذوه كلمة وهل تقوم مقامه في الجزالة لفظة وهل يسد مسده في الاصلة نكتة لو وضع موضع ذلك ليقنوا أو ليرجوه أو لينفوه أو ليطردوه أو ليلكوه أو لينذروه ونحو هذا ما كان ذلك بعيدا ولا بارعا ولا عجيبا ولا بالغا فانقد موضع هذه الكلمة وتعلم بهما تذهب اليه من نخب الكلام وجميل الالفاظ والاهتداء للعاني فان كنت تقدران شيئا من هذه الكلمات التي عددناها عليك وغيرها لا تقف بك على غرضنا من هذا الكتاب فلا

سبيل لك الى الوقوف على تصاريح الخطاب فافزع الى التقليد واكف نفسك مؤنة التفكير وان فطنت فانظر الى ما قال من رد عجز الخطاب الى صدره بقوله فاخذتهم فكيف كان عقاب ثم ذكر عقبيها العذاب في الآخرة واثلاها تاول العذاب في الدنيا على الاحكام الذي رأيت ثم ذكر المؤمنين بالقرآن بعد ذكر المكذبين بالآيات والرسول فقال الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به الى أن ذكر ثلاث آيات وهذا كلام مفصول تعلم عجيب اتصاله بما سبق ومضى وانتسابه الى ما تقدم وتفضي وعظم موضعه في معناه ورفيع ما يتضمن من تحميدهم وتسيبهم وحكاية كيفية دعاء الملائكة بقوله ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما هل تعرف شرف هذه الكلمة لفظا ومعنى ولطيف هذه الحكاية وتلاؤم هذا الكلام وتشاكل هذا النظام وكيف يهتدى الى وضع هذه المعاني بشرى والى تركيب ما يلائمها من الألفاظ انسى ثم ذكر ثلاث آيات في أمر الكافرين على ما ترى ثم نبه على أمر القرآن وانه من آياته بقوله هو الذي يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر الا من ينيب وانما ذكر هذين الأمرين اللذين يختص بالقدرة عليهما التناسبهما في أنهم ما من تزييله من السماء ولان الرزاق الذي لو لم يرزق لم يكن بقاء النفس تجب طاعته والنظر في آياته ثم قال فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون رفيع الدرجات ذوالعرش يليق الروح من أمره على ما يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يومهم بارزون لا يخفى على الله منهم شئ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار قف على هذه الدلالة وفكر فيها وراجع نفسك في مراعاة معاني هذه الصفات العالية والكلمات السامية والحكم البالغة والمعاني الشريفة تعلم ورودها عن الالهية ودلائلها على الربوبية وتحقق أن الخطب المنقولة عنهم والأخبار المأثورة في كتابهم الفصيحة من الكلام الذي تعلق به الهمم البشرية وما تحوم عليه الأفكار الأدمية وتعرف مباينتها بهذا الضرب من القول أي خاطر يتشوق الى أن يقول يليق الروح من أمره على ما يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يومهم بارزون وأي لفظ يدرك هذا المضمار وأي حكيم يهتدى الى ما لهذا من الغور وأي فصيح يهتدى الى هذا النظم ثم استقرئ الآية الى آخرها واعتبر كلماتها وراع بعدها قوله اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب من يقدر على تأليف هذه الكلمات الثلاث على قرنها وعلى خفتها في النظم وموقعها من القلب ثم تأمل قوله وأنذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاطمين المظالمين من حميم ولا شفيع يطاع بعلم خائفة الأعين وما تخفى الصدور والله يقضى بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشئ ان الله هو السميع البصير كل كلمة من ذلك على ما قد وصفها من أنه اذا رآها الانسان في رسالة كانت عينا أو في خطبة كانت وجهها أو قصيدة كانت غرة غرتها وبيت قصيدتها كالباقوة التي تكون فريضة العقد وعين

القلادة ودرة الشدر اذا وقع بين كلام وشعه واذا ضمن في نظام زينه واذا اعترض في خطاب تميز عنه وبان بحسنه منه ولست أقول هذا لك في آية دون آية وسورة دون سورة وفصل دون فصل وقصة دون قصة ومعنى دون معنى لاني قد شرحت لك ان الكلام في حكاية القصص والاخبار وفي الشرائع والأحكام وفي الديانة والتوحيد وفي الحج والتثبيت هو خلاف الكلام فيما عدا هذه الأمور ألا ترى أن الشاعر المفلح اذا جاء الى الزهد قصر والأديب اذا تكلم في بيان الأحكام وذكر الحلال والحرام لم يكن كلامه على حسب كلامه في غيره ونظم القرآن لا يتفاوت في شئ ولا يتباين في أمر ولا يختلف في حال بل له المثل الأعلى والفضل الأسنى وفيما شرحناه لك كفاية وفيما بيناهه بلاغ وندكر في الأحكاميات وغيرها آيات أخر منها قوله يستلونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونن مما علمكم الله فكلوا مما مسكن عليكم واذا كروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب أنت تجده في هذه الآية من الحكمة والتصرف العجيب والنظم البارع ما يدل لك ان شئت على العجاز مع هذا الاختيار والايجاز فكيف اذا بلغ ذلك آيات وكانت سورة ونحو هذه الآية قوله الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذين يبدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون وكلاية التي بعدها في التوحيد واثبات النبوة وكلايات الثلاث في الموازيت أي بارع بقدر على جمع أحكام الفرائض في قدرها من الكلام ثم كيف يقدر على ما فهم من بدبع النظم وان جئت الى آيات الاحتجاج كقوله تعالى لو كان فهما آلهة الا الله لفسدنا فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يستعمل عما يفعل وهم يسألون وكلايات في التوحيد كقوله هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين وكقوله تبارك الذي نزل القران على عبده ليكون للعالمين نذيراً الذي له ملك السموات والارض ولم يقضولده ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شئ فقدره تقديراً وكقوله تبارك الذي بيد الملك وهو على كل شئ قدير الى آخرها وكقوله والصفات صفا فالزجرات زجرا فالتاليات ذكرا ان الهكم لواحد رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظنا من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملاء الأعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ناقب هذه من الآيات التي قال فيها الله تعالى ذكره الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم

تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضل الله فإله
 من هاد وانظر بعين عقلك وراجع جليسة بصيرتك اذا تفكرت في كلمة كلمة مما نقلناه اليك
 وعرضناه عليك ثم فيما ينتظم من الكلمات ثم الى أن يتكامل فصلا وقصة أو يتم حديثا
 وسورة لابل فكري في جميع القرآن على هذا الترتيب وتدبره على نحو هذا الترتيب فلم ندع
 ما ادعينا له لبعضه ولم نصف ما وصفناه الا في كله وان كانت الدلالة في البعض أبين وأظهر
 والآية أكشف وأبهر واذا تأملت على ما هديناك اليه ووقفناك عليه فانظر هل ترى وقع
 هذا النور في قلبك واشتماله على لبك ومر يانه في حسك ونفوذ في عروقك وامتلأ به
 ايقانا واحاطة واهتداءك به ايماننا وبصيرة أم هل تجد الرعب يأخذ منك مأخذه من وجه
 والهزة تعمل في جوانبك من لون والأريحية تستولى عليك من باب وهل تجد انطرب
 يستفرك للطيغ ما فطنت له والسرور يحركك من عجيب ما رقت عليه وتجد في نفسك من
 المعرفة التي حدثت لك عزه وفي أعطافك ارتياحا وهزة وترى لك في الفضل تقديما وتبريزا
 وفي اليقين سبعا وتحقيقا وترى مطارح الجهال تحت أقدام الغفلة ومهازمهم في ظلال
 القلة والذلة وأقدارهم بالعين التي يجب أن تلحظ بها مراتبهم بحيث يجب أن ترتبها هذا كله في
 تأمل الكلام ونظامه وعجيب معانيه وأحكامه فان جئت الى ما ينسبط في العالم من بر كنه
 وأنواره وتمكن في الافاق من يمنه وأضوائه وثبت في القلوب من ايكاره واعظامه وتقرر في
 النفوس من حتم أمره ونهيه ومضى في الدماء من مفروض حكمه والى أنه جعل عماد
 الصلاة التي هي نالوا الايمان في التأكيده وتانية التوحيد في الوجوب وفرض حفظه ووكل
 الضغار وال كبار يتلاونه وأمر عند افتتاحه بما أمر به لتعظيمه من قوله فاذا قرأت القرآن
 فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم لم يؤمر بالتعوذ لافتح أمر كما أمر به لافتحه فهل يدلك
 هذا على عظيم شأنه وراج ميزانه وعلى مكانه ووجله الأمر أن نقصد الكلام شديد وتمييزه
 صعب وما كتب الى الحسن بن عبد الله العسكري أخبرني أبو بكر بن دريد قال سمعت أبا
 حاتم يقول سمعت الأصمعي يقول فرسان الشعراء أقل من فرسان الحرب وقال سمعت أبا
 عمرو بن العلاء يقول العلماء بالشعر أعز من الكبريت الأحمر واذا كان الكلام المتعارف
 المتداول بين الناس يشق تمييزه ويصعب نقده يذهب عن محاسنه الكثير وينظرون الى
 كثير من قبجه بعين الحسن وكثير من حسنه بعين القبح ثم يختلفون في الأحسن منه
 اختلافا كثيرا وتباين آراؤهم في تفضيل ما تفضل منه فكيف لا يتحيرون فيما لا يحيط به
 علمهم ولا يتأتى في مقدورهم ولا يعمل بخواطيرهم وقد حير القوم الذين لم يكن أحد أفصح
 منهم ولا أتم بلاغة ولا أحسن براعة حتى دهشوا حين ورد عليهم وولت عقولهم ولم يكن

عندهم فيه جواب غير ضرب الأمثال والتعرض عليه والتوهم فيه وتسميته أقساما وجعله
عضين وكيف لا يكون أحسن الكلام وقد قال الله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا
متشابها متاني تشعير منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله
ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ومن يضل الله فإله من هاد استغتم فهم هذه
الآية وكفالك استفد علم هذه الكلمات وقد أغناك فليس يوقف على حسن الكلام بطوله
ولا تعرف براعته بكثره فصوله ان القليل يدل على الكثير والقريب قد يهجم بك على البعيد
ثم انه سبحانه وتعالى لما علم من عظم شأن هذه المعرفة وكبر محلها ودهاها على أقوام ذكر في
آخر هذه الآية ما ذكره وبين ما بين فقال ذلك هدى الله يهدي به من يشاء فلا يعلم ما وصفنا
لك الاجهادية من العزيز الحميد وقال ومن يضل الله فإله من هاد وقال يضل به كثيرا
ويهدى به كثيرا وقد بسطنا لك القول رجاء افهامك وهذا المنهاج الذي رأيت ان سلمكته
يأخذ بيدك ويدلك على رشدك ويغنيك عن ذكر براعته آية آية لك واعلم اننا نقصد فيما
سطرناه من الآيات وسميناه من السور والدلالات ذكر الأحسن والأكشف
والأظهر لانا نعتقد في كل سورة ذكرناها وأضربنا عن ذكرها اعتقادا واحدا في الدلالة
على العجاز والكفاية في التمتع والبرهان ولكن لم يكن بد من ذكر بعض فذكرينا ما تبسر
وقلنا فيما اتجه في الحال وخطر وان كنا نعتقد ان العجاز في بعض القرآن أظهر وفي بعض
ادق وأغصم والكلام في هذا الفصل يجيء بعده هذا فاحفظ عنا في الجملة ما كررنا والسير بعد
ذلك في التفصيل الميك وحصل ما أعطيناك من العلامة ثم النظر عليك قد اعتمدنا على أن
الآيات تنقسم الى قسمين أحدهما ما يتم بنفسه أو بنفسه وفاصلته فينير في الكلام انارة
النجم في الظلام والثاني ما يشتمل على كلمتين أو كلمات اذا تأملت ما وجدت كل كلمة منها في نهاية
البراعة وغاية البلاغة وانما بين ذلك بأن تصور هذه الكلمة مضممة بين أضعاف كلام
كثير أو خطاب طويل فتراها ما يبينها تدل على نفسها وتعلو على ما قد قرن منها العلو جنسها فاذا
ضمت الى أخواتها وجاءت في ذواتها أرتك القلائد منظومة كما كانت تريك عند تأمل
الافراد منها اليواقيت منشورة والجواهر مبنوثة ولولا ما أكرهه من تضمين القرآن في
الشعر لا نشدتك ألفاظا وقعت مضممة لتعلم كيف تلوح عليه وكيف ترى بهجتها في أثناءه
وكيف تتمازج منه حتى أنه لو تأمله من لم يقرأ القرآن لتبين أنه أجنبي من الكلام الذي
تضمنه والباب الذي توسطه وأنكر مكانه واستكبر موضعه ثم تناسها في البلاغة والابداع
وتعائدها في السلاسة والاعراب ثم انفرادها بذلك الاسلوب وتخصصها بذلك الترتيب
ثم سائر ما قد منا ذكره مما نكره اعادته وأنت ترى غيره من الكلام يضطرب في مجاريه

و يختلف تصرفه في معانيه ويتفاوت التفاوت الكثير في طرقه و يضيّق به النطاق في
مذاهبه ويرتبك في أطرافه و جوانبه و يسلمه للتكلف الوحش كثره تصرفه و يحمله على
التصنع الظاهر و وارد تنقله و تخصصه و نظم القرآن في مؤلفه و مختلفه و في فصله و وصله
و افتتاحه و اختتامه و في كل نهج يسلكه و طريق يأخذ فيه و باب يتهم عليه و وجه يؤمّه
على ما وصفه الله تعالى به لا يتفاوت كما قال ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا
كثيرًا و لا يخرج عن تشابهه و مماثلة كما قال قرآنًا عربيًا غير ذي عوج و كما قال كتابًا متشابهًا
و لا يخرج عن أبانته كما قال بلسان عربي مبين و غيره من الكلام كثير التلون دائم التغير
يقف بك على بدیع مستحسن و يعقبه قبيح مستهجن و يطبع عليك بوجه الحسنة ثم يعرض
للحجر بخد القبيحة الشوهاء و يأتيك باللفظة المستنكرة بين الكلمات التي هي كاللائي
الزهر و قد يأتيك باللفظة الحسنة بين الكلمات البهم قد يقع اليك منه الكلام المشج
و النظم المشوش و الحديث المشوه و قد نجد منه ما لا يتناسب و لا يتشابه و لا يتألف و لا يتماثل
و قد قيل في وصف ما جرى هذا المجرى

و شعر كعبر الكباش فرق بينه * لسان دعى في القريرض دخيل

و قال آخر و بعض قريرض القوم أولاد علة * يكسد لسان الناطق المخفض

فان قال قائل فقد نجد في آيات القرآن ما يكون نظمه بخلاف ما وصفت و لا تتميز الكلمات
بوجه البراعة و انما تكون البراعة عندك منه في مقدار يزيد على الكلمات المفردة و حد
يتجاوز حد الالفاظ المستبددة و ان كان الاكثر على ما وصفت به قيل له نحن نعلم أن قوله
حرمت عليكم أمهاتكم و بناتكم و أخواتكم و عماتكم و خالاتكم الى آخر الآيات ليس من
القبيل الذي يمكن اظهار البراعة فيه و ابانة الفصاحة و ذلك يجري عندنا مجرى ما يحتاج
الى ذكره من الأسماء و الألقاب فلا يمكن اظهار البلاغة فيه فطلبها في نحو هذا ضرب
من الجهالة بل الذي يعتبر في نحو ذلك تنزيل الخطاب و ظهور الحكمة في الترتيب و المعنى
و ذلك حاصل في هذه الآيات ان تأملت الأتري انه بدأ بذكر الأم لعظم حرمتها و اذ لانها بنفسها
و مكان بعضيتها فهي أصل لكل من يدلي بنفسه منهن لأنه ليس في ذوات الأنساب أقرب
منها و لما جاء الى ذوات الاسباب ألحق لها حكم الأم من الرضاع لأن اللبم ينشئه اللبن بما
يغذوه فيحصل بذلك أيضا لها حكم البعضية ففسر الحرمة بهذا المعنى و ألحقها بالوالدة
و ذكرا لأخوات من الرضاعة فنبه بها على كل من يدلي بغيرها و جعلها ثلث الأم من
الرضاع و الكلام في اظهار حكم هذه الآيات و فوائد ها بطول و لم نضع كتابنا لهذا و سبيل
هذا ان نذكره في كتاب معاني القرآن ان مهل الله لنا املاءه و جمعه فلم تنفك هذه الآيات من

الحكم التي تخلف حكمة العجاز في النظم والتأليف والفائدة التي تنوب مناب العدول عن البراعة في وجه الترصيف فقد علم السائل أنه لم يأت بشئ ولم يهتد للاغراض في دلالات الكلام وفوائده ومتصرفاته وفنونه ومتوجهاته وقد يتفق في الشعر ذكر الاسامى فيحسن موقعه كقول أبي دؤاد الأسدي

ان يقتلوك فقد نلت عرو وشهم * بعقبه بن الحارث بن شهاب
بأشدهم كلبا على أعدائه * وأعزهم فقدا على الأصحاب

وقد يتفق ذكر الاسامى فيفسد النظم ويقبح الوزن والآيات الاحكاميات التي لا بد فهمان أمر البلاغة يعتبر فهمان الالفاظ ما يعتبر في غيرها وقد يمكن فيها وكل موضع أمكن ذلك فوجد وجد في القرآن في بابه ما ليس عليه مزيد في البلاغة وعجيب النظم ثم في جملة الآيات ما ان لم تراع البديع البليغ في الكلمات الافراد والالفاظ الاحاد فقد تجد ذلك مع تركيب الكلمتين والثلاث ويطر ذلك في الابتداء والخروج والفواصل وما يقع بين الفاتحة والخاتمة من الواسطة أو باجتماع ذلك أو في بعض ذلك ما يتخلف الابداع في افراد الكلمات وان كانت الجملة والمعظم على ما سبق الوصف فيه واذا عرف ما يجري اليه الكلام وينهى اليه الخطاب ويقف عليه الأسلوب ويختص به القبيل بان عند أهل الصنعة تميز بابه وانفراد سبيله ولم يشك البليغ في اتمائه الى الجهة التي ينتمى اليها ولم يرتب الاديب البارع في انتسابه الى ما عرف من نهجه وهذا كما يعرف طريقه مترسلا في رسالته فهو لا يخفى عليه بناء قاعدته وأساسه فكأنه يرى أنه يعد عليه مجارى حركاته وانفاسه وكذلك في الشعر واختلاف ضروبه يعرف المحقق به طبع كل أحد وسبيل كل شاعر وفي نظم القرآن ابواب كثيرة لم نستوفها ونقصها بطول وعجائبها لا تنقضي فيها الكلام (٣) والاشارات واذا بلغ الكلام من هذا القبيل مبلغا رجا زاد الافهام به على الايضاح أو ساوى مواقع التفسير والشرح مع استيفائه شروطه كأن النهاية في معناه وذلك كقوله سبحانه الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لترية من آياتنا انه هو السميع البصير فصول هذه الآية وكلماتها على ما شرحناه من قبل البلاغة والالطف في التقديم وفي تضمن هذا الأمر العظيم والمقام الكريم ويتاوه هذه قوله وآتيناه موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل هذا خروج لو كان في غير هذا الكلام لتصور في صورة المنقطع وقد تمثل في هذا النظم لبراعته وعجيب أمره وموقع ما لا ينفك منه القول وقد يتبرأ الكلام المتصل بعضهم من بعض ويظهر عليه التشبيح والتباني للخلل الواقع في النظم وقد تصور هذا الفصل للطفه وصلوا ولم يبين عليه تميز الخرج ثم انظر كيف أجرى هذا الخطاب الى ذكر

هنا يفاض بالاصل (٣)

فوح وكيف أنى عليه وكيف يليق صفته بالفاصلة ويتم النظم بهامخرو وجها مخرج
 البروز من الكلام الأول الى ذكره و اجرائه الى مدحه بشكره و كونهم من ذريته يوجب
 عليهم أن يسيروا بسيرته وأن يستنوا بسنمه في أن يشكروا كشكره ولا يتخذوا من دون الله
 وكيلوا و يعتقدوا تعظيم تخليصه اياهم من الطوفان لما جعلهم عليه ونجاهم فيه حين
 أهلك من عداهم به وقد عرفهم أنه انما يؤاخذهم بذنوبهم وفسادهم فيما سلط عليهم من
 قبلهم وعاقبهم ثم عاد عليهم بالفضل والاحسان حتى يتذكر او يعرفوا قدر نعمة الله عليهم
 وعلى نوح الذي ولد لهم وهم من ذريته فلما عادوا الى جهالتهم وعردوا في طغيانهم عاد عليهم
 بالتعذيب ثم ذكر الله عز وجل في ثلاث آيات بعد ذلك معنى هذه القصة التي كانت لهم
 بكلمات قليلة في العدد كثيرة الفوائد لا يمكن شرحها الا بالتفصيل الكثير والكلام
 الطويل ثم يخجل تضاعيف الكلام مما ترى من الموعظة على أعجب تدريج وأبدع تاريخ
 بقوله أن أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها ولم ينقطع بذلك الكلام وأنت ترى
 الكلام يتبدد مع اتصاله وينتشر مع انتظامه فكيف بالقاء ما ليس منه في اتانته وطرح
 ما بعده في ادراجه الى أن خرج الى قوله عسى ربكم أن يرجحكم وان عدتم عدنا يعني ان عدتم
 الى الطاعة عدنا الى العفو ثم خرج خروجا آخر الى ذكر القرآن وعلى هذا فاقس ببحثك عن
 شرف الكلام وماله من علو الشان لا يطلب مطلبيا الا انتفع ولا يسلك قلبا الا انشرح ولا
 يذهب مذهبا الا استنار وأضاء ولا يضرب مضر بالابلغ فيه السماء لا تقع منه على فائدة
 فقدرت انها اقصى فوائدها الا قصرت ولا تنظر بحكمة فظننت انها زبدة حكمها الا وقد
 أخلت ان الذي عارض القرآن بشعر امرئ القيس لا أضل من جارا أهله وأحق من
 هنقة لو كان شعره كله كالآيات المختارة التي قدمناها لاجب البراءة من قوله
 وسن كسنيق سناء وسنما * ذعرت بدلاج الهجير نهوض
 قال الاصمعي لا أدري ما السن ولا السنيق ولا التسنم وقال بعضهم السنيق أكمة وقال فيها
 له قصر باعير وساقا نعامة * كفعل الهمجان القيصري العضوض
 وقوله عصافير وذبان ودود * وأجرا من مجلجة الذباب
 وزاد في تقبيح ذلك وقوعه في آيات فيها
 فقد طوفت في الآفاق حتى * رضيت من الغنمية بالاياب
 وكل مكارم الاخلاق سارت * اليه همتي ونما اكتسابي
 وكفوله في قصيدة قالها في نهاية السقوط
 أزمان فوها كلما نهتها * كالمسك فاح وظل في القدام

أفلا ترى أظعانهن بواكرا * كالخل من شوكان حين صرام
 وكان شاربها أصاب لسانه * موم يخاط جسمه بقم
 وكقوله لم يفعلوا فعل آل حنظلة * انهم جبر بثما انتمروا
 لاجبري وفي ولا عدس * ولا است غير يحكها الثفر
 ان نبى عرف ابنموا حسبا * ضيعه الداخون اذ غدروا
 وكقوله أبلغ شهابا وأبلغ * هل أناك الخيزمال
 انتر كما منكم قتلى * بخوى وسبيا كالسعال
 يمشين بين رحالنا * معترفات بجوع وهزال
 ولم يقع مثل ذلك له وحده فقد قال الأعمش
 فأدخلك الله برد الجنان * جدلان في مدخل طيب
 وقال أيضا فرميت غفلة عينه عن شأنه * فأصبت حبة قلبها وطمالها
 وقال في فرسه

ويأمر للجهوم كل عشيمة * بقت وتعليق فقد كاد يسبق
 وقال شأومشل * شاول شاشل شول

وهذه الالفاظ في معنى واحد وقد وقع لزهير نحوه كقوله
 فأقسمت جهدا بالمنازل من منى * وما سمعت فيه المقادم والقمل
 كيف يقال هذا في قصيدة يقول فيها
 وهل ينبت الخطى الا وشيجه * وتغرس الا في منابتها الخمل
 وكقول الطرماح

سوف تدنيك من ليس سبنتاة * امارت بالبول ماء الكراض
 السبنتاة الناقة الصلبة والكراض ماء الفحل اسالت ماء الفحل فلم تعقد عليه
 ولم تحمّل فتضعف والمائر السائل فان قال قائل أجدك تحاملت على امرئ القيس ورايت
 أن شعره يتفاوت بين اللين والشراسة وبين اللطف والشكاسة وبين التوحش والاستمناس
 والتقارب والتباعد ورايت الكلام الاعدل افضل والنظام المستوثق أكمل وأنت تجد
 الجعترى يسبق في هذا الميدان ويفوت الغاية في هذا الشأن وأنت ترى الكتاب يفضلون
 كلامه على كل كلام ويقدمون رأيه في البلاغة على كل رأى وكذلك تجد لأبي نواس من
 بهجة اللفظ ودقيق المعنى ما يتعير فيه أهل اللفظ ويقدمه السطار والطراف على كل
 شاعر ويرون لنظمه روعة لا يرون لنظم غيره وزر جلا يتفق لسواه فكيف يعرف فضل

ماسوا عليه فالجواب ان الكلام في أن الشعر لا يجوز أن يوازن به القرآن قد تقدم واذ
 كما قد بينا ان شعر امرئ القيس وهو كبيرهم الذي يقرون بتقدمه وشيخهم الذي يعترفون
 بفضله وقائدهم الذي يأتمون به واما مهمم الذي يرجعون اليه كيف سيبله وكيف طريق
 منزلته عن منزلة نظم القرآن وانه لا يخلط بشعره عبار ذلك النظم وهو اذا لحظ ذلك كان كما قال

فأصبت من ليلي الغداة كظاير * مع الصبح في هجاء نجم مغرب

وكما قال أيضا راحت مشرقه ورحمت مغربا * فقي التقاء مشرق ومغرب

وإذا كان قد أنبأ في القاعدة ما علمت وفضلنا لك في شعره ما عرفت لم نتحج الى أن تسلكم على
 شعر شاعر وكلام كل بليغ والقليل يدل على الكثير وقد بينا في الجملة مبادئه أسلوب نظم
 القرآن جميع الاساليب ومنزلة علمها في النظم والترتيب وتقدمه عليها في كل حكمة
 وبراعة ثم تسلكمنا على التفضيل على ما شهدت ولا يبقى علمنا بعد ذلك سؤال ثم نقول أنت
 تعلم ان من يقول بتقدم الجعفرى في الصنعة به من الشغل في تفضيله على ابن الرومى ونسوية
 ما بينهما ما لا يطعم معه في تقديمه على امرئ القيس ومن في طبقته وكذلك أبو نواس انما
 يعدل شعره بشعر أشكاه ويقابل كلامه بكلام أضرابه من أهل عصره وانما يقع بينهم التباين
 اليسير والتفاوت القليل فاما ان يظن ظان أو يتوهم متوهم أن جنس الشعر معارض
 لنظم القرآن فكأنما خر من السماء فقطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان صحيح وانما
 هى خواطر يغير بعضها على بعض ويقتدى فيها بعض ببعض والغرض الذي يرمى اليه ويصح
 التوافق عليه في الجملة فهو قبيل متداول وجنس متنازع وشريعة موروثة وطريقة مسلوكة
 الأثرى الى ماروى عن الحسين بن النعمان قال أنشدت أبو نواس قصيدته التي فيها

وشاطرى اللسان مختلق التكا * ربه زان المجون بالنسك

كأنه نصب كأنه فر * يكرع في بعض أنجم الفلك

قال فأنشدنى أبو نواس بعد أيام قصيدته التي يقول فيها

أعاذل اعتبت الامام واعتبا * وأعربت عما في الضمير وأعربا

وقلت لساقها اجزها فلم أكد * لبأى أمير المؤمنين وأشربا

يجوزها عنى عقارا ترى لها * الى الشرف الاعلى شعاعا مطنبا

اذا عيب فيها شارب القوم خلته * يقبل في داج من الليل كو كبا

قال فقلت له يا أبا على هذه مقالته فقال أظن انه يروى لك معنى وأنا حى فتأمل هذا الاخذ
 وهذا الوضع وهذا الاتباع اما الخليع فقد رأى الابداع في المعنى فاما العبارات فانها ليست
 على ما ظننه لان قوله يكرع ليس بصحيح وفيه ثقل بين وتفاوت وفيه سهو حاله لان القمر لا يصح

نصور أن يكرع في نجم وأما قول أبي نواس إذا عاب فيها فكلمة فقد قصد فيها الممتانة وكان
سبيله أن يختار سواها من الفاظ الشرب ولو فعل ذلك كان أملح وقوله شارب القوم فيه
ضرب من التكلف الذي لا بد منه أو من مثله لا قامة الوزن ثم قوله خلته يقبل في داج من
الليل كو كما تشبیه بجالة واحدة من أحواله وهي ان يشرب حيث لا ضوء هناك وانما يتناولوه
ليلا فليس بتشبيهه مستوفى على ما فيه من الوقوع والملاحظة وقد قال ابن الرومي ما هو أوقع
منه وأملح وأبدع

ومفهف تمت محاسنه * حتى تجاوز منية النفس
تصبوا الكؤوس الى مراشفه * وتحن في يده الى الحبس
أبصرته والكأس بين فم * منه وبين أنامل خمس
وكأنها وكان شاربها * ثم يقبل عارض الشمس

ولاشك في أن تشبيه ابن الرومي أحسن وأعجب إلا أنه تمكن من إيراد في بيتين وهما مع
سبقيهما الى المعنى أتياه في بيت واحد وانما أردت بهذا أن أعرفك أن هذه أمور متقاربة
يقع فيها التنافس والتعارض والاطماع متعلقة بها والهمم تسهوا لها وهي الف طباعنا
وطوع مداركنا وجمانس لكلامنا واهجاب قوم بنحو هذا وما يجري مجراه واثار اقوام
لشعر الجعترى على أبي تمام وعبد الصمد وابن الرومي وتقديم قوم كل هؤلاء أو بعضهم عليه
وذهاب قوم عن المعرفة ليس بأمر يضر بنا ولا سبب يعترض على أفهامنا ونحن نعد الى بعض
قصائد الجعترى فنشكك عليها كأنك ما على قصيدة امرئ القيس ليزداد الناظر في كتابنا
بصيرة ويستخلص من سر المعرفة سريرة ويعلم كيف تكون الموازنة وكيف تقع المشابهة
والمقاربة ونجعل تلك القصيدة التي نذكرها أجود شعره سمعت صاحب اسماعيل بن عباد
يقول سمعت أبا الفضل بن العيميد يقول سمعت أبا مسلم الرستمي يقول سمعت الجعترى يذكر
أن أجود شعره قاله (أهلا بذلكم الخيال المقبل) قال وسمعت أبا الفضل بن العيميد يقول
أجود شعره هو قوله في الشيب زجره لو كان ينزجر قال وسئلت عن ذلك فقلت الجعترى
أعرف بشعر نفسه من غيره فحن الآن نقول في هذه القصيدة ما يصلح في مثل هذا قوله
أهلا بذلكم الخيال المقبل * فعل الذي هو أول يفعل
برق سرى في بطن وجرة فاهنت * بسناه أعناق الركاب الضلل
البيت الاول في قوله ذلكم الخيال تغل روح وتطويل وحشو وغيره أصحله وأخف منه
قول الصنوبري

أهلا بذلكم الزور من زور * شمس بدت في فلك الدور

وعذوبة الشعر تذهب بزيادة حرف أو نقصان حرف فيصير إلى الكناية وتعود ملاحظته بذلك ملاحظة وفصاحته عياو براعته تكلفا وسلاسته تعسفا وملاسته تلويا وتعقدا فهذا الفصل وفيه شئ آخر وهو أن هذا الخطاب إنما يستقيم مهمما خوطب به الخيال حال ابتاله فأما أن يحكى الحال التي كانت وسلخت على هذه العبادة ففيه عهدة وفي تركيب الكلام عن هذا المعنى عقدة وهو لبراعته وحذقه في هذه الصنعة يعلق نحو هذا الكلام ولا ينظر في عواقبه لأن ملاحظة قوله تغطي على عيون الناظرين فيه نحو هذه الأمور ثم قوله فعل الذي نهواه ولم يفعل ليست بكلمة رشيقة ولا لفظة نظريفة وان كانت كسائر الكلام فأما بيته الثاني فهو عظيم الموضع في البهجة وبديع المأخذ حسن الرواء أثير المنظر والسمع بلا القلب والفهم ويفرح الخاطر وترى بشاشته في العروق وكان الجعترى يسمى نحو هذه الآيات عروق الذهب وفي نحو ما يدل على براعته في الصناعة وحذقه في البلاغة ومع هذا كله فيه ما نشرحه من الخلل مع الديباجة الحسنة والرواق المليح وذلك أنه جعل الخيال كالبرق لا يترافق في مسراه كما يقال أنه يسرى كنسيم الصبا فيطيب ما مر به كذلك يضيء ما مر حوله وينور ما مر به وهذا غلو في الصنعة إلا أن ذكره بطن وجرة حشو وفي ذكره خلل لأن النور القليل يؤثر في بطون الأرض وما اطمان منها بخلاف ما يؤثر في غيرها فلم يكن من سبيله أن يربط ذلك بطن وجرة وتحديد المسكان على الحشوا جسد من تحديد امرئ القيس من ذكر سقط اللوى بين الدخول نحو مل فتوضح فالقراهم بقنع بذكر حد حتى حده بأربع حدود وكانه يريد بديع المنزل فيحشى أن أخلى بحد أن يكون بيعة فاسدا أو شرطه باطلا فهذه آيات كراخيال بخفاء الأثر ودقة المطلب ولطف المسالك وهذا الذي ذكره في هذا الوجه ويخالف ما يوضع عليه أصل الباب ولا يجوز أن يقدر مقدر أن الجعترى قطع الكلام الأول وابتدأ بذكر برق لع من ناحية حبيبه من جهة بطن وجرة لأن هذا القطع ان كان فعلة كان خارجا عن النظم المحمود ولم يكن مبدعا ثم كان لا تكون فيه فائدة لأن كل برق شعل وتكرر وقع الاهداء به في الظلام وكان لا يكون بما تنظمه مفيدا ولا متقدما وهو على ما كان من مقصده فهو ذولفظ محمود ومعنى مستحب غير مقصود ويعلم بمثله أنه طلب العبارات وتعليق القول بالإشارات وهذا من الشعر الجنس الذي يحول لفظه وتقل فوائده كقول القائل

ولما قضينا من منى كل حاجة • ومسح بالأركان من هو ما سح
 وشدت على حذب المهاري رحالنا • ولا ينظر الغادي الذي هو رانح
 أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا • وسالت بأعناق المطى الأباطح

هذه ألفاظ بعيدة المطالع والمقاطع حلوة المجاني والمواقع قليلة المعاني والفوائد فأما قول
الجنري بعد ذلك

من عادة منعت وتمنع نيلها * فلوأنها بذلت لنا لم تبذل

كالبدر غير مخجل والغصن غير جميل والدعص غير مهيل

فالبيت الاول على ما تكلف فيه من المطابقة وتجشم الصنعة ألفاظه أو فر من معانيه وكمالاته
أكثر من فوائده وقولنا ان القصد وضع العبارات في مثله ولو قال هي ممنوعة مانعة كان
ينوب عن تطويله وتكثيره الكلام وتهويله ثم هو معنى متداول مكرر على كل لسان وأما
البيت الثاني فأنت تعلم أن التشبيه بالبدر والغصن والدعص أمر منقول متداول ولا
فضيلة في التشبيه بنحو ذلك وانما يبقى تشبيهه بثلاثة أشياء بثلاثة أشياء في البيت وهذا أيضا
قريب لأن المعنى مكرر ويبقى له بعد ذلك شئ آخر وهو تعلمه للترصيع في البيت كله إلا أن
هذه الاستثناءات فيها ضرب من التكلف لأن التشبيه بالغصن كاف فإذا زاد فقال
كالغصن غير معوج كان ذلك من باب التكلف خلافاً وكان ذلك زيادة يستغنى عنها وكذلك
قوله كاللغص غير مهيل لأنه اذا انما خرج عن أن يكون مطلق التشبيه مصر وقاله
فلا يكون لتقييده معنى وأما قوله

ما الحسن عندك يا سعاد بحسن * فيما آتاه ولا الجمال بحمـل

عذل المشوق وان من سما الهوى * في حيث تجهله لجاح العذل

قوله في البيت الاول عندك حشو وليس بواقع ولا بديع وفيه كلفة والمعنى الذي قصده
أنت تعلم أنه متكرر على لسان الشعراء وفيه شئ آخر لانه يذكر أن حسنها بحسن في تهيمج
وجده وتهيمج قلبه وضد هذا المعنى هو الذي يعيل اليه أهل الهوى والحب وبيت كشاحم
أسلم من هذا وأبعد من الخلل وهو قوله

بحياة حسنتك أحسنى وبحق من * جعل الجمال عليك وقفاً جعل

وأما البيت الثاني فان قوله في حيث حشوا بقوله في كلامه ووقع ذلك مستنكراً وحشياً نافراً
عن طبعه جافياً في وضعه فهو كرقعة من جلد في ديباح حسن فهو عجمو حسنه ويأتى على
جماله ثم في المعنى شئ لان لجاح العذل لا يدل على هوى مجهول ولو كان مجهولاً لم تهتموا
للعذل عليه فعلم أن المقصد استجلاب العبارات دون المعاني ثم لو سلم من هذا الخلل لم يكن
في البيت معنى بديع ولا شئ يفوت قول الشعراء في العذل فان ذلك جملة المذلول وقولهم
المكرر وأما قوله

ماذا عليك من انتظار متيم * بل ما يضرك وقصة في منزل

ان سئل عى عن الجواب فلم يطق * رجعا فكيف يكون ان لم يسئل
 لست أنكر حسن البيتين وظر فهمما ورشاقتهما ولطفهما وما وهما وما وجهتهما الا أن البيت
 الاول منقطع عن الكلام المتقدم ضربا من الانقطاع لانه لم يجز لمشافهة العاذل ذكر وانما
 جرى ذكر العذال على وجه لا يتصل هذا البيت به ولا يلائم ثم الذى ذكره من الانتظار وان
 كان مليحا فى اللفظ فهو فى المعنى متكلف لان الواقف فى الدار لا ينتظر أمرا وانما يقف
 تحسرا وتذلا وتخييرا والشطر الاخير من البيت واقع والاول مستجلب وفيه تعليق على أمر
 لم يجره ذلك لان وضع البيت يقتضى تقدم عذل على الوقوف ولم يحصل ذلك مذ كورافى
 شعره من قبل وأما البيت الثانى فانه معلق بالاول لا يستقل الابه وهم يعيرون وقوف البيت
 على غيره ويرون أن البيت التام هو الحمود والمصراع التام بنفسه بحيث لا يقف على المصراع
 الا جرا أفضل وأتم وأحسن وقوله فكيف يكون ان لم يسئل مليح جدا ولا تستمر ملاحظة
 ما قبله عليه ولا يطرديه الماء اطرا دفيه وفيه شئ آخر لانه لا يصلح أن يكون السؤال سببا
 لان يعيا عن الجواب وظاهر القول يقتضيه فأما قوله

لاتكلف لى الدموع فان لى * دما ينم عليه ان لم يفضل

ولقد سكنت الى الصدود من النوى * والشرى أريا عند طعم الخنظل

وكذلك طرفه حين أو جس ضربة * فى الرأس هان عليه فصد الاكل

فالبيت الاول مخالف لما عليه مذهبهم فى طلب الاسعاد بالدموع والاسعاف بالبكاء ومخالف
 لاول كلامه لانه يفيد مخاطبة العذل وهذا يفيد مخاطبة الرفيق وقد بينت لك أن القوم
 يسلكون حفظ الألفاظ وتصنيعها دون ضبط المعانى وترتيبها ولذلك قال الله عز وجل
 والشعراء يتبعهم الغاوى أن لم تر أنهم فى كل وأدبهمون وانهم يقولون ما لا يفعلون فأخبر
 انهم يتبعون القول حيث توجه بهم واللفظ كيف أطاعهم والمعانى كيف يتبع ألفاظهم
 وذلك خلاف ما وضع عليه الابانة عن المقاصد بالخطاب ولذلك كان طلب الفصاحة فيه
 أسهل وأمكن فصار بهذا أبلغ خطا بهم ثم لو أن هذا البيت وما يتاوه من البيتين سلم من
 نحو هذا لم يكن فى ذلك شئ يفوت شعر شاعر أو كلام متكلم وأما قوله والشرى أرى فانه
 وان كان قد تصنع له من جهة الطباق ومن جهة التجنيس المقارب فهى كلمة ثقيلة على
 اللسان وهم يذمون نحو هذا كما عابوا على أبى تمام قوله

كريم متى أمدحه أمدحه والورى معى * ومتى مالتسه لتسه وحدى

ذكر لى الصاحب بن عباد أنه جارى أبا الفضل بن العيمى فى محاسن القصيدة حتى انتهى الى
 هذا البيت فذكره أن قوله أمدحه أمدحه معيب لثقله من جهة تدارك حروف الخلق ثم

رأيت بعد ذلك المتقدمين قد تكلموا في هذه النكتة فعملت أن ذلك شئ عند أهل الصنعة معروف ثم ان قوله عند أكل الحنظل ليس بحسن ولا واقع وأما البيت الثالث فهو أجنبي من كلامه غريب في طباعه نافر من جملة شعره وفيه كزازة وبفاجحة وان كان المعنى صالحا فأما قوله

وأعز في الزمن الهميم محجل * قد رحت منه على أغر محجل
كأهيكل المبني الأتنة * في الحسن جاء كصورة في هيكل

فالبيت الاول لم يتفوقه فيه خروج حسن بل هو مقطوع عما سلف من الكلام وعامة خروجه نحو هذا وهو غير بارع في هذا الباب وهذا مذموم معيب منه لأن من كان صناعته الشعر وهوياً كل به وتغافل عما يرفع اليه في كل قصيدة واستهان باحكامه وتجويده مع تتبعه لان يكون عامة ما يصدر به اشعاره من النسيب عشرة أبيات وتتبعه للصنعة الكثيرة وتركيب العبارات وتنقيح الالفاظ وتزويرها كان ذلك أدخل في عيبه وأدل على تقصيره أو قصوره وانه لا يقع له الخروج منه وأما قوله وأعز في الزمن الهميم محجل فان ذكر التجميل في المدح قريب وليس بالجيد وقد يمكن أن يقال انه اذا قرن بالأغر حسن وجرى مجراه وانخرط في سلكه وأهوى الى مضماره ولم ينكر لكانه من حوارته فهذا عذر والعدول عنه أحسن وانما أراد أن يرد الجرح على الصدور يأتى بوجه في التخميس وفيه شئ لان ظاهر كلامه يوهم أنه قد صار منطى الأغر الاول ورثاع عليه ولو سلم من ذلك لم يكن فيه ما يفوت حدود الشعراء وأما قول الناس فأما ذكرا الهيكل في البيت الثاني ورد عجز البيت عليه ونظنه أنه قد ظفر بهذه اللفظة وعمل شيئاً حتى كررها فهى كلمة فيها نقل ونحن نخدمها اذا أرادوا أن يصنعوا نحو هذا قالوا ما هو الا صورته وما هو الا تمثال وما هو الا دمية وما هو الا طيبة ونحو ذلك من الكلمات الخفيفة على القلب واللسان وقد استدرك هو أيضاً على نفسه فذكر أنه كصورة في هيكل ولو اقتصر على ذكر الصورة وحذف الهيكل كان أولى وأجمل ولو أن هذه الكلمة كررها أصحاب العزائم على الشياطين لراعوهم بها وأفرعوهم بذكرها وذلك من كلامهم وشبهه بصناعتهم وأما قوله

وإني الضلوع بشد عقد حزامه * يوم اللقاء على مع نخول
أحواله للرسمين بفارس * وجدوده للتبعين بموكل

نبيل المزمع مما يدح به الخليل فهو لم يأت فيه بيديع وقوله بشد عقد حزامه داخل في التكلف والتعسف لا يقبل من مثله وان قبلناه من غيره لانه يتتبع الالفاظ وينقدها نقداً شديداً وهلا قال بشد حزامه أو يأتى بحشواً خرسوى العقد فقد عقد هذا البيت بذكر العقد ثم قوله

يوم اللقاء حشواً خراً لا يحتاج اليه وأما البيت الثاني فعنناه أصلح من ألفاظه لأنها غير مجانسة لطباعه وفيها غلظ ونقار وأما قوله

يهوى كآهوى العقاب وقد رأت * صيدا وينقض انقضاض الاجدل
متوجس برقيقتين كأنما * تريان من ورق عليه موصل
ما نيعافى قذى ولو أوردته * يوما خلائق جدويه الاحول

البيت الاول صالح وقد قاله الناس ولم يسبق اليه ولم يقل ما لم يقوله بل هو منقول وفي سرعة عدو الفرس تشبهات ليس هذا بأبدعها وقد يقولون يفوت الطرف ويسبق الريح ويجارى الوهم ويكرر النظر ولولا أن الايتان على محاسن ما قالوه في ذلك يخرج الكلام عن غرض الكتاب نغلت لك جملة مما ذهبوا اليه في هذا المعنى فتتبع نعلم أنه لم يأت فيها بما يجمل عن الوصف أو يفوت منتهى الحد على أن الهوى يذكر عند الانقضاض خاصة وليس للفرس هذه الصفة في الحقيقة إلا أن يشبهه جده في العدو بحالة انقضاض البازي والعقاب وليست تلك الحالة بأسرع أحوال طيرانها وأما البيت الثاني فقوله ان الاذنين كأنهما من ورق موصل وانما أراد بذلك حداثتهما وسرعة حركتهما واحساسهما بالصوت كما يحس الورق بخفيف الريح وظاهر التشبيه غير واقع واذا ضمن ما ذكرنا من المعنى كان المعنى حسنا ولكن لا يدل عليه اللفظ وانما يجرى مجرى المضمن وليس هذا البيت برائق اللفظ ولا مشاكل فيه لطيفة غير قوله متوجس برقيقتين فان هذا القدر هو حسن وأما البيت الثالث فقد ذكرنا فيما مضى من الكتاب انه من باب الاستطراد ونقلنا نظائر ذلك من قول أبي تمام وغيره وقطعة أبي تمام في نهاية الحسن في هذا المعنى والذي وقع للجترى في هذا البيت عندى ليس بجيد في لفظ ولا معنى وهو بيت وحش جدا قد صار قذى في عين هذه القصيدة بل وخزافها وبالاعلم اقدم كدر صفاءها وأذهب بها ماءها وطمس بظلمته سناها وما وجه مدح الفرس بأنه لا يعافى قذى من المياه اذا وردها كأنه أراد أن يسلك مسلك بشار في قوله ولا يشرب الماء الا بدم واذا كان لهذا الباب مجانبوا عن هذا السمت بعيدا فهلا ووصفها بعزة الشرب كما وصفها المتنبي في قوله

وصول الى المستصعبات بخيله * فلو كان قرن الشمس ماء لا وردها

وهلا سلك فيه مسلك القائل

وانى للماء الذى شابه القذى * اذا كثرت وراده لعيوف

ثم قوله ولو أوردته يوما حشواً بارد ثم قوله جدويه الاحول وحش جدا فخا أمقت هذا البيت وأبغضه وما أنقله وأمضقه وانما أعطى على عينه عيبه وزينه ايراده طمعه في الاستطراد

وهلاطمع فيه على وجه لا يفيض من بهجة كلامه ولا معنى ألفاظه فقد كان يمكن ذلك ولا يتعذر فأما قوله

ذنب كاسهب الرداء يذب عن * عرف وعرف كالقناع المسجل

تتوهم الجوزاء في ارساعه * والبدر فوق جبينه المتهازل

فالمبت الاول وحش الابتداء منقطع عما سبق من الكلام وقد ذكرنا أنه لا يهتدى لوصل الكلام ونظام بعضه الى بعض وانما يتصنع لغير هذا الوجه وكان يحتاج أن يقول ذنب كالرداء فقد حذف الوصل غير متسق ولا مليح وكان من سبيله أن لا يخفى عليه ولا يذهب عن مثله ثم قوله كاسهب الرداء قبح في تحقيق التشبيه وليس بواقع ولا مستقيم في العبارة الاعلى اضمار أنه ذنب يسهبه كاسهب الرداء وقوله يذب عن عرف ليس بحسن ولا صادق والمجود ما ذكره امرؤ القيس وهو قوله (فوبق الارض لبس بأعزل)

وأما قوله (تتوهم الجوزاء في ارساعه) فهو تشبيه مليح ولكنه لم يسبق اليه ولا انفرد به ولو نسخت لك ما قاله الشعراء في تشبيه الغرة بالهلال والبدر والنجم وغير ذلك من الامور وتشبيه الجول لتجبت من بدائع قد وقعوا عليها وامور مليحة قد ذهبوا اليها وليس ذلك موضع كلامنا فتنبع ذلك في اشعارهم تعلم ما وصفت لك واعلم ان اثر كبقية كلامه في وصف الفرس لانه ذكر عشرين بيتا في ذلك والذي ذكرناه في هذا المعنى يدل على ما بعده ولا يعدر ما تركناه أن يكون متوسطا الى حد لا يفوت طريقة الشعراء ولو تتبعت أقاويل الشعراء في وصف الخيل علمت انه وان جمع فأوعى وحشر فنأدى فهمهم من سبقه في ميسدانه ومنهم من ساواه في شأوه ومنهم من دأناه فالقبيل واحد والنسيج متشا كل ولولا كراهة التطويل لتقلت جملة من اشعارهم في ذلك لتقف على ما قلت فتجاوزنا الى الكلام على ما قاله في المدح في هذه القصيدة قال

لمحمد بن علي الشرف الذي • لا يلحظ الجوزاء الامن عمل

ومحابة لولا تتابع مزنها • فينالراح المزن غير مجمل

والجود يعدله عليه حاتم * سرفا ولا جود لمن يعدل

المبت الاول منقطع عما قبله على ما وصفناه شعره من قطعه المعاني وفصله بينها وقلة تأنيه لتجويد الخروج والوصل وذلك نقصان في الصناعة وتختلف في البراعة وهذا اذا وقع في مواضع قليلة عذرها أو ما اذا كان بناء الغالب من كلامه على هذا فلا عذره وأما المعنى الذي ذكره فليس بشئ ما سبق اليه وهو شئ مشترك فيه وقد قالوا في نحوه ان مجده سماء السماء وقالوا في نحوه الكثير الذي يصعب نقل جميعه وكأقال المنبى

وعزمت بعثتها همة زحل • من تحتها يمكن الترب من زحل
 وحدثني اسمعيل بن عباد أنه رأى أبا الفضل بن العميد قام لرجل ثم قال لمن حضره أندري من
 هذا هو الذي قال في أبيه البحتري (لمحمد بن القاسم الشرف الذي) فذلك يدل على استعظامه
 لايت بعامدح به من البيت والبيت الثاني في تشبيه جوده بالسحاب قريب وهو حديث
 مكرر رايس ينقل مديح شاعر منه وكان من سبيله أن يبدع فيه زيادة ابداع كما قد يقع لهم
 في نحو هذا وليكنه لم يتصنع له وأرسله ارسالا وقد وقع في المصراع الثاني ضرب من الخلل
 وذلك أن المزن انما يبخل اذا منع نيله فذلك موجود في كل نيل ممنوح وكلاهما محمود مع
 الاسعاف فان اسعف أحدهما ومنع الآخر لم يمكن التشبيه وان كان انما شبهه غالب أحدهما
 بالآخر وقد قصورا أحدهما عن صاحبه حتى أنه قد يبخل في وقت والأخر لا يبخل بحال
 فهذا جيد وليس في حل الالفاظ على الاشارة الى هذائتي والبيت الثالث وان كان معناه
 مكررا فلفظه مضطرب بالتأخير والتقديم يشبه الالفاظ المبتدئين وأما قوله
 فضل وافضال وما أخذ المدي * بعد المدي كالفاضل المتفضل
 سارا اذا دلج العفاة الى الندى • لا يصنع المعروف غير مجل
 فالبيت الاول منقطع عما قبله وليس فيه شيء غير التجنيس الذي ليس يبدع لتكرره على
 كل لسان وقوله ما أخذ المدي فانه لفظ مليح وهو كقول القائل
 قد اركب الآلة بعد الآلة • وروي الحالة بعد الحالة
 وكقول امرئ القيس (سمو حباب الماء حلال على حال)
 ولكنها طريقه مذكلة فهو فيها تابع وأما البيت الثاني فقريب في اللفظ والمعنى وقوله
 لا يصنع المعروف ليس بلفظ محمود وأما قوله
 عال على نظر الحسود كأنما * جذبتة أفراد النجوم بأحبل
 أو ما رأيت المجد التي رحله • في آل طلحة ثم يحول
 فالبيت الاول منكر جدا في جرائم النجوم بالارسان موضعه الى العلو والتكاف فيه واقع
 والبيت الثاني اجنبي عنه بعيد منه وافتتاحه ردي وما وجه الاستفهام والتقرير
 والاستبانة والتوقيف والبيتان اجنبيان من كلامه غير بيان في قصيدته ولم يقع له في المدح
 في هذه القصيدة شيء جيد الا ترى أنه قال بعد ذلك
 نفسي فداؤك يا محمد من فتى • يوفى على ظلم الخطوب فتعجلى
 اني أريد أباسعيد والعدى * بيني وبين سحابه المهلل
 كأن هذا ليس من طبعه ولا من سبكه وقوله

مضر الجزيرة كهاور ببعثة ال * خاور توعدني وأزد الموصل
 قد جدت بالطرف الجواد فثنه * لأخيك من أدد أيبك بمنصل
 البيت الاول حسن المعنى وان كانت ألفاظه بذكراً لا يتأتى فيه التسين وهذا
 المعنى قد يمكن إبراده بأحسن من هذا اللفظ وأبدع منه وأرق منه كقوله
 اذا غضبت عليك بنوتيم * رأيت الناس كلهم غضابا
 والبيت الثاني قد تعذر عليه وصله بما سبق من الكلام على وجه يلفظ وهو قبيح اللفظ
 حيث يقول فيه فثنه لأخيك من أدد أيبك ومن أخذه بهذا التعرض لهذا السجع وذكر
 هذا النسب حتى أقصد به شعره وأما قوله بعد ذلك في وصف السيف بقول
 يتناول الروح البعيد منالها • عفو او يفتح في القضاء المفضل
 بابانة في كل حاتف مظلم • وهداية في كل نفس مجهل
 ماض وان لم يمضه يد فارس * بطل ومصقول وان لم يصقل
 ليس لفظ البيت الاول بعضاه للديباجة شعره ولاله هجسة نظمه لظهور أثر التكلف عليه
 وتبين ثقل فيه وأما القضاء المفضل وقمحه فكلام غير محمود ولا مرضى واستعاره لو لم
 يستعرها كانت أولى به وهلا عيب عليه كما عيب على أبي تمام قوله
 فضربت الشتاء في أخدعيه • ضربة غادرته عودا ركوبا
 وقالوا يستحق بهذه الاستعارة أن يصفع في أخدعيه وقد اتبعه المجترى في استعارة الاخضع
 ولوعا باتباعه فقال في الفتح
 واني وقد بلغتني الشرف العلا * واعتقت من ذل المطامع أخدعي
 ان شيطانه حيث زين له هذه الكلمة تادعه حين حسن عنده هذه اللفظة لطيفت ما ردوردي
 معاند أراد أن يطلق أعنة الذم فيه ويسرح جيوش العتب اليه ولم يقنع بقفل القضاء
 حتى جعل للحنف ظلمة تجلي بالسيف وجعل السيف هاديا في النفس المجمل الذي لا يهتدى
 اليه وليس في هذا مع تحسين اللفظ وتبنيقه شئ لان السلاح وان كان معيبا فانه يهتدى الى
 النفس وكان يجب أن يبدع في هذا ابداع المتنبي في قوله
 كأن الهام في الهجاء عيون * وقد طبعت سيوفك من رقاد
 وقد صغت الاسنة من هدموم * فما يحظرن الا في فؤاد
 فلا هتداء على هذا الوجه في التشبيه بديع حسن وفي البيت الاول شئ آخر وذلك أن
 قوله ويفتح في القضاء في هذا الموضع حشوردي يلحق بصاحبسه اللكنة ويلزمه الهجسة
 وأما البيت الثالث فانه أصلح هذه الابيات وان كان ذكر الفارس حشوا وتكلفا ولغو الان

هذا الابتغير بالفارس والراجل على أنه ليس فيه بديع وأما قوله
 يغشى الوغى والترس ليس بجنة * من حده والدرع ليس بعقل
 مصغ الى حكم الردا فاذا مضى * لم يلتفت واذا قضى لم يعدل
 متوقفا يبرى بأول ضربة * ما أدركت ولو أنها في يذبل
 البيتان الاولان من الجنس الذي يكثر كلامه عليه وهى طريقه الذى يجتنبها وذلك من
 السبك الكلابى والكلام المعتدل الا أنه لم يبدع فيها بشئ وقد زيد عليه فيها ومن قصد الى
 أن يكمل عشرة أبيات فى وصف السيف فليس من حكمه أن يأتي بأشياء منقولة وأمر
 مذكورة وسبيله أن يغرب ويبدع كما أبدع المتنبي فى قوله
 سله الرخص بعدوهن بنجد * فتصدى للغيث أهل العجاز
 هذا فى باب صقاله وأضوائه وكثرة ما نه وكقوله

ريان لو قذف الذى أسقيته * لجرى من المهجات بحر مرزبد
 وقوله مصغ الى حكم الردى ان تأملته مقلوب كان ينبغي أن يقول يصغى الردى الى حكمه
 كما قال الآخر (فالسيف يأمر والاقدار تنتظر)
 وقوله واذا قضى لم يعدل متكرر على أسنتهم فى الشعر خاصة فى نفس هذا المعنى والبيت
 الثالث سليم وهو كالاو لير فى خلوه عن البديع فأما قوله
 فاذا أصاب فكل شئ مقتل * واذا أصيب فإله من مقتل
 وكأعماسود النمال وجرها * دبت بأيد فى قراءه وأرجل
 البيت الاول يقصده بصنيعه اللفظ وهو فى المعنى متفاوت لان المضرب قد لا يكون مقتلا
 وقد يطلق الشعراء ذلك ويرون أن هذا أبدع من قول المتنبي وأنه بضده
 يقتل السيف فى جشم القميل به * وللسيوف كاللناس آجال
 وهذه طريقه لهم يمدحون بها فى قصف الرمح طعنا وتقطيع السيف ضربا وفى قوله واذا
 أصيب فإله من مقتل تعسف لانه يريد بذلك أنه لا يتكسر فى التعبير عما عبر به عن المعنى الذى
 ذكرناه يتضمن التكلف وضربا من المحال وليس بالنادر والذى عليه الجملة ما حكيناها
 عن غيره ونحوه قال بعض أهل الزمان

يقصف فى الفارس السهمى وصد * ر الحسام فريقا فريقا
 والبيت الثانى أيضا هو معنى مكرر على أسنة الشعراء وأما صنيعه بسود النمال وجرها
 فليس بشئ ولعله أراد بالجر الذر والتفصيل باردا والاعراب به منكر وهو كالحكى عن
 بعضهم أنه قال كان كذا حين كانت التريا بجذء رأبى على سواء أو مخرفا قدر شبر أو نصف

شبر أو أصبع أو ما يقارب ذلك فقليل له هذا من الورع الذي يبغضه الله ويمقته الناس ورب
زيادة كانت نقصاً أو وصفه النمل بالسواد والحرة في هذا من ذلك الجنس وعليه خرج بقية

البيت في قوله (دبت بأيدى قراه وأرجل)

وكان يكفي ذكر الأرجل عن ذكر الأيدى ووصف الفرند بمذب النمل شئ لا يشذ عن
أحد منهم وأما قوله

وكان شاهراً إذا استضوى به الز *

حلت جانله القديمة بقلة • من عهد عاد غضة لم تدبل

البيت الاول منها فيه ضرب من التكلف وهو منقول من أشعارهم وألفاظهم وأما يقول
قريش على الرجال بكوكب فجعل ذلك الكوكب السماء واحتاج الى أن يجعله أعزل
للقافية ولو لم يحتاج الى ذلك كان خيراً له لان هذه الصفة في هذا الموضع تفضيه من الموضع
وموضع التكلف الذي ادعيناه الحشو الذي ذكره من قوله اذا استضوى به الزحفان
وكان يكفي أن يقول كان صاحبه يعصى بالسماء وهذا وان كان قد جعل فيه للفظ فهو
لغو على ما بينا وأما البيت الثاني ففيه لغو من جهة قوله جانله قديمة ولا فضيلة له في ذلك ثم
تشبيهه السيف بالبقلة من تشبهات العامة والكلام الرذل النذل لأن العامة قد يتفق منها
تشبيهه واقع حسن ثم انظر الى هذا المقطع الذي هو بالعي أشبهه منسه بالفصاحة والى الكنة
أقرب منه الى البراعة وقد بينا أن مراعاة الفوايح والخواتم والمطالع والمقاطع والفصل
والوصل بعد صحة الكلام ووجود الفصاحة فيه مما لا بد منه وان الاخلال بذلك يخل بالنظم
ويذهب رونقه ويحيل بهجته ويأخذ ماءه ويهائه وقد أطلعت عليك فيما نقلت وتكلفت
ما سطررت لان هذا القبيل قبيل موضوع متعمل مصنوع وأصل الباب في الشعر على أن
ينظر الى جملة القصة ثم تجعل الالفاظ ولا ينظر بعد ذلك الى مواقعها ولا يتأمل مطارحها
وقد صدق تارة الى تحقيق الاغراض وتصوير المعاني التي في النفوس ولكنه يلحق بأصل
بليه ويميل بك الى موضعه وبحسب الاهتمام بالصنعة يقع فيها التفاضل وان أردت أن
تعرف أوصاف الفرس فقد ذكرت لك أن الشعراء قد نصر فوافي ذلك بما يقع اليك ان كنت
من أهل الصنعة مما يطول على نقله وكذلك في السيف وذكر لي بعض أهل الادب أن
أحسن قطعة في السيف قول أبي الهول الحميري

حاز صمصامة الزبيدي من • بين جميع الانام موسى الامين

سيف عمرو وكان فيما سمعنا * خير ما طبقت عليه الجفون

أخضر اللون بين برويه حد • من ذعاف تمس فيه المنون

أوقدت فوقه الصواعق نارا • ثم شابت له الذئاف القيون
 فاذا ما شهرته بهر الشم * س ضياء فلم تكدر تستبين
 يستطير الابصار كالقوس المشـعل لانستقيم فيه العيون
 وكان الفرند والرونق الجنا • رى فى صفحته ماء معـين
 نعم مخراق ذى الحفيظة فى الهيم * جاء يعصى به ونعم القرين
 ما يسالى اذا انتاه لضرب • أشمال سطت به أم يمين
 وانما يوازن شعر البحرى بشعر شاعر من طبقته ومن أهل عصره ومن هو فى مضماره أوفى
 منزلته ومعرفته أجناس الكلام والوقوف على أسرارها والوقوف على مقدارها شئ وان كان
 عزيزا وأمر وان كان بعيدا فهو سهل على أهله مستجيب لأصحابه مطيع لآر بابه يتقدمون
 الحروف ويعرفون الصروف وانما يتقى الشبهة فى ترتيب الحال بين البحرى وأبى تمام
 وابن الرومى وغيره ونحن وان كنا فضل البحرى بديباجة شعره على ابن الرومى وغيره
 من أهل زمانه وتقدمه بحسن عبارته وسلاسة كلامه وعذوبة ألفاظه وقلة تعقده قوله
 والشعر قبيل ملتصق مستدرك وأمر ممكن منطبع وتظم القرآن عال عن أن يعلق به الوهم
 أو يسمو إليه الفكر أو يطعم فيه طامع أو يطلبه طالب لا يأتبه الباطل من بين يديه ولا من
 خلفه تنزيل من حكيم حميد و كنت قد ذكر لك قبل هذا أنك ان كنت بصنعة علم اللسان
 متدبرا وفيه متوجها متقدما أممكنك الوقوف على ما ذكرنا والنفوذ فيما وصفنا والافاجلس
 فى مجلس المتفلسدين وارض بمواقف المتخيرين ونصحت لك حيث قلت انظر هل تعرف
 عروق الذهب ومحاسن الجوهر وبدائع الياقوت ودقائق السكر من غير معرفة بأسباب
 هذه الأمور ومقدماتها وهل يقطع سميت البلاذ من غير اهداء فيها ولكل شئ طريق
 يتوصل اليه به وباب يؤخذ نحوه قيمه ووجه يؤتى منه ومعرفة الكلام أشد من المعرفة
 بجميع ما وصفت لك وأنغض وأدق وأطف وتصور ما فى النفس وتشكيك ما فى القلب
 حتى تعلمه وكأنك مشاهده وان كان قد يقع بالإشارة ويحصل بالدلالة والامارة كما يحصل
 بالنطق الصريح والقول الفصيح فالإشارات أيضا مراتب ولللسان منازل رب وصف بصور
 لك الموصوف كما هو على جهته لا خلف فيه ورب وصف بزبوع عليه ويتعداه ورب وصف
 يقصر عنه ثم اذا صدق الوصف انقسم الى صحة واتقان وحسن واحسان والى اجمال وشرح
 والى استيفاء وتغريب والى غير ذلك من الوجوه وكل مذهب وطريق وله باب وسبيل
 فوصف الجملة الواقعة كقوله تعالى لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملت منهم رعبا
 والتفسير كقوله ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم تغادر منهم أحدا

الى آخر الآيات في هذا المعنى وكهو قوله يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم يوم تزونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد بهذا مما يصور الشئ على جهته ويمثل أهوال ذلك اليوم وما يصور لك الكلام الواقع في الصفة كقوله حكاية عن السهرة لما توعدهم فرعون بما توعدهم به حين آمنوا قالوا انا الى ربنا لمنقلبون انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا أول المؤمنين وقال في موضع آخر انا الى ربنا منقلبون وما تنقسم منا الا ان آمننا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا فقرأ علينا صبراً وتوقفاً مسلمين وهذا ينبغي عن كلام الحزبن لما ناله الجازع لما مسه ومن باب التسخير والتسكين قوله تعالى انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون وقوله قلنا لهم كونوا قردة خاسئين وكقوله فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانقلب فكأن كل فرق كالطود العظيم وتقصي أقسام ذلك مما يطول ولم أقصد استيفاء ذلك وانما ضربت لك المثل بما ذكرت لتستدل وأشرت اليك بما أشرت لتتأمل وانما اقتصرنا على ذكر قصيدة البحترى لأن الكتاب يفصلونه على أهل دهره ويقدمونه على من في عصره ومنهم من يدعى له الاجاز غلواو يزعم أنه ينأى النجم في قوله علوا والمخدة تستظهر بشعره وتتكرر بقوله وتدعى كلامه من شبهاتهم وعباراته مضافا الى ما عندهم من ترهاتهم فبينما قدر درجتهم وموضع رتبته وحمد كلامه وهيات أن يكون المتمعن فيه كالمأبوس منه وأن يكون اليبس كالتهار والباطل كالحق وكلام رب العالمين ككلام البشر فان قال قائل فقد قدح المخدق نظم القرآن وادعى عليه الخلل في البيان وأضاف اليه الخطأ في المعنى واللفظ وقال ما قال فهل من فصل قيل الكلام على مطاعن المخددة في القرآن مما قد سبقنا اليه ووصف أهل الأدب في بعضه فكفوا وأتى المتكلمون على ما وقع الهم فشفوا ولولا ذلك لاستقصينا القول فيه في كتابنا وأما الغرض الذي صنفنا فيه في التفصيل والكشف عن إيجاز القرآن فلم نجد على التقريب الذي قصدنا وقد جونا أن يكون ذلك مغنيا واقعا وان سهل الله لنا ما نؤنيه من املاء معاني القرآن ذكرنا في ذلك ما يشتبه من الجنس الذي ذكره لأن أكثر ما يقع من الطعن عليه فانما يقع على جهل القوم بالمعاني أو بطريقتة كلام العرب وليس ذلك من مقصود كتابنا هذا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه وقد قصدنا فيما أملينا الاختصار ومهدنا الطريق فن كل طبعه للوقوف على فضل أجناس الكلام استدرك ما بيننا ومن تعذر عليه الحكم بين شعر جرير والفرزدق والأخطل والحكمين بين فضل زهير والنابغة أو الفضل بين البحترى وأصحابه ولم يعرف سخف

مسئلة في نظم ولم يعلم أنه من الباب الذي يهزأ به ويسخر منه كشر أبي العيس في جملة
الشعر وشعر علي بن صلاة فكيف يمكنه النظر فيما وصفنا والحكم على ما بينا فان قال قائل
فاذ كر لنا من هؤلاء الشعراء الذين سميتهم الاشعر والأيبلغ قيل له هذا أيضا خارج عن غرض
هذا الكتاب وقد تكلم فيه الأديباء ويحتاج أن يحدد نحو هذا كتاب ويفرده باب وليس من
قيل ما نحن فيه بسبيل وليس لقائل أن يقول قد يسلم بعض الكلام من العوارض والعيوب
ويبلغ أمد في الفصاحة والنظم الجيب ولا يبلغ عندكم حد المجهز فلم قضيتم بما قضيتم به
في القرآن دون غيره من الكلام وإنما يصح هذا السؤال وما نذكر فيه من اشعار في نهاية
الحسن وخطب ورسائل في غاية الفضل لا ما قد بينا أن هذه الأجناس قد وقع النزاع فيها
والمساماة عليها والتنافس في طرقها والتنافس في بابها وكان البون بين البعض والبعض في
الطبقة الواحدة قريبا والتفاوت خفيفا وذلك القدر من السبق ان ذهب عند الواحد لم
يأس منه الباقي ولم ينقطع الطمع في مثله وليس كذلك سميت القرآن لأنه قد عرف أن
الوهم ينقطع دون مجاراته والطمع يرتفع عن مباراته ومساماته وأن الكل في العجز عنه على
حد واحد وكذلك قد يزعم زاعمون أن كلام الجاحظ من السميت الذي لا يؤخذ فيه والباب
الذي لا يذهب عنه وأنت تجد قوما يرون كلامه قريبا ومنهاجه معيبا ونطاق قوله ضيقا حتى
يستعين بكلام غيره ويفزع الى ما يوشح به كلامه من بيت سائر ومثل نادر وحكمة مبهمة
منقولة وقصة عجيبه مأثورة وأما كلامه في أثناء ذلك فسطور قليلة والفاظ يسيرة فاذا
أحوج الى تطويل الكلام طالبا عن شيء يستعين به فيخطه بقوله من قول غيره كان كلاما
ككلام غيره فان أردت أن تحقق هذا فانظر في كتبه في نظم القرآن وفي الرد على النصارى
وفي خبر الواحد وغير ذلك مما يجرى هذا المجرى هل تجد في ذلك كله ورقة تشتمل على نظم
بديع أو كلام مليح على أن متأخرى الكتاب قد نازعوه في طريقته وجاذبه على منهجه ففهم
من ساواه حين ساماه ومنهم من أبر عليه اذ باراه هذا أبو الفضل بن الحميد قد سلك مسلكه
وأخذ طريقه فلم يقصر عنه ولعله قد بان تقدمه عليه لأنه يأخذ في الرسالة الطويلة
فيستوفى على حدود مذهبه ويكملها على شروط صنعتها ولا يقصر على أن يأتي بالأسطر
من نحو كلامه كاترى الجاحظ يفعل في كتبه متى ذكر من كلامه سطر أتبعه من كلام
الناس أوراقا واذا ذكر منه صفحة بنى عليه من قول غيره كتابا وهذا يدل على أن الشيء
إذا استحسن أتبع وإذا استلم قصده وتمدود هذا الشيء يرجع الى الأخذ بالفضل
والتنافس في التقدم فلو كان في مقدور البشر معارضة القرآن لهذا الغرض وحده
لكثرت المعارضات ودامت المناقسات فكيف وهناك دواع لا انتهاء لها وجواب واحد
لكثرت ألتهم لو كانوا غارضوه لتوصلوا الى تكذيبه ثم الى قطع المحامسين دونه عنه

أوتفريهم عليه وادخال الشبهات على قلوبهم وكان القوم يكفون بذلك عن بذل النفوس
ونصب الأرواح والأخطار بالأموال والذراري في وجه عداوته ويستغنون بكلام
هو طبعهم وعادتهم وصناعتهم عن محاربه وطول منافسته ومجادبته وهذا الذي عرضناه
على قلبك يكفي ان هديت لرشدك ويشفي ان دلت على قصدك ونسأل الله حسن التوفيق
والعصمة والتسديد انه لا معرفة الا بهدائه ولا عصمة الا بكفائته وهو على ما يشاء قدير
وحسبنا الله ونعم الوكيل

(فصل) *

فان قال قائل قد يجوز ان يكون أهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم قد عجزوا عن الأتيان
بمثل القرآن وان كان من بعدهم من أهل الأعصار لم يعجزوا قبل هذا سؤال معروف وقد
أجيب عنه بوجوه منها ما هو صواب ومنها ما فيه خلل لان من كان يجيب عنه بأنهم لا يقدر
على معارضته في الاخبار عن الغيوب ان قدر واعلى مثل نظمه فقد سلم المسئلة لانا ذكرنا ان
نظمه معجز لا يقدر عليه فاذا أجاب بما قدمناه فقد وافق السائل عن مراده والوجه ان يقال
فيه طرق منها انا اذا علمنا ان أهل ذلك العصر كانوا عاجزين عن الاتيان بمثله فن بعدهم معجز لان
فصاحة أرائك في وجوه ما كانوا يتفنون فيه من القول بما لا يزيد عليه فصاحة من
بعدهم وأحسن أحوالهم ان يقارن بهم أو يساؤهم فاما ان يتقدمهم أو يسبقوهم فلا
ومنها انا قد علمنا عجز أهل سائر الأعصار كعلمنا بعجز أهل العصر الاول والطريق في العلم بكل
واحد من الامرين طريق واحد لان التصدي في الكل على جهة واحدة والتنافر في الطباع
على حد والتكاف على منهاج لا يختلف ولذلك قال الله تبارك وتعالى قل لئن اجتمعت الانس
والجن على أن يأتيوا بمثل هذا القرآن لا يأتيون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا

فصل في التصدي

يجب أن تعلم أن من حكم المعجزات اذا ظهرت على الانبياء أن يدعوا فيها انها من دلائلهم
وآياتهم لأنه لا يصح بعثة النبي من غير أن يوثق دلالته ويؤيد بآياته لأن النبي لا يتميز من
الكاذب بصورته ولا بقول نفسه ولا بشئ آخر سوى البرهان الذي يظهر عليه فيستدل
به على صدقه فاذا ذكر لهم ان هذه آيتي وكانوا عاجزين عنها صح له مادعاؤه ولو كانوا غير
عاجزين عنها لم يصح أن يكون برهانا له وليس يكون ذلك معجزا بان يهداهم الى أن يأتيوا فاذا
تهداهم وبان معجزهم صار ذلك معجزا وانما احتج في باب القرآن الى التصدي لان من الناس
من لا يعرف كونه معجزا فاتما يعرف أولا بعجازه بطريقه لأن الكلام المعجز لا يتميز من غيره
بحروفه وصورته وانما يحتاج الى علم وطريق يتوصل به الى معرفة كونه معجزا فان كان
لا يعرف بعضهم بعجازه فيجب أن يعرف هذا حتى يمكنه أن يستدل به ومتى رأى أهل ذلك

اللسان قد عجز واعنه بأجمعهم مع التحدى اليه والتفريع به والتمكين منه صار حينئذ بمنزلة من رأى اليد البيضاء و انقلاب العصا تعبانا تلتقف مايا فكون وأما ما كان من أهل صنعة العربية والتقدم في البلاغة ومعرفة فنون القول ووجوه المنطق فانه يعرف حين يسمعه عجزه عن الأتيان بمثله ويعرف أيضا أهل عصره ممن هو في طبقته أو يدانيه في صناعته عجزهم عنه فلا يحتاج الى التحدى حتى يعلم به كونه مجزأ ولو كان أهل الصنعة الذين صفتهم ما ينال يعرفون كونه مجزأ حتى يعرفوا عجز غيرهم عنه لم يجز أن يعرف النبي صلى الله عليه وسلم أن القرآن مجزأ حتى يرى عجز قريش عنه بعد التحدى اليه واذا عرف عجز قريش لم يعرف عجز سائر العرب عنه حتى ينتهي الى التحدى الى أقصاهم وحتى يعرف عجز مسيله الكذاب عنه ثم يعرف حينئذ كونه مجزأ وهذا القول ان قيل أخش ما يكون من الخطأ فيجب أن تكون منزلة أهل الصنعة في معرفة اعجاز القرآن بأنفسهم منزلة من رأى اليد البيضاء وخلق البحر بأن ذلك مجزأ وأما من لم يكن من أهل الصنعة فلا بد له من مرتبة قبل هذه المرتبة يعرف بها كونه مجزأ فيساوى حينئذ أهل الصنعة فيكون استدلالهما في تلك الحالة به على صدق من ظهر ذلك عليه على سواء اذا ادعاه دلالة على نبوته وبرهانا على صدقه فأما من قدر أن القرآن لا يصير مجزأ الا بالتحدى اليه فهو كتقدير من ظن أن جميع آيات موسى وعيسى عليهما السلام ليست بايات حتى يقع التحدى اليها والحض عليهما يقع العجز عنها فيعلم حينئذ انها مجزأت وقد سلف من كلامنا في هذا المعنى ما يغني عن الاعداد ويبين ما ذكرناه في غير البليغ أن الاعجمي الآن لا يعرف اعجاز القرآن الا بأموه ورائدة على الأعجمي الذي كان في ذلك الزمان مشاهدا له لأن من هو من أهل العصر يحتاج أن يعرف أولا أن العرب عجز واعنه وانما يعلم عجزهم عنه بنقل الناقلة اليه أن النبي صلى الله عليه وسلم قد تحدى العرب اليه فجزوا عنه ويحتاج في النقل الى شروط وليس بصير القرآن بهذا النقل مجزأ كذلك لا يصير مجزأ بان يعلم العربي الذي ليس يبليغ أنهم قد عجز واعنه بأبلغهم بل هو مجزأ في نفسه وانما طريق معرفة هذا وقوعهم على العلم لعجزهم عنه

فصل في قدر المعجز من القرآن

الذي ذهب اليه عامة أصحابنا وهو قول أبي الحسن الأشعري في كتبه أن أقل ما يعجز عنه من القرآن السورة قصيرة كانت أو طويلة أو ما كان بقدرها أقل فاذا كانت الآية بقدر حروف سورة وان كانت سورة الكوثر فذلك مجزأ ولم يقم دليل على عجزهم عن المعارضة في أقل من هذا القدر وذهب المعتزلة الى أن كل سورة برأسها فهي معجزة وقد

حكى عنهم نحو قولنا الآن منهم من لم يشترط كون الآية بقدر السورة بل شرط الآيات
الكثيرة وقد علمنا أنه تحداهم تحديا الى السور كلها ولم يخص ولم يأثو الشئ منها بمثل فعلم أن
جميع ذلك معجز وأما قوله عز وجل فليأتوا بحديث مثله فليس يخالف لهذا أن الحديث
النامل لا تحصل حكايته في أقل من كلمات سورة قصيرة وهذا يؤكده ما ذهب اليه أصحابنا
ويؤيده وان كان قديتا ول قوله فليأتوا بحديث مثله على أن يكون راجعا الى القبيل دون
التفصيل وكذلك يحمل قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا
القرآن لا يأتون بمثله على القبيل لأنه لم يجعل الجملة عليهم معجزهم عن الاتيان بجميعة من
أوله الى آخره فان قيل هل تعرفون اعجاز السور القصار بما تعرفون به اعجاز السور الطوال
وهل تعرفون اعجاز كل قدر من القرآن بلغ الحد الذي قدرتموه بمثل ما تعرفون به اعجاز
سورة البقرة ونحوها فالجواب أن أبا الحسن الأشعري رحمه الله أجاب عن ذلك بأن كل
سورة قد علم كونها معجزة بجز العرب عنها وسمعت بعض الكبراء من أهل هذا الشأن
يقول ان ذلك يصح أن يكون علم ذلك توقيفا والطريقة الاولى أسد وليس هذا الذي
ذكرناه أخيرا بما فيه لأنه لا يمنع أن يعلم اعجازه بطرق مختلفة تتوافق عليه وتجتمع فيه
واعلم أن تحت اختلاف هذه الأجوبة ضربا من الفائدة لأن الطريقة الاولى تبين أن
ما علم به كون جميع القرآن معجزا موجود في كل سورة صغرت أو كبرت فيجب أن يكون
الحكم في الكل واحدا والطريقة الاخيرة تضمن تعدد معرفة اعجاز القرآن بالطريقة
التي سلكها في كتابنا من التفصيل الذي بينا فيما يعرف به في الكلام الفصاحة وتبين فيه
البلاغة حتى يعلم ذلك بوجه آخر فيستوى في هذا القدر البليغ وغيره في أن لا يعلمه معجزا
حتى يستدل به من وجه آخر سوى ما يعلمه البلغاء من التقدم في الصنعة وهذا غير متمنع
ألا ترى أن الاعجاز في بعض السور والآيات أظهر وفي بعضها أغص وأدق فلا يفتقر البليغ
في النظر في حال بعضها الى تأمل كثير ولا يبحث شديد حتى يتبين له الاعجاز وبقته في بعضها
الى نظر دقيق ويبحث لطيف حتى يقع على الجلية ويصل الى المطلب ولا يمنع أن يذهب عليه
الوجه في بعض السور فيحتاج أن يفرع فيه الى اجماع أو توقيف أو ما علمه من عجز العرب
قاطبة عنه فان ادعى ملحد أو زعم زنديق أنه لا يقع العجز عن الاتيان بمثل السور والقصار
أو الآيات بهذا المقدار قلنا ان الاعجاز قد حصل بما بيناه وعرف بما وقفنا عليه من عجز
العرب عنه ثم فيه شئ آخر وهو أن هذا سؤال لا يستقيم للملحد لانه يزعم أنه ليس في
القرآن كلمة اعجاز فكيف يجوز أن يناظره على تفصيله واثبت لنا معه اعجازه في السور
الطوال قامت الجملة عليه وثبتت المعجزة ولا معنى لطلبه لكثرة الادلة والمعجزات ونحن نعلم

أن عجاز البعض بما بيناهم والبعض الآخر بأنه اذا ثبت الأصل لم يبق بعد ذلك الا قولنا
 لأننا عرفنا في البعض العجاز بما بيناهم عرفنا في الباقي بالتوقيف ونحو ذلك وليس بمتنع
 اختلاف في حال الكلام حتى يكون العجاز على بعضه أظهر وفي بعضه أغمض ومن آمن ببعض
 دون بعض كان مذموماً على ما قال الله تعالى أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض
 وقال ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين فظاهره عند بعض أهل التأويل
 كالدليل على أن الشفاء ببعضه أوقع وان كنا نقول انه يدل على أن الشفاء في جميعه واعلم أن
 الكلام يقع فيه الأبلغ والبلوغ ولذلك كانوا يسمون الكلمة بتيمة ويسمون البيت الواحد
 يتيماً سمعت اسماعيل بن عباد يقول سمعت أبا بكر بن مقسم يقول سمعت ثعلباً يقول سمعت
 الفراء يقول العرب تسمى البيت الواحد يتيماً وكذلك يقال الدرّة اليتيمة لانفرادها فاذا
 بلغ البيتين والثلاثة فهي نثمة والى العشرة تسمى قطعة واذا بلغ العشرين استحق أن يسمى
 قصيداً وذلك مأخوذ من المخ القصيد وهو المترجم بعضه على بعض وهو ضد الرار ومثله
 الرئيد انتهت الحكاية ثم استشهد بقول لبيد

فتذكر انقلارئيدا بعدما * ألفت ذكاء عينها في كافر

يريد بيض النعام لأنه ينضد بعضه على بعض وكذلك يقع في الكلام البيت الوحشي
 النادر والمثل السائر والمعنى الغريب والنثي الذي لو اجتمده لم يقع عليه فيتفق له
 ويصادفه قال لبعض علماء هذه الصنعة وجارته في ذلك ان هذا مما لا سبب له يخصه وانما
 سببه القرارة في أصل الصنعة والتقدم في عيون المعرفة فاذا وجد ذلك وقع له من الباب
 ما يطرده عن حساب وما يشذ عن تفصيل الحساب فأما ما قلنا من أن ما بلغ قدر السورة
 مجز فان ذلك صحيح

* (فصل في أنه هل يعلم اعجاز القرآن ضرورة) *

ذهب أبو الحسن الأشعري الى أن ظهور ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم يعلم ضرورة
 وكونه مجزاً يعلم باستدلال وهذا المذهب محكي عن المخالفين والذي نقوله في هذا ان
 الأعجمي لا يمكنه أن يعلم اعجازه الاستدلالاً وكذلك من لم يكن بليغاً فأما البليغ الذي قد
 أحاط بآداب العربية وغرائب الصنعة فانه يعلم من نفسه ضرورة عجزه عن الاتيان بمثله
 ويعلم عجز غيره بمثل ما يعرف عجز نفسه كما أنه اذا علم الواحد منا أنه لا يقدر على ذلك وهو يعلم
 عجز غيره استدلالاً

فصل فيما يتعلق به الاعجاز

ان قال قائل بينوا لنا ما الذي وقع الهدى اليه أهوال الحروف المنظومة أو الكلام القائم

بالذات أو غير ذلك قيل الذي تحداهم به أن يأتيوا بمثل الحروف التي هي نظم القرآن منظومة
 كنظمها متتابعة كتبها مطردة كطرادها ولم يتقدمهم إلى أن يأتيوا بمثل الكلام القديم
 الذي لا مثله وإن كان كذلك فالقصد واقع إلى أن يأتيوا بمثل الحروف المنظومة التي
 هي عبارة عن كلام الله تعالى في نظمها وتأنيفها وهي حكاية لكلامه ودلالات عليه وأمارات
 له على أن يكونوا مستأنفين لذلك للاحاكين بما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم ولا يجب
 أن يقدر مقدر أو يظن ظان أن أحين قلنا إن القرآن معجز فانه تحداهم إلى أن يأتيوا بمثله
 أردنا غير ما فسرناه من العبارات عن الكلام القديم القائم بالذات وقد بينا قبل هذا أنه لم
 يكن ذلك معجزا لكونه عبارة عن الكلام القديم لأن التوراة والإنجيل عبارة عن الكلام
 القديم وليس ذلك معجزا في النظم والتأليف وكذلك مادون الآية كاللغة عبارة عن
 كلامه وليست بمنفردة معجزة وقد جوز بعض أصحابنا أن يتحداهم إلى مثل كلامه
 القديم القائم بنفسه والذي عول عليه مشايخنا ما قدمنا ذكره وعلى ذلك أكثر مذاهب
 الناس ولم يجب أن تفسر ونذكر موجب هذا المذهب الذي حكيناها وما يتصل به لأنه خارج
 عن غرض كتابنا لأن العجاز واقع في نظم الحروف التي هي دلالات وعبارات عن كلامه
 وإلى مثل هذا النظم وقع التصدي فينا وجه ذلك وكيفية ما يتصور القول فيه وأزلنا
 توهم من يتوهم أن الكلام القديم حروف منظومة أو حروف غير منظومة أو شئ مؤلف
 أو غير ذلك مما يصح أن يتوهم على ما سبق من إطلاق القول فيما مضى

فصل في وصف وجوه من البلاغة

ذكر بعض أهل الأدب والكلام أن البلاغة على عشرة أقسام الإيجاز والتشبيه
 والاستعارة والتلاؤم والفواصل والتجانس والتصرف والتضمين والمبالغة وحسن
 البيان فأما الإيجاز فأنما يحسن مع ترك الإخلال باللفظ والمعنى فيأتي باللفظ القليل الشامل
 لأمر كثيرة وذلك ينقسم إلى حذف وقصر فالحذف الإسقاط للتخفيف كقوله وأسأل
 القرية وقوله طاعة وقول معروف وحذف الجواب كقوله ولو أن قرأتنا سيرت به الجبال
 وقطعت به الأرض أو كلم به الموق كأنه قيل لكان هذا القرآن والحذف أبلغ من
 المذكور لأن النفس تذهب بكل مذهب في القصد من الجواب والإيجاز بالقصد كقوله ولكم
 في القصاص حياة وقوله يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو وقوله انما يغيبكم على أنفسكم
 ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله والاطناب فيه بلاغة فأما التطويل ففيه عي وأما التشبيه
 بالعقد على أن أحد الشئين يسد مسد الآخر في حس أو عقل كقوله والذين كفروا
 أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا وقوله مثل الذين

كفروا برهم أعبأهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف وقوله واذا نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وقوله انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلف به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس وقوله انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر وقوله فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان وقوله انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث عجب الكفار نباته ثم يهيج قتره مصفرا ثم يكون حطاما وقوله وجنة عرضها كعرض السماء والارض وقوله مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الجمار يحمل أسفارا وقوله تعالى قتلته كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث وقوله كأنهم أعجاز نخل خاوية وقوله مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت وقوله وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام وقوله خلق الانسان من صلصال كالفخار ونحو ذلك ومن ذلك باب الاستعارة وهو بيان التشبيه كقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وكقوله فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين وكقوله انا لما طغى الماء جعلنا كم في الجارية وقوله ولما سكت عن موسى الغضب وكقوله فجعونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة وقوله بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق فالدماغ والقذف مستعار وقوله وآية لهم الليل نسلخ منه النهار وقوله وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم وقوله فذودعاء عريض وقوله تضع الحرب أوزارها وقوله والصبح اذا نفث وقوله مستهم البأساء والضراء وقوله فنبذوه وراء ظهورهم وقوله أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا وقوله حصيدا خامدين وقوله ألم ترأنهم في كل واد يهيمون وقوله وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وقوله لا تجعل يدك مغلولة الى عنقك وقوله ولنديقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر وقوله فصر بنا على آذانهم يريد أن لا احساس بأذانهم من غير صم وقوله ولما سقط في أيديهم وهذا أوقع من اللفظ الظاهر وأبلغ من الكلام الموضوع وأما التلاؤم فهو تعديل الحروف في التأليف وهو تقيض المتنافر كقول الشاعر

وقبر حرب بمكان قفر • وليس قرب قبر حرب قبر

قالوا هو من شعر الجن حروفه متنافرة لا يمكن انشاده الا بتتبع فيه والتلاؤم على ضربين أحدهما في الطبقة الوسطى كقوله

رمتني وستر الله بيني وبينها * عشية أن أم الكاس رمي

رميم الذي قالت لجارات بيتها * ضمنت لكم أن لا يزال بهيم
 الأرب يوم لو رمتي رميتها * ولكن عهدي بالانضال قديم
 قالوا والمتلاثم في الطبقة العليا القرآن كله وان كان بعض الناس أحسن احساسا من
 بعض كأن بعضهم يفتن للوزن بخلاف بعض والتلاثم حسن الكلام في السمع وسهولته
 في اللفظ ووقع المعنى في القلب وذلك كالخط الحسن والبيان الشافي والمتنافر كالخط القبيح
 فإذا انضاف الى التلاثم حسن البيان وصحة البرهان في أعلى الطبقات ظهر العجاز لمن كان
 جيد الطبع وبصيرا بجودة الكلام كما يظهر له أعلى طبقة الشعر والمتنافر ذهب الخليل
 الى أنه من بعد شديد أوقرب شديد فإذا بعد فهو كالظفر وإذا قرب جدا كان بمنزلة مشى
 المقيد ويبين ذلك بقرب مخارج الحروف وتباعدها وأما الفواصل فهي حروف متشاكلة
 في المقاطع يقع بها افهام المعاني وفيها بلاغة والاسجاع عيب لأن السجع يتبع المعنى
 والفواصل تابعة للمعنى والسجع كقول مسيلة ثم الفواصل قد تقع على حروف متجانسة
 كما قد تقع على حروف متقاربة ولا تتحمل القوافي ما تتحمل الفواصل لأنها ليست في
 الطبقة العليا في البلاغة لأن الكلام بحسن فيها مجانسة القوافي وإقامة الوزن وأما
 العجاس فانه بيان بأنواع الكلام الذي يجمعه أصل واحد وهو على وجهين مزاجية
 ومناسبة فالمزاجية كقوله تعالى فن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم
 وقوله ومكروا ومكر الله وكقول عمر وبن كلثوم

ألا لا يبجلن أحد علينا • فيجهل فوق جهل الجاهلينا

وأما المناسبة فهي كقوله تعالى ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم وقوله يخافون يومًا تتقلب فيه
 القلوب والابصار وأما التصريف فهو تصرف الكلام في المعاني كتصرفه في الدلالات
 المختلفة كتصرف الملك في معاني الصفات فصرف في معنى مالك ومالك وذو الملائكة
 والمليك وفي معنى التملك والاملاك وتصريف المعنى في الدلالات المختلفة كما
 كرر من قصة موسى في مواضع وأما التضمين فهو حصول معنى فيه من غير ذكره له باسم
 أو صفة هي عبارة عنه وذلك على وجهين تضمين توجيه البنية كقولنا معلوم يوجب أنه
 لا بد من عالم وتضمين يوجه معنى العبارة من حيث لا يصح الإبه كالصفة بضارب يدل على
 مضروب والتضمين كله انجاز والتضمين الذي يدل عليه دلالات القياس أيضا انجاز
 وذكر أن بسم الله الرحمن الرحيم من باب التضمين لأنه تضمن تعليم الاستفتاح في الأمور
 باسمه على جهة التعظيم لله تبارك وتعالى أو التبرك باسمه وأما المبالغة فهي الدلالة على
 كثرة المعنى وذلك على وجوه منها مبالغة في الصفة المبنية لذلك كقولك رحمن عدل عن

ذلك للبالغة وكقوله غفار وكذلك فعال وفعول كقولهم شكور وغفور وفعيل كقوله
رحيم وقدير ومن ذلك أن يبالغ باللفظة التي هي صفة عامة كقوله خالق كل شيء وكقوله
فأتى الله بنيانهم من القواعد وكقوله ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط
وكقوله وأنا وأياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين وقد يدخل فيه الحذف الذي تقدم ذكره
للبالغة وأما حسن البيان فالبيان على أربعة أقسام كلام وحال وإشارة وعلامة ويقع
التفاضل في البيان ولذلك قال عزم من قائل الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان
وقيل أعيان من باقل سئل عن طبيعة في يده بكم اشتراها فأراد أن يقول بأحد عشر فأشار
بيديه ما إذا أصابعه العشر ثم أدلع لسانه وأقلت الطيبي من يده ثم البيان على مراتب قلنا
قد كآحكينا أن من الناس من يريد أن يأخذ بعجاز القرآن من وجوه البلاغة التي ذكرنا
أنها تسمى البديع في أول الكتاب مما مضت أمثلته في الشعر ومن الناس من زعم أنه يأخذ
ذلك من هذه الوجوه التي عدناها في هذا الفصل واعلم أن الذي بيناه قبل هذا وذهبنا
إليه هو شديد وهو أن هذه الأمور تنقسم فيها ما يمكن الوقوع عليه والتعمل له ويدرك
بالتعلم فما كان كذلك فلا سبيل إلى معرفة عجاز القرآن به وأما ما لا سبيل إليه بالتعلم
والتعمل من البلاغات فذلك هو الذي يدل على عجزه ونحن نضرب لذلك أمثلة لتقف على
ما ذهبنا إليه وذكرنا في هذا الفصل عن هذا القائل أن التشبيه تعرف به البلاغة وذلك
مسلم ولكن إن قلنا ما وقع من التشبيه في القرآن معجز عرض علينا من التشبيهات الجارية
في الأشعار ما لا يخفى عليك وأنت تجد في شعر ابن المعتز من التشبيه البديع الذي يشبه
السكر وقد تتبع في هذا ما لم يتبع غيره واتفق له ما لم يتفق لغيره من الشعراء وكذلك كثير
من وجوه البلاغة قد بينا أن تعلمها يمكن وليس تقع البلاغة بوجه واحد منها دون غيره
فإن كان أعما يعني هذا القائل أنه إذا أتى في كل معنى يتفق في كلامه بالطبقة العالية
ثم كان ما يصل به كلامه ببعضه ببعض وينتهي منه إلى متصرفاته على أتم البلاغة وأبداع
البراعة فهذا مما لا نأباه بل نقول به وإنما ننكر أن يقول قائل إن بعض هذه الوجوه
ما يقوله إلا أن ما أقسم به وحده بنفسه معجز وان التشبيه معجز وان التخييل معجز والمطابقة
بنفسها معجزة فأما الآية التي فيها ذكر التشبيه فإن ادعى عجزها لالفاظها وتنظيمها
وتأليفها فإني لأدفع ذلك وأصححه وأمكن لأدعى عجزها لموضع التشبيه وصاحب المقالة
التي حكيناها أضاف ذلك إلى موضع التشبيه وما قرنه من الوجوه ومن تلك الوجوه
ما قد بينا أن العجاز يتعلق به كالبیان وذلك لا يختص بجنس من المبين دون جنس ولذلك

قال هذا بيان للناس وقال تبياناً لكل شيء وقال بلسان عربي مبين فذكر في مواضع ذكره أنه مبين فالقرآن أعلى منازل البيان وأعلى مراتبه ماجع وجوه الحسن وأسبابه وطرقه وأبوابه من تعديل النظم وسلامته وحسنه وهجته وحسن موقعه في السمع وسهولته على اللسان ووقوعه في النفس موقع القبول ونصوره ونصوَر المشاهدة وتشكله على جهته حتى يجعل محل البرهان ودلالة التأليف مما لا ينصرف حسناً وهجته وسناء ورفعة وإذا علا الكلام في نفسه كان له من الوقوع في القلوب والتمسك في النفوس ما يذهل ويهيج وبقلق ويؤنس ويطمع ويؤيس ويضحك ويبكي ويحزن ويفرح ويسكن ويزعج ويشجي ويضطرب ويهز الأعراف ويستميل نحوه الأسماع ويورث الأريحية والعزة وقد يبعث على بذل المهج والأموال شجاعة وجودا ويرى السامع من وراء رأيه مرمى بعيدا وله مسالك في النفوس لطيفة ومداخل إلى القلوب دقيقة وبحسب ما يترتب في نظمه ويتنزل في موقعه ويجري على سمع مطلعته ومقطعته يكون عجيب تأثيراته وبديع مقتضياته وكذلك على حسب مصادره يتصور وجوه موارد وقد ينبت الكلام عن محل صاحبه ويدل على مكان متكلمه وينبئه على عظيم شأن أهله وعلى علو محله ألا ترى أن الشعر في الغزل إذا صدر عن محب كان أرق وأحسن وإذا صدر عن متغزل وحصل من متصنع نادى على نفسه بالمدحاة وأخبر عن خبيته في المزايا وكذلك قد يصدر الشعر في وصف الحرب عن الشجاع فيعلم وجه صدره ويدل على كنهه وحقيقته وقد يصدر عن المتشبهه ويخرج عن المتصنع فيعرف من حاله ما ظن أنه يخفيه ويظهر من أمره خلاف ما يبديه وأنت تعرف قول المتنبي

فألخيل والليل والبداء تعرفني • والحرب والطعن والقرطاس والقلم
من الواقع في القلب لما يعلم أنه من أهل الشجاعة ما لا تجده للبهترى في قوله

وأنا الشجاع وقد بدا لك موقفي • بعقر قس والمشرقية مشهدي
وتجد لابن المعتز في موقع شعره من القلب في الفخر وغيره ما لا تجده لغيره لأنه إذا قال

أذا شئت أوقرت البلاد حوافر • وسارت ورائي هاتم وزار
وعم سماء النقع حتى كانه • دنان وأطراف الرماح شرار
وقال قد تردت بالمكارم حولي • وكفتني نفسي من الاقتار
أنا جيش إذا غزت وحيدا • ووحيد في الجفصل الجرار
وقال أيها السائل عن الحسب الاطـيب ما فوقه خلق مزيد
نحن آل الرسول والعترة الحقبـ وأهل القرى فاذا ترد
ولنا ما أضاء صبح عليه • وأنته رايات ليل سود

وكما أنشدنا الحسن بن عبد الله قال أنشدنا محمد بن يحيى لابن المعتز قصيدته التي يقول فيها
 أنا ابن الذي سادهم في الحيا • • • وسادهم بي تحت الترى
 ومالي في أحد مرغب • • • بلى في يرغب كل الورى
 وأسهر للمجد والمكرما • • • ت اذا اكثلت أعين بالكرى

فاتظر في القصيدة كلها ثم في جميع شعره تعلم أنه ملك الشعر وأنه يليق به من الفخر خاصة
 ثم بما يتبعه مما يتعاطاه مما لا يليق بغيره بل ينفر عن سواء ولم أحب أن أكثر عليك فأطول
 الكتاب بما يخرج عن غرضه وكما ترى من قول أبي فراس الحمداني في نفسك اذا قال
 ولا أصبح الخى الخلوف بغارة • • • ولا الجيش ما لم يأنه قبلى النذر
 ويارب دار لم تخفنى منيعة * طلعت عليها بالردى أنا والفجر
 وساحبة الاذيال نحوى لقيتها * فلم يلقها جاني اللقاء ولا وعر
 وهبت لها ما حازه الجيش كله * وأبت ولم يكشف لايباتها ستر
 وما راح يطغيني بأثوابه الغنى * ولا بات يثني عن الكرم الفقر
 وما حاجتى في المال أبغى وفوره * اذالم أفر وفرى فلا وفر الوفر

والشئ اذا صدر من أهله وبدامن أصله وانتسب الى ذويه سلم في نفسه وبان فخامته وشوهد
 أثر الاستحقاق فيه واذا صدر من متكلف وبدامن متصنع بان أثر الغرابة عليه وظهرت
 مخايل الاستعجاب فيه وعرف شمائل التخيير منه انا نعرف في شعر أبي نواس أثر الشطارة
 وتمكن البطالة وموقع كلامه في وصف ما هو بسبيله من أمر العبارة ووصف الخمر
 والجمار كنعرف موقع كلام ذى الرمة في وصف المهامه والبوادى والجمال والانواع
 والائمة وعيب أبي نواس التصرف في وصف الطلول والرباع والوحش فمفكر في قوله
 دع الاطلاع تسقمها الجنوب * وتبلى عهد جدتها الخطوب
 ونخل لراكب الوجناء أرضا • • • تحب به الخبيبة والخبيب
 بلاد بنتها عشر وطح * وأكثر صيدها ضبع وذيب
 ولا تأخذ عن الاعراب لهوا • • • ولا عبسا فعيشهم جديب
 دع الالبان يشربها رجال • • • رقيق العيش عندهم غريب
 اذا راب الحليب قبل عليه • • • ولا تخرج فما في ذاك حوب
 فأطيب منه صافية شمول * يطوف بكأسها ساق أديب
 كأن هديرها في الدن يحكى • • • قراء القس قابلة الصليب
 أعاذل أقصرى عن طول لوى • • • فراجى توبتى عندى يخيب

تعييبين الذنوب وأى حر * من القتيان ليس له ذنوب
وقوله صفة الطول بلاغة العدم * فاجعل صفاتك لابنة الكرم
وسمعت الصحاب اسماعيل بن عباد يقول سمعت بركويه الزنجاني يقول أنشد بعض
الشعراء هلال بن يزيد قصيدة على وزن قصيدة الأعمى
ودع هريرة ان الركب مر نخل * وهل تطيق وداعا أيها الرجل
وكان وصف فيها الطلل قال بركويه فقال لي هلال فقلت بيديها
اذ اسمعت فتى يبكي على طلل • من أهل زنجان فاعلم أنه طلل
وانما ذكرت لأن هذه الامور تعلم أن الشئ في معدنه أعز وفي مظانه أحسن والى أصله أنزع
وبأسبابه أليق وهو يدل على ما صدر منه وينبه ما أنتج عنه ويكون قراره على موجب
صورتها وأنواره على حسب محله ولكل شئ حد ومذهب ولكل كلام سبيل ومنهج وقد ذكر
أبو بكر الصديق رضي الله عنه في كلام مسيلة ما أخبرتك به فقال ان هذا كلام لم يخرج من
آل فدل على أن الكلام الصادر عن عزة الربوبية ورفعة الالهية يتميز عما لم يكن كذلك ثم
رجع الكلام بنا الى ما ابتدأنا به من عظيم شأن البيان ولولم يكن فيه الامان به الله على
خلقها بقوله خلق الانسان علمه البيان فأما بيان القرآن فهو وأشرف بيان وأهداه وأكمله
وأعلاه وأبلغه وأسناه فأمل قوله تعالى افنضرب عنكم الذكر صفحاً أن كنتم قوما مسرفين في
شدة التنبيه على تركهم الحق والاعراض عنه وموضع امتنانه بالذكروا التحذير وقوله ولن
ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون وهذا بليغ في التحسير وقوله ولوردوا
لعادوا لما نهوا عنه وهذا يدل على كونهم محبوبين على السر معبودين لمخالفة النهي والامر
وقوله الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين هو في نهاية الوضع من الخلة الا على
التقوى وقوله ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وهذا نهاية في التحذير من
التفريط وقوله أفن يلقى في النار خيراً من يأتي آمناً يوم القيامة اعلموا ما شئتم انه بما تعملون
بصير هو النهاية في الوعيد والتهديد وقوله وترى الظالمين لمارأوا العذاب يقولون هل الى
مرد من سبيل وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي نهاية في
الوعيد وقوله وفيها ما تشبهه الأنفس وتلذذ الأعين وأنتم فيها خالدون نهاية في الترغيب
وقوله ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا ذهب كل اله ما خلق ولعل بعضهم على
بعض وكذلك قوله لو كان فهما الهة الا الله لفسد تانهاية في الجحاح وقوله وأسروا قلوبكم
أواجهر وإياه علم بذات الصدور الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير نهاية في الدلالة
على علمه بالخصيات ولاوجه للتطويل فان بيان الجميع في الرفعة وكبر المنزلة على سواء وقد

ذكرنا من قبل أن البيان يصح أن يتعلق به الاعجاز وهو مجز من القرآن وما حكيناه من صاحب الكلام من المبالغة في اللفظ فليس ذلك بطريق الاعجاز لأن الوجوه التي ذكرها قد تتفق في كلام غيره وليس ذلك بمجرب بل قد يصح أن يقع في المبالغة في المعنى والصفة وجوه من اللفظ يثر الاعجاز وتضمن المعاني أيضا قد يتعلق به الاعجاز اذا حصلت للعبارة طريق البلاغة في أعلى درجاتها وأما الفواصل فقد بينا أنه يصح أن يتعلق بها الاعجاز وكذلك قد بينا في المقاطع والمطالع نحو هذا وبيننا في تلاؤم الكلام ما سبق من صحة تعلق الاعجاز به والتصرف في الاستعارة البديعة يصح أن يتعلق به الاعجاز كما يصح مثل ذلك في حقائق الكلام لأن البلاغة في كل واحد من البابين تجري مجرى واحدا وتأخذ مأخذا مفردا وأما الاجاز والبسط فيصح أن يتعلق بهما الاعجاز كما يتعلق بالحقائق والاستعارة والبيان في كل واحد منهما فلا يضبط حده ولا يقدر قدره ولا يمكن التوصل الى ساحل بحره بالتعلم ولا يتطرق الى غوره بالتسبب وكل ما يمكن تعلمه وينتهي تلقنه ويمكن تخليصه ويستدرك أخذه فلا يجب أن يطلب وقوع الاعجاز به ولذلك قلنا ان السجع مما ليس يلمس فيه الاعجاز لان ذلك أمر محدود وسبيل مورود ومتى تدرب الانسان به واعتاده لم يستصعب عليه أن يجعل جميع كلامه منه وكذلك التجنيس والتطبيق متى أخذ أخذهما وطلب وجههما استوفى ماشاء ولم يتعذر عليه أن يملا خطابه منه كما أولع بذلك أبو تمام والبحتري وان كان البحتري أشغف بالمطابق وأقل طلبا للجمانس فان قال قائل هلا قلت ان هذين البابين يقع فيهما مرتبة عالية لا يوصل اليها بالتعلم ولا يمكن بالتعلم كما ذكرتم في البيان وغير ذلك قلنا لو عمد الى كتاب الاجناس ونظر في كتاب العين لم يتعذر عليه التجنيس الكثير فأما الاطباق فهو أقرب منه وليس كذلك البيان والوجوه التي رأينا الاعجاز فيها لانها تستوفى بالتعلم فان قيل فالبيان قد يتعلم قيل ان الذي يمكن أن يتوصل اليه بالتعلم يتفاوت فيه الناس وينتهي فيه العادات وهو كما يعلم من مقادير القوى في حل الثقيل وأن الناس يتقاربون في ذلك فيرمون فيه الى حد فاذا تجاوزوه وقفوا بعده ولم يمكنهم التخطي ولم يقدروا على التعدي الا أن يحصل ما يخرق العادة وينقض العرف ولن يكون ذلك الا للدلالة على النبوات على شروط في ذلك والقدر الذي يفوت الحد في البيان ويتجاوز الوهم ويشدن الصنعة ويقذفه الطبع في النادر القليل كالبيت البديع والقطعة الشريفة التي تتفق في ديوان شاعر والفقرة تتفق في لسان كاتب حتى يكون الشاعر ابن بيت وبيتين أو قطعة أو قطعتين والاديب شهيد كلمة أو كلمتين وذلك أمر قليل ولو كان كلامه كله ينطرد على ذلك المسلك وبسمر على ذلك المنهج أمكن أن يدعى فيه الاعجاز ولكم ان

كنت من أهل الصنعة تعلم قلة الآبيات الشوارد والكلمات الفراند وأمهات القلائد فان أردت أن تجد قصيدة كلها وحشية وأردت أن تراها مثل بيت من أبياتهم امرضية لم تجد ذلك في الدواوين ولم تظفر بذلك الى يوم الدين ونحن لم ننكر أن يستدرك البشر كلمة شريفة ولفظة بديعة وانما ننكرنا أن يقدر واعلى مثل نظم سورة أو نحوها وأهلنا أن يتمكنوا من حدى البلاغة ومقدار في الخطابة وهذا كما قلناه من أن سورة الشعر قد تنفق في القرآن وان لم يكن له حكم الشعر فأما قدر المجرز فقد بينا أنها السورة طالت أو قصرت وبعده ذلك خلاف من الناس من قال مقدار كل سورة أو أطول آية فهو مجرز وعندنا كل واحد من الامرين معجز والدلالة عليه ما تقدم والبلاغة لا تبين بأقل من ذلك فلذلك لم نحكم بأجازه وما صح أن تبين فيه البلاغة ومحصولها الا بأنه في الابلاغ عن ذات النفس على أحسن معنى وأجزل لفظا وبلوغ الغاية في المقصود بالكلام فاذا بلغ الكلام غايته في هذا المعنى كان بالغا وبلغا فاذا تجاوز حد البلاغة الى حيث لا يقدر عليه أهل الصناعة وانتهى الى أمر يعجز عنه الكامل في البراعة صح أن يكون له حكم المعجزات وجاز أن يقع موقع الدلالات وقد ذكرنا أنه يجنسه وأسلوبه مبين لسائر كلامهم ثم بما يتضمن من تجاوزه في البلاغة الحد الذي يقدر عليه البشر فان قيل فاذا كان يجوز عندكم أن تنفق في شعر الشاعر قطعة مجيبة شاردة تبين جميع ديوانه في البلاغة ويقع في ديوانه بيت واحد يخالف ما لوف طبعه ولا يعرف سبب ذلك البيت ولانك القطعة في التفصيل ولو أراد أن يأتي بمثل ذلك ويجعل جميع كلامه من ذلك النمط لم يجد الى ذلك سبيلا وله سبب في الجملة وهو التقدم في الصنعة لانه يتفق من المتأخر فيها فها لا قلتم انه اذا بلغ في العلم بالصناعة مبالغة قصوى كان جميع كلامه من نمط ذلك البيت وسميت تلك القطعة وهلا قلتم ان القرآن من هذا الباب فالجواب ان لم تجد أحدا بلغ الحد الذي وصفتم في العادة وهذا الناس وأهل البلاغة اشعارهم عندنا محفوظة وخطبهم منقولة ورسائلهم مأثورة وبلغاتهم مروية وحكمهم مشهورة وكذلك أهل الكهانة والبلاغة مثل قس بن ساعدة وسحبان وائل ومثل شق وسطح وغيرهم كلامهم معروف عندنا وموضوع بين أيدينا لا يخفى علينا في الجملة بلاغة بليغ ولا خطابة خطيب ولا براعة شاعر مطلق ولا كتابة كاتب مدقق فلما لم نجد في شئ من ذلك ما يداني القرآن في البلاغة أو يشا كله في الاجماز مع ما وقع من التمدى اليه المدة الطويلة وتقدم من التقريرع المجازة الامد المديد وثبت له وحده خاصة قصب السبق والاستيلاء على الامر ومعجز الكل عنه ووقفوا دونه حيارى يعرفون معجزهم وان جهل قوم سبهم ويعلمون نقصهم وان أغفل قوم وجهه رأينا أنه نافض للعادة ورأينا أنه خارق للعروف في

الحيلة وخرق العادة اتماما مع المعجزات على وجه اقامة البرهان على النبوات وعلى أن من ظهرت عليه ووقعت موقع الهداية اليه صادق فيما يدعيه من نبوته ومحقق في قوله ومصديق في هديه قد سادت له الحجة البالغة والكلمة التامة والبرهان النير والدليل البين

(فصل في حقيقة المعجز)

معنى قولنا ان القرآن معجز على أصولنا أنه لا يقدر العباد عليه وقد ثبت أن المعجز الدال على صدق النبي صلى الله عليه وسلم لا يصح دخوله تحت قدرة العباد وانما ينفرد الله تعالى بالقدرة عليه ولا يجوز أن يعجز العباد عما تستحيل قدرتهم عليه كما يستحيل معجزهم عن فعل الاجسام فحق لا يقدر على ذلك وان لم يصح وصفنا بأنا عاجزون عن ذلك حقيقة وكذلك معجزات سائر الانبياء على هذا فلما لم يقدر عليه أحد شبه بما يعجز عنه العاجز وانما يقدر على العباد الاتيان بمثله لأنه لو صح أن يقدروا عليه بطأت دلالة المعجز وقد أجرى العادة أن يتعذر فعل ذلك منه وأن لا يقدر واعليه ولو كان غير خارج عن العادة لا توابعثله واعرضوا عليه من كلام فحكايتهم وبلغائهم ما يعارضه فلما لم يشتغلوا بذلك علم أنهم فطنوا وخرجوا ذلك عن أوزان كلامهم وأساليب نظامهم وزالت أطماعهم عنه وقد كابدنا أن التواضع ليس يجب أن يقع على قول الشعر ووجوه النظم المستحسنة في الاوزان المطربة للسمع ولا يحتاج في مثله الى توقيف وأنه يتبين أن مثل ذلك يجري في الخطاب فلما جرى فيه فطنوا له واختاروه وطلبوا أنواع الاوزان والقوافي ثم وقعوا على حسن ذلك وقدروا عليه بتوفيق الله عز وجل وهو الذي جمع خواطرهم عليه وهداهم وبدأوا دعوتهم اليه وليكنه أقدرهم على حد محدود وغاية في العرف مضروبة لعلمه بأنه سيجعل القرآن معجزا ودل على عظم شأنه بأنهم قدسروا على ما بينا من التأليف وعلى ما وصفنا من النظم من غير توقيف ولا اقتضاء اثر ولا تحدى اليه ولا تقريع فلو كان هذا من ذلك القبيل أو من الجنس الذي عرفوه والقوه لم تنزل أطماعهم عنه ولم يدهشوا عند روده عليهم فكيف وقد أمهلهم وفسح لهم في الوقت وكان يدعو اليه سنين كثيرة وقال عز من قائل أولم نعلمكم كرفيسه من تذكر وجاءكم النذير و بظهور المعجز عنه بعد طول التقريع والتحدى بان أنه خارج عن عاداتهم وانهم لا يقدرون عليه وقد ذكرنا أن العرب كانت تعرف ما يبين عاداتها من الكلام البليغ لان ذلك طبعهم ولغتهم فلم يحتاجوا الى تجربة عندهم سمع القرآن وهذا في البلاغة منهم دون المتأخرين في الصنعة والذي ذكرناه بذلك على أنه لا كلام أز يد في قدر البلاغة من القرآن وكل من جوز أن يكون للبشر قدرة على أن يأتوا بمثله في البلاغة لم يمكنه أن يعرف أن القرآن معجز بحال ولو لم يكن جرى في المعلوم أنه سيجعل القرآن معجزا لكان

يجوز أن تجرى عادات الأولين وأخبار المرسلين وكذلك لا يوجد خلف فيما يتضمنه من
 الاخبار عن الغيوب وعن الحوادث التي أنبأ أنها تقع في الثاني فلا يخرج من أن يكون
 متأولا على ما يقتضيه نظام الخطاب من أنه لا يأتيه ما يبطئه من شبهة سابقة تقدر في مجرته
 أو تعارضه في طريقه وكذلك لا يأتيه من بعده قط أمر يشكك في وجه دلالة وإيجازه
 وهذا أشبه بسباق الكلام ونظامه ثم قال ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته
 أعجمي وعربي فأخبر أنه لو كان أعجميا لكانوا يحتجون في رده أما بان ذلك خارج عن عرف
 خطابهم وكانوا يعتدرون بذهابهم عن معرفة معناه وبأنهم لا يتبين لهم وجه الإعجاز فيه
 لأنه ليس من شأنهم ولا من لسانهم أو بغير ذلك من الأمور وأنه إذا تحداهم إلى ما هو من
 لسانهم وشأنهم فجزوا عنه وجبت الخيبة عليهم به على ما بينه في وجه هذا الفصل إلى أن
 قال قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد والذي
 ذكرنا من نظم هاتين السورتين ينبه على غيرهما من السور فكبرنا مرد القول فيها
 فليتامل المتأمل ما دللناه عليه بجمده كذلك ثم ما يدل على هذا قوله عز وجل وقالوا لولا
 أنزل عليه آية من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك
 الكتاب يتلى عليهم فأخبر أن الكتاب آية من آياته وعلم من أعلامه وأن ذلك يكفي في الدلالة
 ويقوم مقام معجزات غيره وآيات سواه من الأنبياء صلوات الله عليهم ويدل عليه قوله عز
 وجل تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا وقوله أم يقولون افتري على
 الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته فدل على أنه جعل
 قلبه مستودعا لوحيه ومستنزلا لكتابه وأنه لو شاء صرف ذلك إلى غيره وكان له حكم دلالة
 على تحقيق الحق وإبطال الباطل مع صرفه عنه ولذلك أشباه كثيرة تدل نحو الدلالة التي
 وصفنا هافيان بهذا وبنظائره ما قلنا من أن نبأ نبوته صلى الله عليه وسلم على دلالة القرآن
 ومجزته وصار له من الحكم في دلالة على نفسه وصدقه أنه يمكن أن يعلم أنه كلام الله تعالى
 وفارق حكمه حكم غيره من الكتب المنزلة على الأنبياء لأنها لا تدل على أنفسها إلا بأمر
 زائد ووصف منضاف إليها لان نظمها ليس معجزا وان كان ما يتضمنه من الاخبار عن
 الغائبات والغيوب معجزا وليس كذلك القرآن لأنه يشاركها في هذه الدلالة ويزيد عليها
 في ان نظمه معجز فيمكن أن يستدل به عليه وحل في هذا من وجه محل سماع الكلام من
 القديم سبحانه لان موسى عليه السلام لما سمع كلامه علم أنه في الحقيقة كلامه وكذلك
 من يسمع القرآن يعلم أنه كلام الله وان اختلف الحال في ذلك البشر بقدر زائد على ما لقوه
 من البلاغة وأمر يفوق ما عرفوه من الفصاحة وأما نظم القرآن فقد قال أصحابنا فيه ان الله

تعالى يقدر على نظم القرآن الرتبة التي لا مز يد عليها فقد قال محالفونا ان هذا غير ممتنع لان فيه من الكلمات الشريفة الجامعة للعاني البدعة وانضاف الى ذلك حسن الموقع فيجب أن يكون قد بلغ النهاية لانه عندهم وان زاد على ما في العادة فان الزائد عليهم وان تفاوت فلا بد من أن ينتهي الى حد لا مز يد عليه والذي يقول انه لا يمنع ان يقال انه يقدر الله تعالى على أن يأتي بنظم أبلغ وأبدع من القرآن كله وأما قدرة العباد فهي متناهية في كل ما يقدرون عليه مما أصبح قدرتهم عليه

(فصل في كلام النبي صلى الله عليه وسلم وأما متصل بالايجاز)

ان قال قائل اذا كان النبي صلى الله عليه وسلم أفصح العرب وقد قال هذا في حديث مشهور وهو صادق في قوله فهل أفلتم ان القرآن من نظمه لقد رتته في الفصاحة على مقدار لا يبلغه غيره قيل قد علمنا أنه لم يتقدم الي مثل قوله وفصاحته والقدر الذي بينه وبين كلام غيره من الفصحاء كقدر ما بين شعر الساعرين وكلام الخطيبين في الفصاحة وذلك مما لا يقع به الايجاز وقد بينا قبل هذا أنا اذا وازنا بين خطبه ورسائله وكلامه المنشور وبين نظم القرآن تبين من البون بينهما مثل ما بين كلام الله عز وجل وكلام الناس ولا معنى لقول من ادعى أن كلام النبي صلى الله عليه وسلم مجز وان كان دون القرآن في الايجاز فان قيل لولا أن كلامه مجز لم يشبهه على ابن مسعود الفصل بين المعوذتين وبين غيرهما من القرآن وكذلك لم يشبهه دعاء القنوت في أنه هل هو من القرآن ولا يجوز أن يخفى عليهم من القرآن من غيره وعدد السور عندهم محفوظ مضبوط وقد يجوز أن يكون شذعن محمفه لانه نفاه من القرآن بل عول على حفظ الكل اياه على أن الذي يروونه خبر واحد لا يسكن اليه في مثل هذا ولا يعلم عليه ويجوز أن يكتب على ظهر محمفه دعاء القنوت لئلا ينسأه كما يكتب الواحد منا بعض الادعية على ظهر محمفه وهذا نحو ما ذكره الجهال من اختلاف كثيرين محمف ابن مسعود وبين محمف عثمان رجة الله عليهما ونحن لانسكرك أن يغلط في حرف معدودة كما يغلط الحافظ في حرف وينسى وما لا يجيزه على الحفظ مما لم يجزه عليه ولو كان قد أنكر السورتين على ما ادعوا لمكانت العناية تناظره على ذلك وكان يظهر وينتشر فقد تناظر وافى أقل من هذا وهذا أمر يوجب التكفير والتضليل فكيف يجوز أن يقع التخصيف فيه وقد علمنا اجماعهم على ما جمعه في المحمف فكيف يقدح بمثل هذه الحكايات الشاذة المولدة بالاجماع المتقرر والاتفاق المعروف ويجوز أن يكون الناقل اشبه عليه لانه خالف في النظم والترتيب فلم يشبههما في آخر القرآن والاختلاف بينهم في موضع الاثبات غير الكلام في الاصل الا ترى أنهم قد اختلفوا في أول ما نزل من

القرآن فهم من قال قوله اقرأ باسم ربك ومنهم من قال يأيتها المدثر ومنهم من قال فاتحة الكتاب واختلفوا ايضا في آخر ما نزل فقال ابن عباس اذا جاء نصر الله وقالت عائشة سورة المائدة وقال البراء بن عازب آخر ما نزل سورة براءة وقال سعيد بن جبير آخر ما نزل قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وقال السدي آخر ما نزل فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت ويحوز ان يكون في مثل هذا خلاف وان يكون كل واحد ذكر آخر ما سمع ولو كان القرآن من كلامه لكان البون بين كلامه وبينه مثل ما بين خطبة وخطبة ينشئها رجل واحد وكانوا يعارضونه لانا قد علمنا ان القدر الذي بين كلامهم وبين كلام النبي صلى الله عليه وسلم لا يخرج الى حد الاعجاز ولا يتفاوت التفاوت الكثير ولا يخفى كلام من جنس أوزان كلامهم وليس كذلك نظم القرآن لانه خارج من جميع ذلك فان قيل لو كان على ما ادعيتم لعرفنا بالضرورة انه معجز دون غيره قبل معرفة الفصل من وزن الشعر ووزنه والفرق بينه وبين غيره من الاوزان الى نظره وتأمله وفكره وروية واكتساب وان كان النظم المختلف الشديدا التباين اذا وجد أدرك اختلافه بالحاسة الا ان كل وزن وقبيل اذا أردنا تمييزه من غيره احتجنا فيه الى الفكرة والتأمل فان قيل لو كان معجزا لم يختلف أهل الملة في وجه اعجازه قيل قد ثبت الشيء دليلا وان اختلفوا في وجه دلالة البرهان كما قد يختلفون في الاستدلال على حدوث العالم من الحركة والسكون والاجتماع والافتراق فأما المخالفون فانه يتعذر عليهم أن يعرفوا أن القرآن كلام الله لان مذهبهم أنه لا فرق بين أن يكون القرآن من قبل الرسول أو من قبل الله عز وجل في كونه معجزا لانه ان خصه بقدر من العلم لم تجر العادة بمثله أمكنه أن يأتي بما هذه الرتبة وكان متعذرا على غيره لفقده علمه بكيفية النظم وليس القوم بعاجزين عن الكلام ولا عن النظم والتأليف والمعنى المؤثر عندهم في تعذر مثل نظم القرآن علينا فقد العلم بكيفية النظم وقد بينا قبل هذا أن المانع هو أنهم لا يقدرون عليه والمفعم قد يعلم كيفية الاوزان واختلافها وكيفية التركيب وهو لا يقدر على نظم الشعر وقد يعلم الشاعر وجوه الفصاحة واذا قالا الشعر شعر أحدهما في الطبقة العالية وشعر الآخر في الطبقة الوضعية وقد يطرد في شعر المبتدئ والتأخر في الحذف القطعة الشريفة والبيت النادر وما لا يتفق للشاعر المتقدم والعلم بهذا الشأن في التفصيل لا يغني ويحتاج معه الى مادة من الطبع وتوفيق من الاصل وقد يتساوى العالمان بكيفية الصناعة والنساجة ثم يتفق لاحدهما من اللطف في الصنعة مالا يتفق في الآخر وكذلك أهل نظم الكلام يتفاضلون مع العلم بكيفية النظم وكذلك أهل الرمي يتفاضلون في الاصابة مع العلم بكيفية الاصابة

واذا وجدت للشاعر بيتا أو قطعة أحسن من شعر امرئ القيس يدل ذلك على أنه أعلم
 بالنتظم منه لأنه لو كان كذلك كان يجب أن يكون جميع شعره على ذلك الحد وبحسب ذلك
 البت في الشرف والحسن والبراعة ولا يجوز أن يعلم نظم قطعة وبجهل نظم مثلها وان كان
 كذلك علم أن هذا لا يرجع إلى ما قدره من العلم أولسنا نقول انه يستغنى عن العلم في النظم
 بل يكفي علم به في الجملة ثم يقف الأمر على القدرة وهذا بين لك بأنه قد يعلم الخط فيكتب سطرا
 ذلوا رادان يأتي بمثله بحيث لا يغادر منه شيئا لتعذر والعلم حاصل وكذلك قد يجسمن كيفية
 الخط والجيد منه من الرديء ولا يمكنه أن يأتي بأرفع درجات الجيد وقد يعلم قوم كيفية
 ادارة الاقلام وكيفية تصور الخط ثم يتفاوتون في التفصيل ويختلفون في التصوير والزمهم
 أصحابنا أن يقولوا بقدرتنا على احداث الاجسام وانما يتعذر وقوع ذلك منا لأننا لانعلم
 الأسباب التي اذا عرفنا ايقاعها على وجوه اتفق لتأفعل الاجسام وقد ذهب بعض
 المخالفين إلى أن العادة انتقضت بأن أنزله جبريل فصار القرآن معجزا لنزوله على هذا الوجه
 ومن قبله لم يكن معجزا وهذا قول أبي هاشم وهو ظاهر الخطا لأنه يلزم أن يكونوا قادرين على
 مثل القرآن وان لم يتعذر عليهم فعل مثله وانما تعذر بانزاله ولو كانوا قادرين على مثل ذلك
 كان قد اتفق من بعضهم مثله وان كانوا في الحقيقة غير قادرين قبل نزوله ولا بعده على مثله
 فهو قولنا وما قول كثير من المخالفين فهو على ما بيننا لان معنى المعجز عندهم تعذر فعل مثله
 وكان ذلك متعذرا قبل نزوله وبعده فأما الكلام في أن التأليف هل له نهاية فقد اختلف
 المخالفون من المتكلمين فيه فمنهم من قال ليس لذلك نهاية كالعدد فلا يمكن أن يقال انه
 لا يتأتى قول قصيدة الا وقد قيلت من قبل ومنهم من قال ان ماجرت به العادة فله نهاية
 وما لم تجر به العادة فلا يمكن أن تعلم نهاية الرتبة فيه وقد بينا أن على أصولنا قد تقدر
 الكلامنا حد في العادة ولا سبيل إلى تجاوزه ولا يقدر ان خرق العادة فزاد عليها
 فصل **ان قيل هل من شرط المعجز أن يعلم أنه أتى به من ظهر عليه قيل لا بد من**
 ذلك لأننا لو تعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي أتى بالقرآن وظهر ذلك من جهته
 لم يمكن أن يستدل به على نبوته وعلى هذا لوتلقى رجل منه سورة فأتى بها بلدا وادعى
 ظهورها عليه وأنها معجزة له لم تقم الحجة عليهم حتى يبحثوا أو يتبينوا أنها ظهرت عليه
 وقد حقت أن القرآن أتى به النبي صلى الله عليه وسلم وظهر من جهته وجعله علما
 على نبوته وعلمنا ذلك ضرورة فصار حجة علينا

فصل **قد ذكرنا في الابانة عن معجز القرآن وجيزا من القول رجونا أن يكفي**
 وأملنا أن يقع والكلام في أوصافه ان استقصى بعيد الأطراف واسع الألف لعل شأنه

وشريف مكانه والذي سطرناه في الكتاب وان كان موجزا وأملينا فيه وان كان خفيفا فانه ينبه على الطريقة ويدل على الوجه ويهدى الى الحق ومتى عظم فضل الشيء فقد يكون الاسهاب فيه عيا والاكثر في وصفه تقصيرا وقد قال الحكيم وقد سئل عن البليغ متى يكون غنيا فقال متى وصف هوى أو حبيب أو ضل أعرابي في سفره ليليا فطلع الثمر فاهتدى به فقال ما أقول لك أقول رفعك الله وقدر فعك أم أقول نورك الله وقد نورك أم أقول جملك الله وقد جملك ولولا أن العقول تختلف والأفهام تتباين والمعارف تتفاضل لم نتج الى ما تكلفنا ولكن الناس يتفاوتون في المعرفة ولو اتفقوا فيها لم يجز أن يتفقوا في معرفة هذا الفن أو يجتمعوا في الهداية الى هذا العلم لانه لا اتصاله بأسباب وتعلقه بعلوم غامضة الغور عميقة القعر كثيرة المذاهب قليلة الطلاب ضعيفة الأصحاب وبسبب تأتي مواقعه يقع الافهام دونه وعلى قدر لطف مسالكة يكون القصور عنه أنشدني أبو القاسم الزعفراني قال

أنشدني المتنبي لنفسه القطعة التي يقول فيها
وكم من عائب قولاً صحيحاً * وآفته من الفهم السقيم
ولكن تأخذ الآذان منه * على قدر القرائح والعلوم

وأنشدني الحسن بن عبد الله قال أنشدنا بعض مشايخنا للبحري

أهز بالشعر أقواما ذوى سنة • لو أنهم ضربوا بالسيف ماشعروا
على " نحت القوافي من مقاطعها * وما على " لهم أن تفهم البقر

فاذا كان نقد الكلام كله صعبا وتمييزه شديدا والوقوف على اختلاف فنونه متعذرا وهذا في كلام الآدمي فما ظنك بكلام رب العالمين قد أبنا لك أن من قدر على أن البلاغة في عشرة أوجه من الكلام لا يعرف من البلاغة الا القليل ولا يفتن منها الا اليسير ومن زعم أن البديع يقتصر على ما ذكرنا من قبل عنهم في الشعر فهو متطرف، بلى ان كانوا يقولون أن هذه من وجوه البلاغة وغرر البديع وأصول اللطيف وأن ما يجري مجرى ذلك ويشاكله ملحق بالأصل ومردود على القاعدة فهذا قريب وقد بينا في نظم القرآن ان الجملة تشتمل على بلاغة منفردة والاسلوب يختص بمعنى آخر من الشرف ثم الفوائج والخواتم والمبادئ والثاني والطواع والمقاطع والوسائط والفواصل ثم الكلام في نظم السور والآيات في تفاصيل التفاصيل ثم في الكثير والقليل ثم الكلام الموشح والمرصع والمفصل والمصرع والمجنس والموشى والحلى والمكلى والمطوق والمتوج والموزون والخارج عن الوزن والمعتدل في النظم والمتشابه فيه ثم الخروج من فصل الى فصل ووصل الى وصل ومعنى الى معنى ومعنى في معنى والجمع بين المؤلفات والمختلف والمتفق والمتسق وكثرة

التصرف وسلامة القول في ذلك كله من التعسف وخروجه عن التعق والتشديق وبعده
عن التعل والتكلف والألفاظ المفردة والابداع في الحروف والأدوات كالابداع في
المعاني والكلمات والبسط والقبض والبناء والنقض والاختصار والشرح والتشبيه
والوصف وتميز الابداع من الاتباع كتميز المطبوع عن المصنوع والقول الواقع عن غير
تكلف ولا تمل وأنت تبينه في كل ما تصرف فيه من الأنواع أنه على سمت شريف ومرقب
منيف يهر إذا أخذ في النوع الربى والأمر الشرعى والكلام الالهى الدال على أنه يصدر
عن عزة الملكوت وشرف الجبروت وما لا يبلغ الوهم موافقه من حكمة واحكام واحتجاج
وتقريب واستشهاد وتقرير واعذار وانذار وتبشير وتحذير وتنبيه وتلويح واشباع وتصریح
واشارة ودلالة وتعلم أخلاق زكية وأسباب رضية وسياسات جامعة ومواعظ نافعة وأوامر
صادقة وخصص مفيدة وتناء على الله عز وجل بما هو أهله وأوصاف كايستحقه وتحميد كما
يستوجبه واخبار عن كائنات في التأنى صدقت وأحاديث عن المؤتلف تحققت ونواه
زاجرة عن القبائح والفواحش وابعاحه الطيبات وتحريم المضار والخبائث وحث على الجميل
والاحسان تجديفه الحكمة وفصل الخطاب مجلوة عليك في منظر بهج ونظم أنيق ومعرض
رشيق غير متعاص على الاسماع ولا متلو على الأفهام ولا مستكره في اللفظ ولا متوحش
في المنظر غريب في الجنس غير غريب في القبيل يمتلى ماء ونضارة ولطفا وغضارة يسرى
في القلب كايبرى السرور ويمرالى موافقه كما يمر السهم وبضىء كايضىء الفجر ويزخر
كما يزخر البحر طموح العباب جوح على المتناول المتاب كالروح في البدن والنور
المستطير في الأفق والغيث الشامل والضياء الباهر لا يأتبه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه تنزيل من حكيم حميد من توهم أن الشعر يلحق شأوه بان ضلاله وصح جهله اذا شعر
سمت قد تناولته الألسن وتداولته القلوب وانتالت عليه الهواجس وضرب الشيطان
فيه بسهمه وأخذ منه بحظه وما دونه من كلامهم فهو أدنى محلا وأقرب مأخذا وأسهل
مطلبيا ولذلك قالوا فلان مفهم فأخر جوه مخرج العيب كما قالوا فلان عبي فأوردوه مورد
القص والقرآن كآب دل على صدق متعلمه ورسالة دلت على صحة قول المرسل بها وبرهان
شهد له براهين الأولياء المتقدمين وبينه على طريقة ماسلف الأتولون حيرهم به اذا كان
من جنس القول الذى زعوا أنهم أدركوا فيه النهاية وبلغوا فيه الغاية فعر فواجزهم كما
عرف قوم عيسى نقصانهم فما قدروا من بلوغ أقصى الممكن في العلاج والوصول الى
أعلى مراتب الطب بجاءهم بما بهرهم من احياء الموتى وبراء الأكمه والابرص وكأنى
موسى بالعصا التى تلقفت مادققوا فيه من سهرهم وأنت على ما أجمعوا عليه من أمرهم وكا

سخر اسليمان من الريح والطير والجن حين كانوا يولعون بدقائق الحكمة وبدائع من اللطف ثم كانت هذه العجزة مما يقف عليه الأول والآخرون قوفوا واحدا وبقى حكمها الى يوم القيامة أنظر وفقك الله لما هديناك اليه وفكر في الذي دللناك عليه فالحق منهج واضح والدين ميزان راجح والجهل لا يزيد الا غم ولا يورث الا اندما قال الله عز وجل قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولو الألباب وقال وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وقال يضل به كثير ويهدي به كثير اعلى حسب ما أتى من الفضل وأعطى من الكمال والمقل تقع الهداية والتبيين فان الأمور تم بأسبابها وتحصل بالآثارها ومن سلبه التوفيق وحرمه الارشاد والتسديد فكأنما خرم من السماء فخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فاجد الله على ما رزقك من الفهم ان فهمت وقل رب زدني علما وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وان ارتبت فيما بيننا فازدد في تعلم الصنعة وتقدم في المعرفة فسيقع بك على الطريق الا رشده ويقف بك على الوجه الأجد فانك اذا فعلت ذلك أحطت علما وتيقنت فهما ولا يوسوس اليك الشيطان بانه قد كان من هو أعلم منك بالعربية وأرجح منك في الفصاحة أقوام وأقوام ورجال ورجال فكذبوا وارتابوا لأن القوم لم يذهبوا عن العجاز ولكن اختلفت أحوالهم فكانوا بين جاهل وجاحد وبين كافر نعمة وحامد وبين ذاهب على طريق الاستدلال بالمعجزات وحائد عن النظر في الدلالات وناقص في باب البحث ومختل الآلة في وجه الفحص ومستهين بأمر الأديان وغاوت تحت حيلة الشيطان ومقدوف بخذلان الرحمن وأسباب الخذلان والجهالة كثيرة ودرجات الحرمان مختلفة وهلا جعلت بأزاء الكفرة مثل لبيد بن ربيعة العامري في حسن اسلامه وكعب بن زهير في صدق ايمانه وحسان بن ثابت وغيرهم من الشعراء والخطباء الذين أسلموا على أن الصدر الأول ما فهم الانجم زاهر أو بحر زاخر وقد بينا أن الاعتصام بالهداية الله ولا توفيق الا بنعمة الله وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فقامل ما عرفناك في كتابنا وفرغ له قلبك واجمع له ليلك ثم اعتصم بالله يهتك وتوكل عليه يغتك ويجرك واسترشده يرشدك

وهو حسبي وحسبك ونعم الوكيل ﴿ تم طبع هذا الكتاب

النفيس في ١٥ الجمعة سنة ١٣١٥ هجرية

على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

وأزكى التحية



*Restored through
a grant from*

T.S. Matthews '22
in memory of
Juliana Cuyler Matthews



